الجامعــــة الإســـلامية - غـــــزة
عمـــــادة الدراســــــات العليــــا
كليـــــــــــة التربيــــــــــة
قسم أصـول التربيـة - تـربيـة إسـلامية



الأبــعاد التــربوية فــي قــصــة مــوسـى عليه السلام وتــطبيقـاتــها الــتــربــويــة

إعــداد الطالبة
دالـيــة فـتحي جـاد الـلـه

إشراف
د. حمدان عبد الله الصوفي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
قسم أصول التربية - تربية إسلامية

1432 هـ - 2011 م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ
اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:62]

ملخص الدراســـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسوله الصادق الأمين أما بعد:

هدفت الدراسة إلى التعرف إلى الأبعاد التربوية المستفادة من قصة موسى عليه السلام، وأهم التطبيقات التربوية المتعلقة بالمعلّم المسلم والتي لابد أن يحرص عليها ليكون نموذجاً يحتَذى به.

وقد تحددت مشكلة الدراسة في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- ما الأبعاد التربوية المستفادة من قصة سيدنا موسى عليه السلام و تطبيقاتها التربوية؟

ويتفرع من السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية:-

1: ما الأبعاد الإيمانية في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

2: ما الأبعاد الأخلاقية في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

3: ما الأبعاد الاجتماعية في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

4: ما الأبعاد النفسية في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

5: ما أبرز التطبيقات التربوية المستفادة من قصة سيدنا موسى عليه السلام والمتعلقة بالمعلِّم؟

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي، وقامت بتحليل آيات قصة موسى عليه السلام واستـــخراج المعاني التربوية منها، ثم إدراجها ضمن الأبعاد التربوية الأربعة التي تناولتها الدراسة.

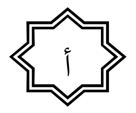
ومن خلال استعراض الآيات خلصت الدراسة إلى عدة من النتائج أهمها:

1- شغلت قصة موسى عليه السلام مساحة كبيرة من القرآن الكريم، وذلك لأن موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، أرسله الله إلى فرعون الطاغية المتجبر الذي بلغ درجة عظيمة في العتو والتأله على بني إسرائيل، كما أن قوم موسى عليه السلام كانوا نافرين معاندين مجادلين إلا قلة منهم، ولذلك كانت قصة موسى في القرآن غنية بالتوجيهات والخبرات التربوية والاجتماعية.

2- تضمنت قصة موسى عليه السلام العديد من الأبعاد التربوية ومنها:

أ- الأبعاد الإيمانية والتي شملت سلامة التوحيد، والتوكل على الله، والدعاء، والشكر لله ، والابتلاء وتكفير الذنوب، والهداية والاستقامة، وولاية الله للمؤمنين ترفع منزلة العبد، واستخدام الخوارق لإقامة الحجة.

ب- الأبعاد الأخلاقية وتضمنت الأخلاق الإيجابية ومنها: (سرعة الإنابة إلى الله والتطهر من الذنوب، والإخلاص لله والثقة بنصره، والأمانة والقوة في الحق، والتحلي بالصبر والصدق، والعفو والحلم واللين في الدعوة). كما أوضحت الدراسة عدداً من الأخلاق



السلبية. ومنها: (العناد والجحود والإصرار على الكفر، ونقض العهود، وقسوة القلب رغم رؤية الآيات، وبطر النعمة).

ج- الأبعاد الاجتماعية التي تحتوي على: (نصرة المظلوم، ومواجهة الفساد والظلم وتحقيق الحرية، وتحقيق التكافل والتعاون، والنصح للمجتمع والحرص على مصلحته).

د- الأبعاد النفسية، ومكوناتها: (الإيمان طريق السعادة، وانشراح الصدر، والطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف، والتخلص من الانفعالات السلبية، واستحضار عاقبة المتقين والمفسدين).

3. يمكن استنباط العديد من التطبيقات التربوية من قصة موسى عليه السلام، التي يستفاد منها في إعداد المعلم، وتحديد أهم الصفات التي ينبغي أن يتمثلها المعلم، وهي: صفات إيمانية، وصفات أخلاقية، وصفات اجتماعية، وصفات نفسية، وبذلك يمكن أن يؤدي دوره على خير وجه باعتباره مقوماً للسلوك، ومزوداً للطلبة بالخبرات اللازمة، ومصححاً للأفكار والمفاهيم ومعدلاً للعقائد والاتجاهات.

كما أوصت الدراسة بالعديد من التوصيات منها:-

1. أنه لابد من الاهتمام بدراسة قصص الأنبياء عليهم السلام، وبيان الأبعاد العقائدية والخلقية والاجتماعية والنفسية ومدى تطبيقاتها التربوية عن طريق جمع الآيات القرآنية، وإفرادها بدراسات علمية خاصة، وذلك لما فيها من عظيم الأثر على كل المجالات في حياة الإنسان المسلم.
2. عرض قصة سيدنا موسى عليه السلام وصفاته ودعوته في المناهج التعليمية حتى يتم ترسيخ العقيدة على أصولها.
3. ضرورة التركيز عند اختيار المعلمين على مجموعة من الصفات الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية الضرورية للمعلم المسلم المعاصر.

Abstract

This study aims at identifying the educational dimensions learned from Prophet Moses' story peace be upon him and the main educational applications related to Muslim teacher, who should adhere to them be a good example to be followed.

The study was concerned to answer the following question:

What are the educational dimensions that can be learned from Prophet Moses' (PBUH) story?

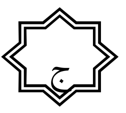
To answer such question, the following sub-questions were emerged:

1. What are the fiducial dimensions in Prophet Moses' story?
2. What are the ethical dimensions in Prophet Moses' story?
3. What are the social dimensions in Prophet Moses' story?
4. What are the psychological dimensions in Prophet Moses' story?
5. What are the main educational applications learned from Prophet Moses' (PBUH) story?

The researcher used the descriptive analytic method to derive the educational dimensions from the verses included under that dimension, besides other issues mentioned the study questions.

Study findings:

1. Prophet Moses' story occupies many verses in the Holy Quran because he is one of the apostles of inflexible purpose. He – peace be upon him – was sent to Pharaoh, the tyrant insolence ruler on Israeiites. On the other hand, the majority of Moses' people were reluctant and argumentative, except a few. Thus, his story is full of educational and social experience and guidance.
2. Prophet Moses' story includes many educational dimensions as:
   - Fiducial dimensions (true monotheism – trust Allah – supplication……)
   - Positive Ethical dimensions (quick return to Allah – faithfulness to Allah – honesty – strengthen…)
   - Negative Ethical dimensions (stubbornness – ungratefulness- insistence on unbelieving – breaching agreements – denying blessings…)
   - Social dimensions (facing corruption – advocating oppressed people – achieving cooperation and social solidarity….)

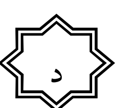


- Psychological dimensions (tranquility – achieving happiness for believers – quietness……)

We can derive several educational applications from Prophet Moses' story – peace be upon him that can be adopted to prepare the Muslim teacher such as; fiducial, psychological and social characteristics. The are good factors to perform manners of students and they provide them with essential experience. Moreover, they help in correcting ideas and beliefs.

Study recommendations:

1. The study recommends studying the lives of prophets and highlighting on the dogmatic, ethical, social and psychological dimensions and their educational applications. This can be achieved through gathering verses of the Holy Quran and dedicate special for them due to their significant effect on our life.
2. The study recommends involving Prophet Moses' story in the educational curricula to inculcate the correct religion.
3. In such circumstances, the Muslim nation in need to regain the trust Allah and to stick o the Holy Quran and Prophet Mohammed- peace and blessings be upon him – sunna. If they want to lead the world again, they must do that.
4. The study recommends focusing on some fiducial, social, psychological and educational attributes upon choosing teachers.



الإهداء

إلى من علمني العطاء دون انتظار..... إلي من أحمل اسمه بكل افتخار......أرجو من الله أن يبارك في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار.......وستبقي كلماتك نجوماً أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد............. والدي الحبيب

إلى من كان دعاؤها سر نجاحي.........وكلماتها بلسم جراحي........... إلي أمي الغالية

إلى من كانوا عوناً وسنداً ودعماً وتشجيعاً لي لمواصلة البحث والدراسة......... إخواني الاحبة (أبو حذيفة وأبو البراء وأبو أنس وأبو مجاهد وأبو القسام)

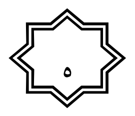
إلى من بوجودها برفقتي أكتسب قوة ومحبة لا حدود لها،إلى من رافقتني خطوة بخطوة وما زالت ترافقني، إلي أختي ورفيقة دربي............. وديان

إلى إخوتي........... وأخواتي.........هداني الله وإياهم إلى ما فيه الخير

إلى كل من أسدى إلي النصح وساعدني لمواصلة البحث والدراسة

أهدي هذا الجهد المتواضع ،وأسأل الله أن ينفع به كل من قرأه ،وأسأله أن يتقبل مني هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

الباحثة



الشكر والتقدير

الحمد لله الذي هدانا لدراسة كتابه، وجعلنا من الشاكرين لنعمائه، والصلاة والسلام على رسوله وحبيبه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أحمد الله تعالي الذي وفقني لإتمام هذه الدراسة أولاً، ثم أتقدم بأسمى آيات الشكر والإمتنان والتقدير إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة ،إلى الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة،إلى جميع أساتذتنا الأفاضل في كلية التربية.........

وأخص بالشكر والتقدير الدكتور حمدان الصوفي الذي تفضل بقبوله الإشراف على هذه الدراسة، حيث كان لتوجيهاته الفضل الكبير بعد توفيق الله تعالي في إنجاز هذا البحث، فأسأله تعالي أن يجزيه خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كلٍّ من:

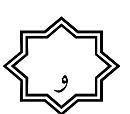
الأستاذ الدكتور/...زكريا.إبراهيم الزميلي......................

والدكتور/..فايز.كمال.شلدان................ لتفضلهما مشكورَيْن لمناقشة هذه الدراسة.

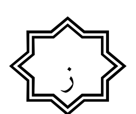
كما أتوجه بالشكر والتقدير لكل من ساهم في إنجاز هذه الدراسة.

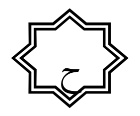
وأخيراً (فإن أحسنتُ فمن توفيق ربي، وإن أسأتُ فمن نفسي) والله الموفق.

الباحثة



قائمة المحتويات





المقدمة

إن الصراع الدامي بين دول البغي وبين المسلمين ليشتد يوما بعد يوم ، وساعة بعد ساعة لأنه صراع بين الحق والباطل، ذلكم الباطل الذي لا يرضى أهله أبدًا بمسالمة أهل الحق، وقد توالت سنة الله في هذا الكون الفسيح على مر العصور والأزمان بتأييده لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين وهزيمته وإهلاكه للكافرين المتغطرسين، الذين يحاولون بسط قوتهم على من ليس لديه قوة.

صور القرآن الكريم ذلك من خلال قصص الأنبياء التي حفل القرآن بسيرهم عليهم السلام ما لم يحفل بقصص غيرهم.

ولم يكن هذا من قبيل تخليدهم على مر الزمن فحسب، ولا من أجل السرد القصصي المجرد، بل لأنهم مصادر النور، وعلامات الهداية للبشرية جميعاً؛ فقصة نوح عليه السلام مثلاً: تضمنت حياته منذ بعثه الله إلى قومه، وقد استخدم عليه السلام جميع الأساليب وهو يدعوهم إلى الله قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[نوح:1]، وكذلك سيدنا: هود وصالح وإبراهيم ولوط ويونس وداوود وأيوب وزكريا ويحيى ويعقوب والأسباط وإسحاق وإسماعيل وإدريس واليسع وذو الكفل ويوسف وإلياس وعيسى ختاماً بسيدنا محمد عليهم أفضل الصلاة والسلام.

تعرض قصصهم في مشاهد قام أصحابها بالدعوة إلى الله ، وتربية أقوامهم وقد لقوا في سبيل ذلك العنت والتحدي، ولذلك فإن قصة موسى عليه السلام حظيت بنصيبٍ أكبر من القصص الأخرى لما فيها من العبر و العظات والأبعاد التي لها أثر كبير في حياة المسلم.

لذلك فإن الأمة اليوم بحاجة إلى أن تستوعب الأبعاد التربوية الحقيقية من قصة موسى عليه السلام، وهي تعيش في هذه المرحلة القاسية والصعبة لتستخلص العبر والدروس، وتضع أقدامها على الطريق نحو النصر والتمكين.

وبدون أن تحقق الأحداث التي دارت في قصص الأنبياء أبعادها التي أرادها الله أن تحقق في نفوس الجماعة المؤمنة ستبقى هذه الأمة أسيرة الذل والتراجع.

وقد خاطب القرآن الأفئدة والعقول من خلال استعراضه للأحداث والمحن التي سيتعرض لها المؤمنون موجهة ومربية لهم، تبعث في نفوسهم القوة والأمل، للاستمرار

والتواصل و ليميز الله الخبيث من الطيب، بحيث يتأهل الصفوة والبررة لتحمل الأمانة، و يتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...**﴾ [البقرة:143].

إن الفهم والاستيعاب للأبعاد التربوية لهو واجب حتمي يفرضه الإسلام ويفرضه الواقع لتتحقق الشروط التي تنهض بالأمة، وتجعلها أهلاً للتمكين وتسلم الأمانة، وإن عدم فهم واستيعاب المسلمين اليوم بالأحداث وأبعادها في قصص الأنبياء، وفي ظل الواقع المأساوي الذي تحياه الأمة، يشكل خطراً كبيراً على مسيرة النهوض، والوصول إلى التمكين بسبب سوء صنيع كثيرٍ من المسلمين، وسوء ظنهم بالله، وافتقادهم لأهلية التمكين التي وعد الله بها عباده الصالحين، حيث يقول تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...**﴾ [النور:55].

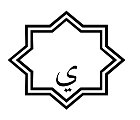
إذن في نهاية المطاف الغلبة للفئة الصابرة المحتسبة المؤمنة، وسنة التدافع ماضية إلى قيام الساعة حيث يقول تعالى: ﴿**...وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[الحج:40].

وما أحوج المجتمع الفلسطينى إلى فهم هذه الأبعاد لأنه يتعامل مع الفئة التي تعامل معها سيدنا موسى، والكل يعلم أن هذا الصراع مع هؤلاء سيظل ماضياً إلى يوم القيامة حيث يقول النبي: **[لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ]**. (مسلم، د:ت : 1523/3)

وقد تحدث بعض العلماء والكتاب المسلين في بعض الكتب عن القيم التربوية في قصص الأنبياء (عليهم السلام) وقد تناولت بعض الدراسات قصة سيدنا موسى عليه السلام دون التركيز على الأبعاد التربوية. (الهوبي،1988)

وتحدث "طهطاوي،1996" عن القيم التربوية المتضمنة في القصص القرآني.

وتناولت "جعفر" أسباب انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة وأن التمكين في النهاية للفئة المؤمنة الصابرة (جعفر، 2009)



وقد لاحظت الباحثة تكرار قصة سيدنا موسى عليه السلام وبني إسرائيل في القرآن حيث تعد قصة سيدنا موسى الأكثر ذكراً في القرآن؛ وهذا يدل على أهمية الأحداث التي دارت في حياته عليه السلام، وأثرها في حياة الأمة المسلمة، وتأتي أهمية ذلك التكرار والتفصيل في تنبيه المسلمين، وتذكيرهم المستمر ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:55].

ويشير قطب إلى المغزى من ذلك التكرار بقوله: "كل من مارس التربية مع صغير أو كبير يعلم إلى أي مدى يحتاج من يتلقي التربية إلى التذكير الدائم حتى يستقيم على الأمر المطلوب ومن ثم يستطيع أن يقدر الهدف التربوي من عملية التكرار في القرآن الكريم". (قطب، 1993 : 253)

وقد وجدت الباحثة أنه من الضروري أن تقدم دراسة تربوية تكشف عن الأبعاد التربوية الحقيقية من الأحداث التي دارت في حياة سيدنا موسى عليه السلام، وسبب تركيز القرآن عليها بالذات، وآمل أن يكون في هذه الدراسة ما يدفع إلى العطاء والعمل من أجل رفع راية الإسلام مهما عظمت التضحيات وبلغت المحن والشدائد لأنه في نهاية المطاف النصرة لمن ثبت على الحق.

الفصـل الأول

الإطـار العـام للدراسـة

مشكلة الدراسة

أهداف الدراسة

أهمية الدراسة

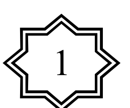
حدود الدراسة

منـهج الدراسة

خطوات الدراسة

مصطلحات الدراسة

الدراسات السابقة



مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالى:

ما الأبعاد التربوية في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

ويتفرع عن السؤال الرئيسي أسئلة فرعية كما يلي:

1. ما الأبعاد التربوية في المجال الإيماني "العقائدي" التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟
2. ما الأبعاد التربوية في المجال الأخلاقي التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟
3. ما الأبعاد التربوية في المجال الاجتماعي التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟
4. ما الأبعاد التربوية في المجال النفسي التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام؟
5. ما التطبيقات التربوية المستمدة من قصة سيدنا موسى عليه السلام؟

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

1. الكشف عن الأبعاد التربوية الإيمانية العقائدية في أحداث قصة موسى عليه السلام.
2. الكشف عن الأبعاد التربوية الأخلاقية في أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام.
3. الكشف عن الأبعاد التربوية الاجتماعية في أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام.
4. الكشف عن الأبعاد التربوية النفسية في أحداث قصة سيدنا موسى عليه السلام .
5. التعرف إلى التطبيقات التربوية المستمدة من قصة سيدنا موسى عليه السلام.

أهـــمية الدراســـة:

تنبع أهمية الدراسة من خلال ما يلي:

1. أثر فهم وإدراك الأبعاد التربوية من قصة سيدنا موسى عليه السلام ودور ذلك وانعكاساته على الأمة فهما واعتقاداً وسلوكاً.
2. يمكن أن يستفيد من الدراسة الدعاة السائرون على طريق الإيمان في نشر الأبعاد المستفادة عن قصة سيدنا موسى عليه السلام.
3. يمكن أن يستفيد من الدراسة التربويون في بناء مناهج التربية الإسلامية.
4. المساهمة في توعية وإرشاد المعلمين وأولياء الأمور بآثار وانعكاسات الأبعاد التربوية التي لابد من الحرص على غرسها في الأبناء.

حـــدود الدراســـة:

اقتصرت الدراسة على الأبعاد التربوية المتضمنة في قصة سيدنا موسى عليه السلام وهي:-

الأبعاد الإيمانية، والأبعاد الأخلاقية، والأبعاد الاجتماعية، والأبعاد النفسية ، كمااقتصرت الدراسة على معالجة التطبيقات التربوية المستفادة من قصة موسى عليه السلام فيما يتعلق بالمعلّم الذي يُعَد حجر الزاوية في العملية التعلمية.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يتناول دراسة أحداث وظواهر وممارسات قائمة من خلال قصة سيدنا موسى عليه السلام وتكون متاحة للدراسة والقياس، وتفاعلت معها الباحثة فصنَّفتها وحلَّلتها، وذلك من أجل التحليل الكيفي للآيات التي ذكر فيه سيدنا موسى وتصنيف محتواها بحسب أبعاد الدراسة ومجالاتها ثم استنباط الأبعاد التربوية المتعلقة بكل بعد.

وكما استخدمت الباحثة المنهج الأصولي الاستنباطي "وهو المنهج المتبع في دراسة جوانب العمل الإسلامي دون الخروج عن الثوابت الإسلامية بفهم كافة معاني القرآن الكريم(الأغا، 1990 : 83).

وهو منهج يشير إلى التحقق من صدق المعرفة الجديدة بقياسها على معرفة أخرى سابقة من خلال افتراض صحة المعرفة السابقة وإيجاد علاقة بينها وبين المعرفة الجديدة.(ملحم،2002: 310).

ولقد استخدمت الباحثة هذا المنهج لاستخراج الأبعاد التربوية التي وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام وتحليل محتوى هذه القصص من خلال دراسة آيات القرآن الكريم دراسة تحليلية.

خطوات الدراسة:

1- قامت الباحثة بحصر الآيات القرآنية المتعلقة بقصة سيدنا موسى عليه السلام وكتابتها بالرسم العثماني.
2- الرجوع إلى كتب التفاسير القديمة والحديثة للتوصل إلى المعاني التربوية للآيات القرآنية المتعلقة بقصة سيدنا موسى عليه السلام.
3- تحليل الآيات القرآنية من أجل تقسيمها إلى أبعاد تربوية واضحة ومنها: (أبعاد إيمانية، وأبعاد أخلاقية، وأبعاد اجتماعية، وأبعاد نفسية).
4- الاستعانة ببطاقة تحليل الآيات من عمل الباحثة وعرضها على عدة محكِّمين للتأكد من إدراج الآيات القرآنية الملائمة ضمن الأبعاد التربوية المحددة من قبل الباحثة.
5- القراءة التربوية للآيات القرآنية في ضوء كتب التفسير والأدبيات التربوية لاستخلاص تفاصيل الأبعاد التربوية المختلفة لقصة موسى عليه السلام.

6- اختيار أهم الأبعاد التربوية التي يمكن أن ترشد المعلّم المسلم المعاصر للاستفادة منها في تحديد صفات المعلم الفاعل.
7- رصد أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها الباحثة.

مصـــطلحات الدراســـة:

أولاً: الأبعاد التربوية: ذكر بعض الباحثين البُعْدَ بمعنى التأثير، والأبعاد بمعنى الأسس والجوانب. (يس، 1979 : 54)

أما (بدح،2001: 8) فيعرف الأبعاد بأنها الجوانب والآثار التربوية المرافقة، وتُعرِّف الباحثة الأبعاد التربوية بأنها: (الدلالات والحكم التربوية الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية المستفادة من قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم.

وكذلك تعرف قصة موسى عليه السلام بأنها : (مجموع الأحداث والسير المتعلقة بموسى عليه السلام الوارد ذكرها في القرآن الكريم).

الدراســـات الســـابقة:

لقد شغلت قضية التمكين والنصر فكر بعض الباحثين، وكذلك دراسة حياة الأنبياء دراسة موضوعية تفسيرية دون التطرق إلى الأبعاد التربوية، وبعد التحري والبحث لم تجد الباحثة حول هذا الموضوع إلا ما يتعلق به تعلقاً يسيراً مما يختص بالجانب التفسيري للآيات.

ومن الدراسات السابقة التي توصلت إليها الباحثة:

أولا: دراسة الصيفي (2009) بعنوان: (منهج القرآن الكريم في التعامل مع جرائم اليهود: دراسة تطبيقية بين الماضي والحاضر).

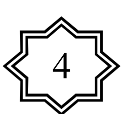
وقد هدفت الدراسة إلى:

1- التطبيق العملي للتفسير الموضوعي ، وبيان حاجة الأمة له ، لأنه التفسير العصري الذي يضع الحلول لمشاكل البشرية، إضافة إلى أنواع التفاسير الأخرى.
2 -استنباط منهج علمي محكم من القرآن الكريم، يبين للأمة كيفية التعامل مع جرائم اليهود، وكيفية استئصال إفسادهم من فلسطين.

واتبع الباحث منهج الاسترداد التاريخي والوصفي.

وخلص إلى عدة نتائج منها:

1) إن الجرائم تنتشر وتكثر في المجتمعات الكافرة، بسبب غياب الوازع الديني ، والرقابة الإلهية فيها، وتقل في المجتمعات الإسلامية، بسبب تحصنها وتمسكها بالدين.
2) فرق القرآن قديما بين بني إسرائيل واليهود، فأثنى على المؤمنين منهم، وذم البعض الآخر،



3) قسم القرآن الكريم اليهود إلى فرقتين مؤمني أهل الكتاب، ذكر صفاتهم وأثنى عليهم وهم قلة، والثانية هي الفرقة الكافرة وهم الأغلبية منهم.
4) إن استهداف فرعون لذكور بني إسرائيل، إنما أراد به القضاء على النسل البشري، وهذا يشكل حقدا في قلوب اليهود.
5) ضرورة انتقاء المجاهدين الأتقياء ، من بين المسلمين ليخوضوا معارك التحرير ضد عدوهم، كي يعيدوا حقوق المسلمين.

ثانيا: دراسة الملفوح (2009) بعنوان: (أصول الإيمان في قصة إبراهيم عليه السلام):

هدفت هذه الدراسة إلى:

1) إبراز ما يتمتع به إبراهيم عليه السلام من منزلة رفيعة عند المسلمين، فيفخر المسلمون بالانتساب له عليه السلام، فهم الورثة الحقيقيون له عليه السلام في العقيدة الصحيحة.
2) بيان ما احتوته قصة إبراهيم عليه السلام من فوائد جليلة وحكم مفيدة وخصوصاً في باب العقيدة والدعوة وحاجة الناس إلى ذلك.
3) إظهار الصفات العظيمة التي تحلى بها إبراهيم عليه السلام.

استخدمت الباحثة في هذا البحث :المنهج الاستقرائي التحليلي، وقامت بتتبع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بنبي الله إبراهيم عليه السلام واستقراء كتب التفاسير وشروح الأحاديث ومباحث العقيدة المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام.

وخلصت إلى نتائج عديدة منها:-

_ أهمية العقيدة لارتباطها بكل الأنبياء عليهم السلام، وأن دعوة الخليل عليه السلام ارتبطت بالعقيدة، ولذا اتفق الأنبياء جميعهم في دعوتهم لأقوامهم أن دعوهم إلى توحيد الله سبحانه، والإخلاص له في عبادته جل وعلا.

_ كثرة ورود اسم إبراهيم عليه السلام في القرآن فقد ورد تسعاً وستين مرة؛ وفي هذا بيان لأهمية شخصية الخليل عليه السلام في القرآن، وأن المسلمين هم أولى الناس به في اتباعه عليه السلام.

_ أهمية الدعوة في حياة إبراهيم عليه السلام فهو لم يترك باباً للدعوة إلا وساهم فيه، فقد بدأ بأبيه في الدعوة ثم قومه من عبدة الكواكب وعبدة الأصنام.

ثالثاً: دراسة جعفر (2009) بعنوان: (انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم: دراسة موضوعية)

هدفت الدراسة إلى: بيان واجب المنصورين المستضعفين بعد نصر الله لهم وهزيمة الأعداء وهلاكهم ، وقد تناولت الباحثة لتحقيق أهداف دراستها مبحثين:-

أولاً: الصـــراع مـــن أجـــل الدين وفيه نصرة القلة المؤمنة للإسلام ونصرة الكثرة الكافر للكفر.

ثانيا: الصراع من أجل الدنيا وتحدثت عن أسباب انتصار القلة المؤمنة

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعرف على أسباب الصراع بين القلة المؤمنة والكثرة الكافرة.

وكان من نتائج نصر الله المؤمنين على الكافرين:

ـــ تمكين لدين الله في الأرض.

ـــ نصرة المؤمنين واستخلافهم وتوريثهم الأرض

رابعاً: دراسة مسعود (2003) بعنوان: (الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام)

هدفت الدراسة إلى : إبراز الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام المتمثلة في الأبعاد الإيمانية والأخلاقية والنفسية والعقلية والاجتماعية.

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، **وخلص الباحث إلي العديد من النتائج** كان من أهمها:-

1) هناك ضعف لدى كثير من المسلمين في عقيدة الولاء والبراء ناجم عن عوامل عديدة منها : تعطيل الحكم بما انزل الله والتغريب،ضعف التربية في البلاد الإسلامية ،الجهل والاستشراق والتبشير، والعصبيات الجاهلية، سياسة التشكيك والتجهيل والتشويه من قبل أعداء الإسلام.
2) للولاء والبراء أبعادا تربوية عظيمة في المجالات الإيمانية و الأخلاقية والاجتماعية التي تصقل سلوك الإنسان فرداً ومجتمعاً.

خامسا:: دراسة خلة (2002) بعنوان: (سورة القصص: دراسة تحليلية وموضوعية):

وهدفت الدراسة إلى:

١- إظهار الوحدة الموضوعية في سورة القصص،وعلاقتها مع السور التي قبلها،والتي بعدها.

٢- الربط بين الجوانب التحليلية والموضوعية للسورة ،وإظهارها كسبيكة متكاملة من خلال التفسير التحليلي والموضوعي للسورة ،حسب ضوابط التفسير المتبعة.

٣- إبراز جوانب الإعجاز المختلفة في السورة ،بما يظهر غلبة القرآن على الفكر الإنساني.

٤- إظهار الموضوعات التي تعرضت لها السورة ،والتي تحقق غرض موضوعها ومحورها الرئيسي.

٥- عمل مقارنة بين الحلول القرآنية للمشكلات والحلول البشرية الوضعية ،والرد على الشبه والطعون الموجهة للإسلام.

وقد خلص الباحث إلى عدة نتائج أهمها:

أ- أهمية الدعوة إلى الله ﷻ، وتبليغ رسالة الإسلام للعالمين.

ب- هداية الناس إلى طريق الحق والصواب، هدف رئيس في دعوة السماء.

ج- إظهار الإعجاز القرآني في أجلى صورة ،وخاصةً الإعجاز البياني البلاغي فيه.

سادساً: دراسة خلف (1999) بعنوان: (قيم اليهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر).

وهدفت الدراسة إلى:

1) الكشف عن قيم اليهود كما جاءت في قصص بني إسرائيل في القرآن الكريم.

2) إبراز دور القيم اليهودية في توجيه فكرهم التربوي.

وتناول الباحث القيم اليهودية من خلال الآيات القرآنية في قصص بني إسرائيل **واتبع الباحث المنهج : الوصفي التحليلي بإتباع الخطوات التالية:**

* معرفة الهدف العام والمضمون الفكري للآية.

* تصننيف القيم المتضمنة في الآيات القرآنية.

* عرض القيم على محكمين.

وفي النهاية خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

♦ أن القرآن يمثل الإطار النظري في الإسلام وأن التربية الإسلامية استمدت مقوماتها منه.

♦ اتضح دور القصة في غرس القيم الإيجابية في نفوس النشء وقدرتها على معالجة القيم السلبية.

♦ ضرورة استخدام المربي للأساليب التربوية المتنوعة: كالقصة، والمثل، والعبرة، والأحداث.

♦ توعية الأجيال المسلمة بتاريخ اليهود وسلوكهم وعداوتهم للمسلمين.

سابعاً: دراسة الشنطي (1998) بعنوان: (المضامين التربوية في سورتي الإسراء والكهف):

هدفت الدراسة إلى: بيان وجه الحاجة إلى القرآن الكريم بوصفه مصدرا أساسيا لتربية الإنسان والمجتمع المسلم من خلال استنباط مضامين تربوية تشمل الأسس والمفاهيم والمبادئ والأساليب والخبرات التربوية والتي تشكل في مجموعها عناصر رئيسية في المنهج التربوي قد يستفيد منها المربون.

ولقد استخدمت الباحثة المنهج: الوصفي التحليلي: حيث تم استنباط مضامين تربوية من الآية ثم إدراجها تحت الجانب الخاص بها من الجوانب التي ذكرت في البحث.

وقد أسفر البحث عن عدة نتائج منها:

_ بين أن العقيدة الصحيحة هي أساس البناء في المنهج التربوي فإذا ما تم بناء الإنسان علي هذا الأساس سهل علي المربي أن يقيم بعد ذلك الدعائم الأساسية في التربية.

_ أن القرآن يشتمل علي الكثير من المفاهيم التربوية الشاملة والمتكاملة

ثامنا: دراسة طهطاوي (1996) بعنوان: (القيم التربوية في القصص القرآني)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الدور الذي تلعبه القصة القرآنية في غرس القيم الإسلامية في نفوس النشء والتعرف إلي أهم القيم التربوية في القصص القرآنية. **وقد اتبع الباحث منهج:** تحليل المحتوى باستخراج بعض القيم التربوية التي وردت في السور القرآنية وقام بدراستها دراسة تحليلية واستنباط الانعكاسات لهذه القيم في حل المشكلات التربوية

وفي النهاية خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

* أن القصة القرآنية تنفرد بخصائص ومميزات لا توجد في أي نوع آخر من القصص وأننا نستطيع من خلالها غرس القيم التربوية في نفوس النشئ.
* أن القصة القرآنية تحقق أهداف التربية الإسلامية وأنه من خلالها يمكن نقل صورة حية لحياة الأمم السابقة.

تاسعا: دراسة الهوبي (1987)بعنوان: (معالم الصراع الإيماني في قصة موسى).

وقد تناول الباحث الصراع الذي دار في قصة سيدنا موسى وما يحويه من معاني غزيرة ومعالم بارزة كثيرة مفيدة **وهدفت الدراسة إلى:** تجلية الصراع الإيماني من خلال قصة موسى وإيجاد المناخ الملائم لانقلاب الناس إلى الصراع الإيماني الحق الذي يرضي الله.

وتعود أهمية الدراسة على أنها تحتوي على قيم علمية كبيرة ويعالج مشاكل الحاضر والمستقبل.

وقد اتبع الباحث المنهج التحليلي الوصفي مبنياً على الاستقراء أو الاستقصاء فقام بجمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الصراع الإيماني وصنفها حسب موضوعاتها.

وفي النهاية خلص الباحث إلى عدة نتائج منها:

1: إن خائض الصراع الإيماني لابد له أن يتأهل بالعلم أولاً.

2: إن أسلوب الرفق واللين مهم في الصراع الإيماني ومحافظة الداعية على مصداقيته في القول والعهد والوعد والأمانة، وإن الإسلام هو الغالب والمنتصر.

تعقيب عام على الدراسات:

❖ اتفقت معظم هذه الدراسات مع الدراسة الحالية على ضرورة دراسة القرآن دراسة تربوية متعمقة لاستنتاج مقومات تربية الأمة وحل مشكلاتها.

- ❖ بينت الدراسة الأولى موقف اليهود من الابتلاء بظلم آل فرعون ومدى قدرتهم على الصبر والتحمل وموقفهم من نعم الله تعالى عليهم.
- ❖ أكدت على ضرورة تربية الإنسان على العقيدة السليمة والسلوك الصحيح وذلك من خلال استنباطها من قصص الأنبياء (عليهم السلام).
- ❖ وبينت الدراسة الثالثة أن النصر دائما حليف الفئة الصابرة المحتسبة وركزت علي أسباب هذا الانتصار وأسباب هزيمة المجرمين الكفرة.
- ❖ كشفت معظم هذه الدراسات أن القرآن يعد مصدراً رئيساً غنياً بالجانب التربوي.

استفادت الباحثة من الدراسات السابقة:

كتابة بعض المفاهيم المتعلقة بالأبعاد التربوية وتصنيفها ووظائفها للفرد والمجتمع، ووقفت الباحثة على مناهج متعددة في كيفية استنباط الأبعاد من القصص القرآنية مما ساعدها في التعرف على واقع البحث التربوي الإسلامي، حيث إن كثيراً من جوانبه لا زالت تعاني من قصور.

وتميزت هذه الدراسة بأنها تناولت:

* جملة من الأبعاد التربوية في قصة سيدنا موسى عليه السلام في حين استهدفت دراسة (الهوبي) الجانب التفسيري فقط.

* الوقوف على كل حدث في حياة سيدنا موسى ودراسته دراسة تربوية بحتة.

* تناولت الأبعاد التربوية لكل بعد من الأبعاد بصورة مفصلة وانعكاس ذلك على حياة الأمة علماً وعملاً.

الفصل الثاني

نبذة عن سيدنا موسى عليه السلام

أولاً: اسمه ونسبه ومولده

ثانياً: صفاته الخلقية

نشأته

شبابه وزواجه

نبوته ورسالته

مناقبه وفضائله

وفاته عليه السلام

أولاً: اسمه ونسبه ومولده:

هو موسى بن عمران بن قامت بن عازر بن لاوي بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. (ابن كثير، 1992 : 296)

وأمه لوحا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب. (القرطبي، 1423هـ : 250/13)

ولد في عام من الأعوام التي يقتل فيها الغلمان، في وسط من القهر والذل والطغيان والتجبر، حيث كانوا يقتلون في سنة ويتركون في أخرى. (ابن كثير، 1992 : 299)

ثانياً: صـفاته عليه السلام الخـلقية:

فقد قال النبي ﷺ: **[لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رَأَيْتُ مُوسَى وَإِذَا هُوَ رَجُلٌ ضَرْبٌ رَجِلٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ]**. (البخاري، ، 1422هـ : 153/4، ح 3394)

ضرب أي: "نحيف خفيف اللحم". (ابن الأثير، د:ت : 78/3)

ورَجِلٌ: أي: "أن شعره بين الجعودة والسبوطة، وهي استرسال الشعر، والجعودة ضدها". (ابن الأثير، د:ت : 275/1)

وفي حديث آخر: **[مُوسَى آدَمُ طُوَالٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ]**. (البخاري، 1422هـ: 153/4، ح3396)

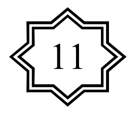
كان طويلاً أسمر اللون، وشبهه النبي برجال شنوءة وهي قبيلة في اليمن، كانوا معروفين بالطول، كما أنه كان قوياً ويدل على ذلك قوله سبحانه: ﴿...إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:26].

يبيِّنُ الله تعالى الوضع الذي ولد فيه عليه السلام فيقول: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:4].

نشأته عليه السلام:

أخذ فرعون يذبح ويقتل مواليد بني إسرائيل الذكور، ويذر مواليدهم الإناث حيث إن الكهنة أخبروه بأن مولوداً يولد من بني إسرائيل يكون ذهابُ ملكه على يديه.

ففي هذا الوسط الرهيب ولد سيدنا موسى، فأوحى الله تعالى لأمه بإرضاعه وإلقائه في اليم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا



رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7]، وقال تعالى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:38-39] ثم حدث ما لم يكن متوقعاً، بأنه وقع عليه السلام في يد الفراعنة.

﴿فَالتَقَطَهُ آَلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ۞ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:8-9].

ثم يصور الله تعالى فؤاد الأم الفاقدة لابنها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:10] وأرسلت أخته لتأتي بخبره ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:11].

وإن الله حرم عليه المراضع كلها حتى يعيده لأمه، قال تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص:12]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه:40] وهكذا رجع موسى إلى أمه كي تقر عينها فقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:13]، وقال سبحانه: ﴿...فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾ [طه:40]، ثم إن موسى أعيد إلى قصر فرعون، ونشأ فيه، فشاء الله أن ينجو موسى عليه السلام من بطش فرعون، بل وربي في بيته، وهو لا يدري أن هلاكه على يديه، فقضى موسى مرحلة صباه كما يعيش أبناء الملوك.

إن موسى عليه السلام قضى مرحلة طويلة في قصر فرعون من مرحلة شبابه، قال تعالى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:18] ثم حدث ما لم يتوقع، غيَّر مجرى حياته عليه السلام حيث قتل القبطي والآيات توضح ذلك، قال تعالى: ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى

حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ۞ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ ۞ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [القصص:15-20] وهكذا انتشر خبر القتل في المدينة، فأرادوا البطش بسيدنا موسى ولكن الله تعالى نجّاه، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الشعراء:20-21].

شـــبابه وزواجـــه:

خرج موسى عليه السلام دون طعام ولا شراب من بلاد الظلم والجبروت والاستعباد، وهداه الله على بلدٍ ينعم فيها بالراحة والحرية ويجد فيها سبل العيش الكريم ويرزق فيها بالزوجة الصالحة وهذا ما وضحته الآيات، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ۞ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص:22-28].

ويصور ابن كثير حال سيدنا موسى عليه السلام بقوله: "سار موسى من مصر إلى مدين ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدمه. وجلس في الظل، وهو صفوة الله من خلقه، وإن بطنه لاصق بظهره من الجوع، وإن خضرة البقل لترى من داخل جوفه وإنه لمحتاج إلى شق تمرة". (ابن كثير، 1999 : 227/6)

نـــبوته ورســـالته:

ثم بعد أن وفّى موسى الأجل أخذ أهله وسار بهم من مدين إلى مصر وفي طريق عودته لمصر أكرمه الله بالنبوة والرسالة، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:29]، وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى ۞ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوَادِ المُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ۞ إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:11-14] بُعث عليه السلام نبياً ورسولاً إلى قومه، اصطفاه الله جزاءً له لأنه كان من المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ﴾ [القصص:14].

مـــناقبه وفـــضائله:

يمكن استنباط ذلك من خلال الآيات الكثيرة التي تعرضت لحياته عليه السلام، فقد حاز على مناقب شتى ومنها:

1- **النبوة والرسالة:** ﴿ وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:51]، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف:144].

2- **تكليم الله إياه ومناجاته عليه السلام:** قال تعالى: ﴿ ...وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء:164]، ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم:52].

انفرد عليه السلام بأن كانت رسالته بتكليم الله له مباشرة. (الوكيل، 1415هـ : 131/2)

3- الوجـاهة عـند اللـه:-

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا**﴾ [الأحزاب:69] أي له وجـاهة وجـاهٌ عـند ربه ﷻ، فقد كان مستجاب الدعوة إلا سـؤاله الرؤية، فإن الله تعالى لم يشأ أن تكون لأحد مـن عـباده فـي الدنيا، وقـد اسـتجاب الله شـفاعته فـي أخيه هارون عليه السلام فـي أن يـكون نبياً ووزيراً له في الدعوة إلى الله. (ابن كثير، 1999 : 487/6)

4- **أحد أولي العزم من الرسل** وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام..أولي الحزم والجلد والصبر.

5- **صاحب أمَّة عظيمة:** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **[عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ وَرَأَيْتُ سَـوَادًا كَثِيرًا سَـدَّ الأُفُقَ فَـقِيلَ: هَـذَا مُـوسَى فِي قَوْمِهِ].** (البخاري، 1422هـ : 158/4، ح 3410)

6- **محبة الله له وتحبيبه إلى الخلق، فلا يراه أحد إلا أحبه:** قال تعالى: ﴿...**وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾ [طه:39]، كذلك أثنى الله عليه في القرآن وصرّح باصطفائه واختياره ﴿...**إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي**...﴾ [الأعراف:144].

7- **رعاية الله له منذ طفولته وبسط قصته في القرآن منذ الولادة** ﴿...**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي**﴾[طه:39] أي لتربى بمرأى ومنظر مني.

8- **الحياء المتميز:** حيث قال ﷺ: **[إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ...].** (البخاري، 1422هـ : 156/4، ح 3404)

9- **الصلاة في قبره عليه السلام:** قـال ﷺ: **[مَرَرْتُ عَلَى مُوسَى لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ].** (مسلم، 1972 : 1845/4، ح 2375)

10- **فضله في التخفيف عن الأمة في عدد الصلوات،** فقد قال النبي ﷺ: **[...فَفَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ حَتَّى أَمُرَّ بِمُوسَى فَقَالَ مُوسَى: مَا الَّذِي فَرَضَ عَلَى أُمَّتِكَ قُلْتُ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلاةً، قَالَ فَرَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ فَوَضَعَ شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ فَرَاجَعْتُ رَبِّي فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ فَقُلْتُ: قَدْ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي].** (البخاري، 1422هـ : 158/4، ح 3408)

11- **اقتران ذكره وذكر كتابه، بذكر رسولنا محمد ﷺ** وبذكر القرآن لأن كتابيهما أفضل الكتب، وشريعتهما أكمل الشرائع، ونبوتهما أعلى النبوات وأتباعهما أكثر المؤمنين.

12- ومن فضائله ما جاء في قول النبي ﷺ: **[لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَى بَاطِشٌ بِجَانِبِ الْعَرْشِ، فَلا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَثْنَى اللَّهُ]**. (البخاري، 1422ه، ح 3408)، إما أنه يفيق عليه السلام قبل النبي وإما يكون فيمن استثنى الله وذلك قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ...﴾ [الزُّمر:68].

13- **أحد الأنبياء الذين أمر النبي محمد ﷺ بالاقتداء بهم** في قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام:84].

وفـــاته عليه السلام:

توفي موسى بعد أن بلّغ رسالة الله على أكمل وجه دون أن يترك شيئاً من الأمانة، ودفن عليه السلام في الأرض المقدسة بفلسطين، قال ﷺ: **[جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عليه السلام عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ ففقأها، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْدٍ لَكَ لا يُرِيدُ الْمَوْتَ وَقَدْ فقأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى عَبْدِي فَقُلْ: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَةٍ فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً. قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ رَبِّ أَمِتْنِي مِنْ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَرٍ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ]**. (مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، 1972 : 1842/4، 2372)

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۝ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ۝ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ ۝ وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ ۝ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۝ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصَّافات:114-122].

الفصل الثالث

الأبعاد الإيمانية

الأبعاد التربوية الإيمانية (العقائدية) في قصة موسي عليه السلام

أولاً: سلامة التوحيد

ثانياً: التوكل على الله

ثالثاً: الدعاء

رابعاً: الشكر

خامساً: الابتلاء وتكفير الذنوب

سادساً: الهداية والاستقامة

سابعاً: ولاية الله للمؤمنين ترفع منزلة العبد

ثامناً: استخدام الخوارق لإقامة الحجة

إن قصص القرآن الكريم عامة من الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة، لما تتضمنه من دروس لها أثر كبير في سلوك الأفراد والجماعات، والأبعاد التربوية التي تسعى الباحثة للوصول إليها كتلك المتعلقة بقصة سيدنا موسي عليه السلام، والتي هي إحدى قصص القرآن الكريم، وتعد القصص من أهم موضوعات القرآن، وتأخذ حيزاً واسعا من مساحته الإجمالية، وفيها إخبار عن سِيَرِ أشخاص وأقوام، كان في طريقة حياتهم وبعد مماتهم أعظم الدروس، كان منهم نماذج للخير والهداية، ونماذج أخرى للشر والغواية، والقصة تتبع آثارهم وتروي أخبارهم، والسامع أو القارئ يجد لها أبلغ الأثر، فتأثيرها على القلب أقوى من تأثير الموعظة المجردة أو الكلمة الملقاة، أو حتى الترغيب والترهيب، وهو يتعدى الانفعال والمشاركة الوجدانية إلى تقليد الشخصية الخيّرة، والبعد عن صفات الشخصية الشريرة، وقصة موسى عليه السلام من أهم قصص القرآن وأطولها، وقد وردت في سور كثيرة تزيد على الثلاثين، ذُكر فيها حلقات كثيرة من حياته ظهرت فيها شخصية موسى الرسول الداعية المربي، وهو بهذه الصفات يمكن أن يكون نموذجاً يُحتذى – في أفعاله وأقواله، والناس اليوم بحاجة إلى القدوة الحسنة والنموذج الكامل الذي يملأ عيونهم، ويستجيش الخير في نفوسهم.

لذلك كان لا بد من الوقوف على أهم الأبعاد في قصة سيدنا موسى لما لها من أثر بالغ على الأمة اعتقاداً وسلوكاً.

فعند الحديث عن التربية الإسلامية نجد أنها عنيت منذ البداية بتربية الفرد لينشأ نشأةً تتواءم مع مهمته في الحياة فنجد أن القرآن قدم من خلال قصص الأنبياء منهاجا للحياة بشتى أبعادها ومجالاتها، لذا بات من الضروري أن يستشعر الفرد قيمة القصص القرآنية وما لها من أبعاد وآثار تنعكس بالإيجاب على سلوكه، ويعي دورها الفاعل في بلورة ملامح شخصيته الإسلامية، ورسم أبعادها من خلال الاقتداء بسير هؤلاء الرسل لتكون مربية وموجهة له.

ونبدأ بالبعد الإيماني العقائدي الذي هو من أولى الأبعاد وأهمها في حياة كل إنسان على الأرض عموما وللإنسان المسلم على وجه الخصوص.

أولاً: الأبعاد التربوية الإيمانية (العقائدية) في قصة موسي عليه السلام:

تعد العقيدة من أهم الأسس التي يعتمد عليها في تكوين المنطلقات الفكرية والأسس النفسية للفرد والموجه الرئيس لسلوكه أخلاقيا واجتماعيا.

أما عن معنى العقيدة لغة فقد جاء في لسان العرب: "عقد قلبه على الشيء أي: لزمه" (ابن منظور، 1424هـ : 367/3)

والعقيدة ما عقد عليه القلب والضمير "أي ما تدين به الإنسان واعتقده" (المنجد، 2002: 569)

والعقيدة كذلك هي: "الحكم الذي لا يقبل الشك في معتقده" (مصطفي وآخرون، 1985 : 614).

أما العقيدة اصطلاحاً: فهي كما عرفها (النحلاوي، 1979 : 69): "هي الأفكار التي يؤمن بها الإنسان، وتصدر عنها تصرفاته وسلوكه، وهي تطلق علي أركان الإيمان، وما يتفرع عنها من توحيد الألوهية والبعد عن كل شبهات الشرك".

"وهي عبارة عن التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله الخالق وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها" (الكيلاني، 1991 : 106).

وذهب قطب إلى اعتبار أن "العقيدة هي القضية الكبرى وهي الأساس في البناء" (قطب، 1982 : 36).

وتذهب الباحثة إلى أن الأبعاد التربوية العقائدية : "الدلالات والحكم التربوية المستفادة من قصة سيدنا موسى عليه السلام في المجال الإيماني العقائدي".

وكلنا يعلم الحال الذي يعيشه العالم الإسلامي وسط التيارات الكثيرة والمتنوعة، والمسلم بين هذه الشعارات والتيارات تائه حيران، لا ينقذه من الوقوع في شركها إلا الفهم الدقيق والإيمان العميق لدين الله عز وجل؛ فالإيمان ضروري لكل مسلم ليواجه به هذه الموجات المتلاحقة من قوى الشر والطغيان "فالإيمان هو أصل الحياة الكبير الذي ينبثق منه كل فرع من فروع الخير، وتتعلق به كل ثمرة من ثماره، و إلا فهو فرع مقطوع من شجرته، صائر إلى ذبول وجفاف، وإلا فهي ثمرة شيطانية وليس لها امتداد أو دوام"!! (قطب، 1980 : 3966/6).

ويشير (النحلاوي، 1979 : 71) إلى "أن الإيمان هو أساس العقيدة وحجر الزاوية لنظام الإسلام كله، وإن التربية التي تعني بتنشئة الإنسان المسلم المنطبع بطابع الإسلام العامل بكل تعاليمه، يجب أن تبني علي أساس الإيمان بكل أركان الدين".

وانطلاقا من الفهم السابق يمكن إبراز الأبعاد الإيمانية كما وردت في قصة سيدنا موسي عليه السلام في المجال الإيماني العقدي على النحو الآتي.

- سلامة التوحيد.
- التوكل على الله.
- الدعاء.
- شكر الله تعالى.

- الابتلاء وتكفير الذنوب.
- ولاية الله للمؤمنين ترفع منزلة العبد.
- الهداية والاستقامة.
- استخدام الخوارق.

أولاً: سـلامـة التـوحيد:

إن من أعظم ما امتن به الله تعالى على عباده أنه أرسل إليهم رسلاً من أنفسهم، يرشدونهم إلى طريق الخير، ويصرفونهم عن الغواية والشر.

ومن أجل ما أتت به الرسل دعوة البشرية إلى التوحيد، وعبادة الله وحده لا شريك له ،لأن في ذلك السبيل إلى مرضاة الله تعالى، وبالتالي نيل السعادة في الدنيا والآخرة.

ولقد قرر القرآن الكريم أن الفطرة السليمة تقر بوجود الله من غير دليل لذلك كانت عقيدة التوحيد التي أسسها الأنبياء عقيدة خالصة ناصعة شاملة متكاملة واجهوا بها الوثنية مواجهة حاسمة كما صورها القرآن الكريم.

وكذلك جاء الإسلام لينقي العقيدة مما شابها من شوائب دخيلة فيتبين أن التوحيد من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وأن التوحيد لا بد أن يكون هو أحب الأشياء للعبد لقوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [الرُّوم:30].

فالتوحيد لغة: أصل التوحيد من وحد، يوحد توحيداً على وزن تفعيل، ومعناه نسبة الشيء إلى الوحدانية.

ويعني التوحيد كذلك: الإيمان بالله وحده لا شريك له.(ابن منظور، 1424هـ: 552/3)

التوحيد شرعاً: "هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتاً وصفات وأفعالاً" (السفاريني، 1982 : 57/1).

"وإن الحياة لا تستقيم ولا تصلح إلا على أساس الإيمان بالله الواحد، والعبودية لإله واحد...وإن الأرض لتفسد حين لا تتمحض العبودية لله في حياة الناس . . . إن العبودية لله وحده معناها أن يكون للناس سيد واحد، يتوجهون إليه بالعبادة وبالعبودية كذلك، ويخضعون لشريعته وحدها فتخلص حياتهم من الخضوع لأهواء البشر المتقلبة، وشهوات البشر الصغيرة!...إن الفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية حين يكون هناك

أرباب متفرقون يتحكمون في رقاب العباد – من دون الله – وما صلحت الأرض قط ولا استقامت حياة الناس إلا أيام أن كانت عبوديتهم لله وحده – عقيدة وعبادة وشريعة – وما تحرر الإنسان قط إلا في ظلال الربوبية الواحدة" (قطب، 1980 : 1345/3).

ولقد جاء موسى عليه السلام بهذه الحقيقة التي جاء بها كل رسول قبله. حقيقة ربوبية الله الواحد للعالمين جميعاً . . ألوهية واحدة وعبودية شاملة، فإن العقيدة التي جاء بها الرسل جميعاً عقيدة واحدة ثابتة؛ تقرر ألوهية واحدة للعوالم جميعها..

وواجه موسى عليه السلام فرعون وملأه بهذه الحقيقة الواحدة، التي واجه بها كل نبي – قبله أو بعده – عقائد الجاهلية الفاسدة . . واجهه بها وهو يعلم أنها تعني الثورة على فرعون وملئه ودولته ونظام حكمه . . إن ربوبية الله للعالمين تعني – أول ما تعني – إبطال شرعية كل حكم يزاول السلطان على الناس بغير شريعة الله وأمره؛ وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له – من دون الله – بإخضاعهم لشرعه هو وأمره . . واجهه بهذه الحقيقة الهائلة بوصفه رسولاً من رب العالمين . . ملزماً ومأخوذاً بقول الحق على ربه الذي أرسله، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:14].

أي: "الله المستحق الألوهية المتصف بها، لأنه الكامل في أسمائه وصفاته، المنفرد بأفعاله، الذي لا شريك له ولا مثيل ولا كفو ولا سمي، ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ بجميع أنواع العبادة، ظاهرها وباطنها، أصولها وفروعها، ثم خص الصلاة بالذكر وإن كانت داخلة في العبادة، لفضلها وشرفها، وتضمنها عبودية القلب واللسان والجوارح". (السعدي، 2000 : 503).

ويبين ابن كثير: "أن هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريك له"، وقوله: ﴿فَاعْبُدْنِي﴾ أي: وحدّني وقُم بعبادتي من غير شريك.. (ابن كثير، 1999 : 277/5).

في الآية قبل السابقة خاطبه ربه : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ﴾ [طه:12] ليُطمئنه ويُؤنسه بأنه المربِّي العطوف، يعطي حتى للكافر الذي يعصيه، لكن هنا يخاطبه بقوله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ﴾ [طه:14] أي: "صاحب التكاليف، والمعبود المطاع في الأمر والنهي، وأوّل هذه التكاليف وقمّتها، والينبوع الذي يصدر عنه كل السلوك الإيماني: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾" [طه:14]. (الشعراوي، د:ت : 5646/1).

ثم يخاطب القرآن الكريم في موضع آخر موسى وهارون عليهما السلام بقوله:﴿ **فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ**﴾ [الشعراء:16] فأخبراه بمهمتكما في غير حذر ولا تلجلج: ﴿ **فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الشعراء:16]، فهما رسولا رب العالمين. في وجه فرعون الذي يدعي الألوهية.

فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر. فهي حقيقة واحدة لا تحتمل التدرج والمداراة . وإعلان ربوبية الله للعالمين لا يجتمع مع خضوع أحد من العالمين لغير الله، ولا يجتمع مع حاكمية أحد بشريعة من عنده للناس، لذلك قد ينحرف البعض في اتجاهه عن المعبود الحق بسبب التأثر ببعض المؤثرات "ومما لا شك فيه أن المنتسبين إلى الإسلام اليوم في أشد الحاجة إلى عملية التطهر وذلك لأن عقائد كثير من المسلمين وعباداتهم استحكمت فيها الانحرافات. والانحراف الكبير الذي أصاب البشرية في تاريخها لم يكن بإنكار وجود الله والعبودية له، بل بتوجيه العبادة لغيره، أو إشراك آلهة أخرى معه من مخلوقات الأرض أو السماء" (القرضاوي، 1990م : 91).

لذلك وجدنا أن الله تعالى خاطب موسى في بداية الأمر برسالة التوحيد فعرفه سبحانه وتعالى بنفسه وأنه لا اله غيره في الأرض ولا في السماء فعليه تبليغ فرعون بذلك.

فتم الحوار بين موسى وفرعون ﴿ **وَقَالَ مُوسَى**﴾ [الأعراف:104] حين جاء إلى فرعون يدعوه إلى الإيمان. ﴿ **يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ**﴾ [الأعراف:104].

وبيّن ذلك السعدي "إني رسول من مرسل عظيم، وهو رب العالمين، الشامل للعالم العلوي والسفلي، مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه، ويدعي أنه أرسله ولم يرسله". (السعدي، 2000 : 299).

يشرح لنا القرآن أمر بلاغ موسى لفرعون وقومه بأن الله واحد أحد وهو رب العالمين، ويؤكد (السعدي،2000) بأن قوم فرعون كانوا يعتقدون بوجود إله للسماء وآخر للأرض، لذلك يبلغهم موسى بأن الإله واحد ﴿ **قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ**﴾ [الشعراء:24].

ونجد موسى يكرر كلمة الربوبية في آيات أخرى؛ ليأتي بالمظهر الذي دُسَّت فيه دسيسة الربوبية لفرعون، وكانوا يعتقدون أن للسماء إلهاً، وللأرض إلهاً آخر، فقال موسى: إنني أتكلم

عن الإله الواحد الذي هو رب السماء والأرض معاً فلا إله إلا الله وحده. وكانوا يعتقدون أن للشرق إلهاً، وللغرب إلهاً، فأبلغهم موسى بأنه إله واحد، وكانوا يعتقدون أن للأحياء ألهاً ورباً، وللأموات إلهاً ورباً، فقال لهم موسى: ﴿ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ ﴾ [الشعراء:26].

ويبلغ هنا موسى فرعونَ وقومَه: ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:104] (الشعراوي، د:ت/ 1: 2983).

وبهذه الحقيقة الكبيرة . . حقيقة الربوبية الشاملة للعالمين . . طلب موسى من فرعون أن يطلق معه بني إسرائيل . .

إن بني إسرائيل عبيد لله وحده؛ فما ينبغي أن يعبدهم فرعون لنفسه! إن الإنسان لا يخدم سيدين، ولا يعبد إلهين. فمن كان عبداً لله، فما يمكن أن يكون عبداً لسواه. وإذ كان فرعون إنما يعبد بني إسرائيل لهواه؛ فقد أعلن له موسى أن رب العالمين هو الله. وإعلان هذه الحقيقة ينهي شرعية ما يزاوله فرعون من تعبيد بني إسرائيل!

"إن إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان. تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير الله. تحريره من شرع البشر، ومن هوى البشر، ومن تقاليد البشر، ومن حكم البشر" (قطب، 1980 : 1346/3).

أيضا قوله تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ ﴾ [الشعراء:23].

إنه يسأل: أي شيء يكون رب العالمين الذي تقول: إنك من عنده رسول؟ وهو سؤال المتنكر للقول من أساسه، المتهكم على القول والقائل، المستغرب للمسألة كلها حتى ليراها غير ممكنة التصور، غير قابلة لأن تكون موضوع حديث! فيجيبه موسى عليه السلام بالصفة المشتملة على ربوبيته تعالى للكون المنظور كله وما فيه: ﴿ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء:24].

"وهو جواب يكافئ ذلك التجاهل ويغطيه . . إنه رب هذا الكون الهائل الذي لا يبلغ إليه سلطانك يا فرعون ولا علمك . وقصارى ما ادعاه فرعون أنه إله هذا الشعب وهذا الجزء من وادي النيل" ... (قطب، 1980: 2592/5).

وعلى هذه الحقيقة أُمر موسى عليه السلام أن يبني طلبه من فرعون إطلاق بني إسرائيل : ﴿يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:104]، ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الأعراف:105].

وبعد ذلك الحوار الطويل قبل موسى التحدي مع سحرة فرعون إلي أن فوجئ فرعون بهذا الإيمان المفاجئ الذي لم يدرك دبيبه في القلوب ولم يتابع خطاه في النفوس؛ ولم يفطن إلى مداخله في شعاب الضمائر . . ثم هزته المفاجأة الخطيرة التي تزلزل العرش من تحته : مفاجأة استسلام السحرة – وهم من كهنة المعابد – لرب العالمين . رب موسى وهارون . بعد أن كانوا مجموعين لإبطال دعوة موسى وهارون، ﴿قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ العَالَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف:121-122].

ثبتوا على إيمانهم على الرغم من تهديد فرعون بالعذاب وبالقتل والتصليب،مع أنه كان يمكن أن يكون لهم شأن لو لم يؤمنوا إذ لم يكونوا مستضعفين، ولكن أثر الإيمان عندما يستقر في القلوب.

وبعد ذلك من الله علي بني إسرائيل وأغرق فرعون وجنده ووعد الله سيدنا موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة فيها التشريع لبنى إسرائيل بعد إغراق فرعون،ووعد الله موسي عليه السلام ثلاثين ليلة ولكنه زادها عشرا فتم ميقات ربه أربعين ليلة وترك موسى أخاه هارون عليه السلام في بني إسرائيل وهو يدرك ما سيحدث منهم من إفساد وتخريب لأنهم طلبوا منه أن يجعل لهم إله ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آَلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۞ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف138-139].

"إن العهد لم يطل بهم منذ أن كانوا يسامون الخسف في ظل الوثنية الجاهلية عند فرعون وملئه؛ ومنذ أن أنقذهم نبيهم وزعيمهم موسى عليه السلام باسم الله الواحد – رب العالمين– الذي أهلك عدوهم؛ وشق لهم البحر؛ وأنجاهم من العذاب الوحشي الفظيع الذي كانوا يسامون . . إنهم خارجون للتو واللحظة من مصر ووثنيتها؛ ولكن ها هم أولاء ما إن يجاوزوا البحر حتى تقع أبصارهم على قوم وثنيين، عاكفين على أصنام لهم، مستغرقين في طقوسهم الوثنية؛ وإذا هم يطلبون إلى موسى – رسول رب العالمين – الذي أخرجهم من مصر باسم الإسلام والتوحيد، أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد! فها هم أولاء ما يكادون يمرون بقوم يعكفون على أصنام لهم حتى ينسوا تعليم أكثر من عشرين عاماً منذ أن جاءهم موسى عليه السلام بالتوحيد – فقد ذكرت بعض الروايات أنه أمضى في مصر ثلاثة وعشرين عاماً منذ أن واجه فرعون وملأه برسالته إلى يوم الخروج من مصر مجتازاً ببني إسرائيل البحر – بل حتى ينسوا معجزة اللحظة التي

أنقذتهم من فرعون وملئه وأهلكت هؤلاء أجمعين! وهؤلاء كانوا وثنيين، وباسم هـذه الوثنيـة استذلوهم"... (قطب، 1980 : 1366/3).

ومن دعوة التوحيد الخالص التي جاء بها سيدنا موسى عليه السلام وهذه العقيدة الناصعة وهذا الاعتقاد قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [البقرة:83].

ومن خلال العرض السابق يتبن أنه لا بد من سلامة التوحيد لله عز وجل، لأن الإيمان لـن يكون مثمرا إلا بالخضوع لله رب العالمين. لذلك وجدنا كيف أن كل خلل في معرفة الله تبعـه خلل عند الأفراد والجماعة في سلوكها وهدايتها، فصلاح البشر في شتى أمور الحياة مرده إلـى صلاح الاعتقاد، وفسادهم راجع إلى فساده. لذلك فسلامة التوحيد لها ثمارها التربوية التي تعود علي الفرد المسلم منها ومن تلك الثمار:

1- تحرير الفرد من كل عبودية سوى عبادة الله تعالى فلا يخضع ولا يذل إلا لله.
2- تصحيح أساليب التفكير عند الفرد وبالتالي تقويم سلوكه .
3- بث الطمأنينة والاستقرار، وتحقيق الاتزان النفسي، وتجنب الوقوع في الحيرة والتخبط شأن أولئك المشركين.
4- التحرر من العادات والتقاليد التي تتنافى مع العقيدة وتوجيه الإنسان إلى عدم اللجـوء إلـي غير الله.
5- تحرير عقل الفرد من الركون إلى السحر والشعوذة والتنجيم بكافة أشكاله.
6- حفظ كرامة الإنسان وتحصينه من شهوات النفس الأمر الذي يسهم في تنشئة أجيال النصر.

ثانياً: التـوكل عـلى اللـه:

وكل بالله وتوكل عليه واتكل: استسلم إليه، يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي التجأت إليه واعتمدت عليه. (ابن منظور، 1424هـ : 878/11)
والتوكل مشتق من الوكالة ويسمى الموكول إليه وكيلا.

وسر التوكل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضر مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها،كما لا ينفعه قوله: توكلت علي الله مع اعتماده علي غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكل اللسان وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار

القلب شيء، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء، فقول العبد: توكلت علي الله مع اعتماد قلبه على غيره. (ابن القيم، 1418هـ : 118)

وقال القرطبي: "الركون حقيقته: الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به" (القرطبي، 1423هـ : 108/9).

كما عرفنا فيما سبق بأن أصل الإيمان هو سلامة التوحيد، فإن هذا التوحيد من عوامل صحة التوكل فلا يصح توكل العبد حتى يصح توحيده.

"فحقيقة التوكل تكمن في توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك فتوكله معلول مدخول، وعلي قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلي غير الله أخذ ذلك الالتفات شعبة من شعب قلبه فنقص من توكله علي الله بقدر ذهاب تلك الشعبة". (ابن القيم، ب:ت : 125/2).

لذلك فإن إحسان التوكل على الله من مقتضيات التوحيد الخالص لله.

ولقد توكل المؤمنون الأوائل على ربهم توكلا خالصا صادقا فانعكس عنه ونتج منه نصر مؤزر فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "حسبنا الله ونعم الوكيل".

والتوكل هو الاعتماد على الله وتفويض الأمر إلى الله- تعالي- مع الأخذ بالأسباب وقد ورد في السنة الشريفة ما يؤكد ذلك فعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [**لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**] (ابن حنبل، 1999 : 332/1، حديث 205).

أي تصبح جائعة وترجع آخر النهار ممتلئة البطون بما رزقها الله.

وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: [**بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**] (النسائي، 1991 : 456/4، حديث 7923).

فعندما يتوكل الإنسان على الله يكون قد أكمل عمله، ويزداد ثقته بأن الله موفقه فيشعر بالسعادة ويمتلئ قلبه خضوعا لله ،وهذا كله من خلال الأخذ بالأسباب ، ومن ثم التوكل على الله والاعتماد عليه، فمن أصابه خير شكر الله، ومن أصابه سوء فسببه تقصير من نفسه فيحمد الله ويستغفره.

وللتوكل على الله أثر كبير في تقوية العزائم وشحذ الهمم "فهو حقيقته وواقعه قوة دافعة خفية لها في حياة المسلمين شأن عظيم، آمنوا بها، ومنحوا النصر والغلبة من خلالها ولذا كانت عزائمهم لا تلين وقواهم لا تخور فيما يصبون إليه من أمور". (العك، 1408هـ : 110).

[عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:173]. (البخاري، كتاب تفسير القرآن، 1422هـ : 39/6، ح 4563)، فكفاهم الله شر عدوهم حفظهم بفضله.

وكذلك وجدنا سيدنا موسي عليه السلام توكل على الله من بداية دعوته حتى التقائه مع فرعون وكذلك مواجهته مع قومه فمثلاً: تشجيعه لقومه بدخول الأرض المقدسة حيث قال الله تعالى: ﴿...**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ**...﴾ [المائدة:23].

"أي: ليس بينكم وبين نصركم عليهم إلا أن تجزموا عليهم، وتدخلوا عليهم الباب، فإذا دخلتموه عليهم فإنهم سيهزمون، ثم أمَرَاهم بعدة هي أقوى العدد، فقال: ﴿...**وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة:23].

"فإن في التوكل على الله – وخصوصا في هذا الموطن– تيسيرا للأمر، ونصرا على الأعداء. ودل هذا على وجوب التوكل، وعلى أنه بحسب إيمان العبد يكون توكله، فلم ينفع فيهم هذا الكلام، ولا نفع فيهم الملام، فقالوا قول الأذلين: ﴿...**يَا مُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ**﴾ [المائدة:24].

فما أشنع هذا الكلام منهم، ومواجهتهم لنبيهم في هذا المقام الحرج الضيق، الذي قد دعت الحاجة والضرورة إلى نصرة نبيهم، وإعزاز أنفسهم". (السعدي، 2000 :1/ 228).

فهذان رجلان من الذين يخافون الله، ينشىء لهما الخوف من الله استهانة بالجبارين! ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم! وهذان هما يشهدان بقولتهما هذه بقيمة الإيمان في ساعة الشدة؛ وقيمة الخوف من الله في مواطن الخوف من الناس. فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد بين مخافتين: مخافته عز وجل ومخافة الناس . . والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده؛ ولا يخاف شيئاً سواه . .

﴿...**ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ**...﴾ [المائدة:23].

"قاعدة في علم القلوب وفي علم الحروب . . أقدموا واقتحموا . فمتى دخلتم على القوم في عقر دارهم انكسرت قلوبهم بقدر ما تقوى قلوبكم؛ وشعروا بالهزيمة في أرواحهم وكتب لكم الغلبة عليهم . .

﴿ ...وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:23].

فعلى الله – وحده – يتوكل المؤمن. وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته؛ وهذا هو منطق الإيمان ومقتضاه" (قطب، 1980 : 870/2).

ولقد وعي المؤمنون هذا الدرس فحين واجهوا الشدة وهم قلة أمام نفير قريش في غزوة بدر، قالوا لنبيهم: **[إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ وَلَكِنْ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا مَعَكُمْ مُقَاتِلُونَ]**. (ابن حنبل، 1999 : 385/7، ح 3476).

ويقول تعالى مخبراً عن موسى أنه قال لبني إسرائيل: ﴿ ...يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:84] "فإن الله كاف من توكل عليه، ﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ...﴾ [الزُّمر:36]، ﴿ ...وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾ [الطَّلاق:3].

وكثيرا ما يقرن الله بين العبادة والتوكل، كما في قوله تعالى: ﴿ ...فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ...﴾" [هود:123]. (ابن كثير، 1999 : 288/4).

﴿ ...يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ "اعتمدوا عليه، والجئوا إليه واستنصروه". (السعدي، 2000 : 371).

ويشير قطب بأنه: "هنا لا بد من إيمان يرجح المخاوف، ويطمئن القلوب، ويثبتها على الحق الذي تنحاز إليه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آَمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾ [يونس:84].

فالتوكل على الله دلالة الإيمان ومقتضاه. وعنصر القوة الذي يضاف إلى رصيد القلة الضعيفة أمام الجبروت الطاغي فإذا هي أقوى وأثبت" ... (قطب، 1980 : 1815/3).

فالمتوكل لا بد وأن يتوكل على الله في حاجاته كلها، من أمور آخرته ودنياه، وقطع الرجاء بمن سواه ، ولم ير نفسه موضعا لاختيار نفسه لأن الله حسبه، ومن كان كذلك فقد سكن إلى روح اليقين.

وهذه المنزلة التي لا منزلة أرفع منها في سكون إلى الله، والطمأنينة بموعود الله، لأنه قد جعل الله حسبه من جميع خلقه حيث قال تعالى: ﴿...**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطَّلاق:3].

ويتضح مما سبق أن حسن التوكل على الله له ثمار تربوية تعود علي الفرد المسلم من هذه الفوائد:

- تحقيق الغايات والأهداف وخوض الحياة بالعمل الجاد بسبب التخلص من التواكل.
- التسليم والخضوع لله تعالي المنبثق من الثقة بالله الذي ولد الرضا والطمأنينة والشعور بالراحة النفسية نتيجة للتوكل.
- التحلي بالصبر مستعينا بالتوكل على الله والاستعانة به في مواجهة الأزمات.
- إيثار الصدق على غيره لأنه لم يصح لمن توكل علي الله أن يخاف غيره.

ثالثاً: الدعـــاء

الدعــاء لغـــةً: هـــو الـــعـــبادة أو التـــوحـــيد، أو الاســـتغـــاثـــة، أو الـــنـــداء. (ابـــن منظـــور، 1424 : 319/14).

قال ابن منظور: "دعا الرجل دعواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة ودعوت فلاناً أي صحت به واستدعيته" (ابن منظور، 1424 : 320/14).

أمـــا الدعـــاء فـــي الاصطلاح: سؤال الله واستغاثته، قال تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**﴾ [البقرة:68]، أي اسأله. (الأصفهاني، د:ت : 170).

فالدعاء هو: الابتهال إلى الله بالسؤال، والرغبة فيما عنده من الخير، والتضرع إليه في تحقيق المطلوب، والنجاة من المرهوب.

الدعاء من أعظم العبادات القولية، ومن أعظمها شأناً، بل هو العبادة، كما في الحديث الشريف عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: **[الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، وَقَرَأَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾ [غافر:60]]**. (سنن الترمذي، 374/5، ح 3247).

إذن ترك الدعاء يعني ترك العبادة، إذ لا يليق بالعبد أن يتكبر على ربه فيترك حاجته منه وهو خالقه والحبل الذي بين الخالق والمخلوق هو الدعاء، ولا يصدق العبد في الدعاء إلا إذا صدق مع الله.

والصدق مع الله لا يأتي إلا إذ أخلص المسلم توحيده لله تعالى، فمع التوحيد يصبح الرجاء في الله وحده، والدعاء لله وحده.

ومما يؤسف له أن كثيراً من الناس لا يشعر بضرورة الدعاء إلا في الأزمات ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى البَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت:65] فيوم تشتد الأزمات لا نجد إلا الله، ويوم تضيق بنا الكوارث فلا نجد معيناً ولا ناصراً ولا هادياً إلا الله.

فالدعاء سلاح من أسلحة المؤمنين وسر من أسرار العبودية، العبد الذي يطرق أبواب رحمة الله وفضله بالدعاء لا بد أن يصل إلى مبتغاه أو ما يَفْضُلُ مبتغاه. ومن أجب الأمور إلى الله الإلحاح في الدعاء مع الإقرار والاعتراف له سبحانه بالحكمة والعلم والكرم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **[إنّ الله تعالى يُحِبُّ المُلِحّينَ في الدُّعاءِ]**. (المناوي، 1994 : 370/2، ح 1876).

وإن الله يحب سماع أصوات العباد المخلصين وهي تلهج في طلبه وتلح في رجائه فتتودد إليه خشوعاً ورقة وخضوعاً وذلة. وقد أكثر عليهم الابتلاءات ليزدادوا من الله قرباً، لكثرة دعائهم وعظيم توددهم وتحببهم، فلا ينقطع لهم صوت في طلب الدعاء.

"فالدعاء هو حقيقة العبادة، لأن فيه العبودية وهي روح الطاعة، لأن فيه الاستجابة المخلصة وهو قوام الدين كله لأن فيه الذكر والاستغفار، ومعه الخشوع والرهبة، وبه الرجاء والخوف. ومن أجل هذه المعاني في الدعاء وبسبب أنه هو العبادة نجد المصطفى ﷺ يحث بقوة على الدعاء حيث يقول: **[سَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَجَّلَ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ]** (الترمذي، د.ت: 565/5، ح 3571).

وهناك نوعان للدعاء:-

دعاء مسألة، ودعاء عبادة، والنوعان متلازمان ومرتبطان حيث الله هو المدعو دعاء المسألة ودعاء العبادة.

قال ابن تيمية: "وكلا نوعي الدعاء مختصان بالله تعالى، حقان له لا يصلحان لغيره، بل دعاء غيره بأحد النوعين شرك" (ابن تيمية، 1392 : 457/2).

ولقد وردت كلمة الدعاء في القرآن على عدة إطلاقات منها:

1- **العبادة:** فيطلق الدعاء بمعنى العبادة، ومنه قول الله تعالى: ﴿**قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا**﴾ [الأنعام:71]، فالدعاء هو أعلى أنواع العبادة وأرفعها وأشرفها.

2- **القول:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللهُمَّ**﴾ [يونس:10].

3- **النداء:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ**﴾ [فاطر:14]، وكذلك قوله: ﴿...**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**﴾ [القمر:6].

4- **الثناء:** ومنه قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ [الإسراء:110].

5- **الاستغاثة:** ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿...**وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ**...﴾ [يونس:38].

6- **السؤال بمعنى الاستفهام والاستعلام:** ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ**﴾ [البقرة:68]، أي اسأله.

7- **السؤال بمعنى الطلب:** قال تعالى: ﴿...**يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ**...﴾ [الأعراف:134].

يقول السعدي: "كل ما ورد في القرآن من الأمر بالدعاء، والنهي عن دعاء غير الله، والثناء على الداعين يتناول دعاء المسألة، ودعاء العبادة. (السعدي، 2000 : 154-155).

إن الإيمان بالله والتوكل عليه مقرون بالعمل والدعاء، ومن أنعم الله عليه وفقه إلى اختيار الدعاء، ثم استجاب له دعاءه.

"فالدعاء مفتاح الرحمة فمن سره أن يستجيب الله دعاءه عند الشدائد، فليكثر من الدعاء في الرخاء، وليكثر الصلاة على النبي ﷺ يكفيه من أمر دنياه وآخرته" (العبادلة، 2005م: 25).

وترى الباحثة أن الدعاء نعمة من الله على البشرية حتى يدفعوا عن أنفسهم الابتلاءات وليكون رحمة وشفاء من الأمراض، فالدعاء يفرج عن المسلم ما أهَمَّه وأكْرَبَه ويدفع عنه الشدة والبلاء ويجلب له الخير في الدنيا والآخرة.

والدعاء فيه البركة وفيه العافية فيه الأمن والأمان وطمأنينة القلوب والنفوس حيث قال تعالى: ﴿**قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**﴾ [الفرقان:77] .

"فالدعاء كما قال الرسول ﷺ: **[الدُّعَاءَ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ فَعَلَيْكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِالدُّعَاءِ]** (الحاكم، د:ت : 493/1، حديث 1769).

كما يقول رسولنا الحبيب ﷺ: **[لاَ يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلاَّ الدُّعَاءُ، وَلاَ يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلاَّ الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ]** (الحاكم، د:ت : 493/1 حديث 1768).

فما أشد حاجة العبد إلى الدعاء، بل ما أعظم ضرورته إليه لسؤال ربه على الإعانة، والقبول، والتوفيق، والتسديد ليثبت على الحق، ويصبر على عثار الطريق ومشاقه، ولتصيغ له الأسماع، وتصغى إليه الأفئدة. فإن كان العبد مجاهداً في سبيل الله يطلب السكينة والثبات وإنزال الرعب في قلوب الأعداء، وإن كان مريضاً فما أشد فاقته وأعظم حاجته للدعاء. لذلك كان الأنبياء وخصوصاً أولي العزم منهم على صلة وثيقة بربهم ليعينهم على دعوتهم، حيث قال الله تعالى عنهم يمدحهم: ﴿...**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ**﴾ [الأنبياء:90].

فوصفهم بكثرة الدعاء، وسوف نعرض بعضاً من دعاء الأنبياء، ونبدأ بخليل الرحمن سيدنا إبراهيم الذي دعا بدعوته: ﴿**رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ**﴾ [الشعراء:83]، ﴿**وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآَخِرِينَ ۞ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ**﴾ [الشعراء:84-85].

وأما سيدنا نوح عليه السلام فإنه بعد أن دعا قومه استنفد جهده معهم توجه إلى الله تعالى وقال: ﴿...**رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّارًا**﴾ [نوح:26].

وكذلك من الدعاء العظيم دعاء سيدنا يونس عليه السلام حيث قال ﷺ **[دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ** ﴿...**لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**﴾ [الأنبياء:87]، **فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ]**. (الترمذي، د:ت، 529/5، حديث 3505).

وكذلك دعاء سيدنا سليمان عليه السلام عندما علم أن الملك ينتهي وأن الملك زائل فقال: ﴿...**رَبِّ اغْفِرْ لِي**...﴾ [ص:35].

وكـذلك يـوسـف عليه السلام عـندمـا قـال : ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا...﴾ [يوسف:101].

أما عن سيدنا موسى عليه السلام فقد ذكر القرآن كل الأدعية التي تتعلق بمراحل حياته وظروف دعوته.

1- دعاء موسى بعد قتل القبطي الكافر:

بعد أن ترعرع موسى عليه السلام في قصر فرعون دخل المدينة فوجد قتالاً ونزاعاً بين قبطي وإسرائيلي فاستغاثه الإسرائيلي فدفع القبطي الظالم بيده بوكزة فمات منها ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:15-17]، حيث اعترف نبي الله بخطأ لم يقصده وذنب لم يتعمده.

يعترف بظلمه لنفسه أن حملها هذا الوزر، ويتوجه إلى ربه، طالباً مغفرته وعفوه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ واستجاب الله إلى ضراعته، وحساسيته، واستغفاره: ﴿فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

"وكأنما أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز في حرارة توجهه إلى الله، أن ربه غفر له. والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء، فور الدعاء حين يصل إرهافه وحساسيته إلى ذلك المستوى، وحين تصل حرارة توجهه إلى هذا الحد.

وارتـعش وجـدان مـوسى عليه السلام وهو يستشعر الاستجابة من ربه، فإذا هو يقطع على نفسه عهداً، يعده من الوفاء بشكر النعمة ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾" [القصص:17] (قطب، 1980 : 2682/5).

نرى هنا التوجه المباشر بالطلب إلى الله واستغفاره وسؤاله المغفرة بالدعاء إلى الله تعالى وهذا ديدن المؤمنين الصادقين.

2- سؤال موسى عليه السلام ربه النجاة من فرعون وملئه:

عندما قتل القبطي خشي موسى على نفسه وأصبح خائفاً في المدينة ونجد هنا مدى التطلع إلى حمايته ورعايته ،والالتجاء إلى حماه في المخافة، وترقب الأمن عنده والنجاة ﴿...رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:21] خائفاً يترقب، وحيداً فريداً، غير مزود إلا بالاعتماد على مولاه والتوجه إليه طالباً عونه وهداه ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص:22] نلمح نفسه وهي متوجهة إلى ربه، مستسلمة له متطلعة إلى هداه، ﴿...عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص:22] (قطب، 1980 : 2685/5).

لجأ عليه السلام إلى ربه حتى ينجيه من فرعون وجنوده فاستجاب له ربه وصرف عنه كيد فرعون وحزبه ويسر له الخروج من مصر إلى بلاد الشام.

3- دعاء سيدنا موسى عليه السلام عندما وصل ماء مدين:

حيث امتن الله على عبده موسى عليه السلام بخروجه من مصر ونجاته وصل إلى مدين بعد رحلة شاقة مشاها على رجليه بلا طعام ولا شراب ،حيث كان طعامه الشجر والبقل حتى وصل ماء مدين وسقى للفتاتين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:23-24].

"رب إني فقير، رب إني وحيد، رب إني ضعيف، رب إني إلى فضلك ومنِّكَ وكرمك فقير محووج، ونسمع من خلال التعبير رفرفة هذا القلب والتجاءه إلى الحمى الآمن والركن الركين، والظل الظليل، نسمع المناجاة القريبة والهمس الموحي والانعطاف الرفيق، والاتصال العميق ﴿...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (قطب، 1980 : 2686/5).

وهناك فوائد لهذا الدعاء الخفي والهمس مع ربه كما ذكر (ابن تيمية، 2002م : 169): "أنه دليل على عظم الإيمان لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاءه الخفي، وهو أبلغ في التضرع والخشوع والإخلاص، وأنه أبلغ في خشوع القلب لله في الدعاء، وأنه يدل على قرب العبد من الله، وليس فيه اجتهاد فيكون أدعى لدوام الطلب والسؤال حيث لا يكل من رفع الصوت فلا تتعب الجوارح، وأنه أبلغ دلالة على الأدب والتعظيم

لأن الملوك لا تُرفع الأصوات عندهم ولله المثل الأعلى فإذا كان يسمع الدعاء الخفي، فلا يليق بالأدب إلا خفض الصوت به".

ويبين (السعدي، 2000 : 614): أنه قال في تلك الحالة، مسترزقاً ربه ﴿ ...رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليّ وتيسره لي، وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقاً.

أما (الشعراوي، ب:ت : 6841): فيبين أنه لم يكد موسى عليه السلام ينتهي من مناجاته لربه حتى جاءه الفرج ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي... ﴾ [القصص:25].

فأبدله الله تعالى بالفقر غنى وبالجوع شبعاً وبالخوف أمناً وبالظالمين صالحين حيث تزوج من إحدى ابنتي العبد الصالح.

4- دعاء سيدنا موسى عندما أراد أن ينطلق برسالته:

بعد أن أوحى الله تعالى إلى سيدنا موسى وجعله رسولاً نبياً وأمره أن يبلغ ويذهب إلى فرعون الطاغية سأل ربه العون والسند، ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۞ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾. [القصص:33-35]، ﴿ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:10-15] حيث سأل الله تعالى أن يحفظه من القتل، لأنه كان قد قتل الرجل القبطي، فترصد له جنود فرعون وهرب من المدينة ، كذلك طلب تأييده وإعانته في دعوته ثم كرر الدعاء مضيفاً مطالب أخرى من أجل الدعوة ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ۞ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ۞ يَفْقَهُوا قَوْلِي ۞ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي ۞ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۞ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ۞ كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۞ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۞ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ۞ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾. [طه:25-36]، قال: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۞ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾

"هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض إذ ذاك، وأجبرهم وأشدهم كفراً، وأكثرهم جنوداً وأبلغهم تمرداً، بلغ من أمره أن ادعى أنه لا يعرف الله، هذا وقد مكث موسى في داره مدة وليداً عندهم في حجر فرعون على فراشه، ثم قتل منهم نفساً فخافهم أن يقتلوه فهرب منهم هذه المدة ثم بعد ذلك بعثه ربه عز وجل إليهم نذيراً يدعوهم إلى الله ولهذا قال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ أي: "إن لم تكن عوني ونصيري، وعضدي وظهيري وإلا فلا طاقة لي بذلك، ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ قال الحسن البصري: قال حل عقدة واحدة، ولو سأل أكثر من ذلك أعطي، وقال ابن عباس: "شكا موسى إلى ربه ما يتخوف من آل فرعون في القتيل وعقدة لسانه وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون، فآتاه الله سؤله" (ابن كثير، 1999 : 282/5).

ويبين (السعدي، 2000 :1/ 504) قوله تعالى: ﴿...رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾: أي وسعه لأتحمل الأذى القولي والفعلي ولا يتكدر قلبي بذلك، ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم، فقال الله: ﴿...قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ أي أعطيت ما طلبت.

ونرى هنا أن سيدنا موسى عليه السلام سأل ربه ثمانية أمور وختمها بالعلة لتلك الأسئلة والأدعية أولها بشرح الصدر وتسهيل المهمة بتبليغ الرسالة وأن يحل له عقدة لسانه ليفهموا قوله، وأن يجعل له عوناً ومساعداً من أهل بيته وهو هارون ويشركه معه في التبليغ والسبب في ذلك ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ۝ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا﴾ فلقد كانت غاية سيدنا موسى عليه السلام من مطالبه الثمانية لنعم الله سبباً يلزمه ويحمله على كثرة العبادة والاجتهاد في أمر الله تعالى.

"وهذا مطمح أولياء الله المقربين وصفوته المختارين، إنهم يدعون ربهم، لا يرغبون في تحقيق مطامع الدنيا ولذاتها، وإنما يرغبون في زيادة العون على القيام بمرضاة الله والإكثار من عبادته" (الزحيلي، 1422هـ : 1518/2).

ويشير سيد قطب إلى أنه سأله كل ما يطمئنه على مواجهة المهمة العسيرة ويكفل له الاستقامة وطلب إلى ربه أن ييسر له أمره وتيسير الله لعباده هو الضمان للنجاح.

"والأخذ بالأسباب في الدعوات لا بد منه لأن هذا دليل قاطع على أن الإيمان بالله والتوكل عليه مقرون بالدعاء وليس بالتواكل والكسل أي الأخذ بالأسباب والدعاء والتوكل على الله". (الأشقر، 2005م : 83).

5- دعاء السحرة ربهم أن يثبتهم ويصبرهم:

﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[الأعراف:126].

"لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كثير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ﴿وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾: أي منقادين لأمرك". (السعدي، 2000 : 300).

وقولهم السحرة ﴿...إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ [الأعراف:125] أي: قد تحققنا أنا إليه راجعون، وعذابه أشد من عذابك، فلنصبرن اليوم على عذابك لنخلص من عذاب الله.

﴿...رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ...﴾ [الأعراف:126] أي: "متابعين لنبيك موسى". (ابن كثير، 1999 : 459/3).

نلمح هنا مدى ثبات المؤمنين فعندما يخالط هذا الإيمان نياط القلوب نجد الثبات على الدين والدعاء لله تعالى من قلوب صابرة محتسبة فتحول السحرة من سحرة بسحرهم إلى شهداء في نهاية المطاف، ثم توجهوا إلى الله بالدعاء ﴿...رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:85].

"فالمؤمنون يدعون الله أن يعصمهم من تسلط الظالمين عليهم ثم صرح في الآية الثانية النتيجة ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [يونس:86] وهذا لا ينافي الاتكال على الله والتقوى به، بل هو أدل على التوجه بالاتكال والاعتماد إلى الله والمؤمن لا يتمنى البلاء، ولكن يثبت عند اللقاء". (قطب، 1980 : 1816/3).

ويشير (الشعراوي، د.ت : 4055): هي فتنة الخوف من أن يرتد بعضهم عن الإيمان لو انتصر عليهم فرعون وعذبهم.

ويبين (البغوي، 1417هـ : 146/4): سبب دعواهم بقوله: أي لا تهلكنا فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغياناً ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ وهنا دعاء الإنجاء من سوء جوارهم ،وسوء صنيعهم بعد الإنجاء من ظلمهم.

وقد أكد (الألوسي، د:ت : 170/11): "بأنه قدم التوكل على الدعاء، ﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس:85] تلويح بأن الداعي حقه أن يبني دعاءه على التوكل على الله فإنه أرجى للإجابة".

ويتبين مما سبق أن في الدعاء الذي تضرعوا به إلى الله دليلاً على أنه كان لهم اهتمامٌ بأمر الدين فوق اهتمامهم بسلامة أنفسهم.

6- دعاء موسى عليه السلام على فرعون وملئه:

حيث دعا موسى عليه السلام هذا الدعاء بعد بلوغ فرعون الغاية في الكفر والصد عن سبيل الله وقسوة القلب ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝ قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:88-89].

وهذه الدعوة كانت من موسى عليه السلام، غضباً لله ولدينه على فرعون وملئه حيث تبين أنه لا خير فيهم ولا يجيء منهم شيء كما دعا نوح عليه السلام ﴿...رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:26]، ولهذا استجاب الله لموسى هذه الدعوة التي أمن عليها أخوه هارون فقال تعالى: ﴿...قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا...﴾ [يونس: 89].

7- دعاء موسى عليه السلام على بني إسرائيل:

حاول كليم الله بكافة الأساليب أن يدخلهم الأرض المقدسة ويقاتلوا الجبارين هناك لكنهم خافوا وجبنوا فدعا موسى ربه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:25-26].

دعوة فيها الألم، وفيها الالتجاء، وفيها الاستسلام، وفيها المفاصلة والحسم والتصميم، وإنـــنا لنجد أنه لا يدعو نبي من الأنبياء على قومه حتى يصل ذروة نفاذ صبره من خلال دعوته لهم وكشف الضر عنهم ، وإتيانهم بالمعجزات بعد ذلك يتردد قومه وينقضوا العهود مع رسولهم.

"إنه ليعلم أن ربه يعلم أنه لا يملك إلا نفسه وأخاه..ولكن موسى في ضعف الإنسان المخذول، وفي إيمان النبي الكليم، وفي عزم المؤمن المستقيم، لا يجد متوجهاً إلى الله، يشكو بثه ونجواه، ويطلب إليه الفرقة الفاصلة بينه وبين قومه الفاسقين". (قطب، 1980 : 871/2).

ويشير (ابن كثير، 1999 : 79/3):- "لما دعا عليهم موسى عليه السلام حين نكلوا عن الجهاد حكم الله عليهم بتحريم دخول الأرض المقدسة فوقعوا في التيه".

ويبين (السعدي، 2000 : 228) في قوله تعالى: ﴿...فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:25] "احكم بيننا وبينهم، قال الله مجيباً لدعوة موسى ﴿...فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ﴾ [المائدة:26] وهذه عقوبة دنيوية".

8- دعاء موسى عليه السلام عندما ذهب يرجو المغفرة لقومه:

﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف:155-157].

بـــعد أن عبد بنو إسرائيل العجل أمر الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام أن يختار سبعين من خيارهم ليعلنوا التوبة أمام ربهم، فذهب بهم موسى فلما وصلوا إلى الطور كلم الله سيدنا موسى فأرادوا أن يروا الله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:55-56]، وهذه الصاعقة هي المشار إليها ﴿...فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ...﴾ [الأعراف:155].

"حـيث تـوجه إلـى ربـه، يـتوسل إليـه، ويـطلب المـغفرة والرحـمة، ويـعلن الخـضوع والاعـتراف بالقـدرة: ﴿...فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ...﴾ [الأعراف:155] فهو التسليم المطلق للقدرة من قبل ومن بعد، يقدمه موسى بين يدي دعائه لربه أن يكشف عن القوم غضبه، وأن يرد عنهم فتنته، وألا يهلكهم بفعلة السفهاء منهم. (قطب، 1980 : 1377/3).

وهنا يتبين مدى عظمة نبي الله حين يسأل ويستغفر ويتوب ويطلب العفو ويسأل الستر وكأنه هو المذنب المخطئ المقصر!!

فاستجاب الله تعالى دعاء نبيه وأحياهم بعد موتهم...

ويشير (السعدي، 2000 : 303): أن سيدنا موسى لم يزل يتضرع إلى الله ويتبتل حتى كشف الله تعالى عنهم هذا العذاب.

9- دعاء سيدنا موسى عليه السلام بعد عبادة قومه العجل:

لما رجع عليه السلام بعد ما كلم ربه وجد قومه عاكفين على عبادة العجل من دون الله فغضب غضبة شديدة وأخذ برأس أخيه يجره إليه وسأل ربه المغفرة له ولأخيه هارون ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:151].

طلب عليه السلام الستر للذنب ومحوه عنهم وخص نفسه وأخاه لأنهما الوحيدان اللذان لم يقصرا ولم يرضيا بكفر بني إسرائيل.

ويشير (السعدي، 2000 : 303): "﴿...وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ...﴾ أي: في وسطها تحيط بنا من كل جانب".

من خلال العرض السابق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية للدعاء وهي على النحو الآتي:

1- إعـلان التـوحـيد، فأعظم الناس توحيداً أكثرهم دعاءً لأن الدعاء دليل على الاتصال بالله تعالى.
2- اكتساب الثقة بالله تعالى، فالواثق كثير الدعاء والفاشل المهزوم المتردد قليل الدعاء.
3- عدم استعجال الإجابة عند الدعاء حيث قال أهل العلم: أن دعوة موسى عليه السلام قد أجيبت بعد أربعين سنة، وما قنط وهاب وما مل وما سئم عليه السلام، وكذلك سيدنا يعقوب بكى أربعين سنة على يوسف عليهما السلام.
4- صدق العبودية لله تعالى فالداعي يكون قريباً من الواحد الأحد.
5- نيل محبة الله تعالى، فأحب العباد إلى الله أقربهم وأكثرهم دعاءً.

6- حفظ الله تعالى للمؤمن الداعي عندما قال الله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39].

رابعاً: الشـــكر.

إن الشكر من أعظم صفات الرسل صلوات الله عليهم وسلامه، فهو قيمة تعبدية وأخلاقية في آن واحد، وهو من القيم التي تعمق مفهوم الإيمان في قلب المسلم من ناحية وتعكس الإقرار بفضل الله من ناحية أخرى، والمسلم يشكر ربه عشرات المرات في اليوم والليلة بقوله: ﴿الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:2] وما ذلك إلا شكر من المسلم لربه بطريقة لفظية وسلوك مشاهد، لذلك لابد أن يتضمن الشكر كما أشار (فريد، 2005م : 214): "الاعتراف بالنعمة باطناً، والتحدث بها ظاهراً، والاستعانة بها على طاعة الله تعالى، لأن الشكر يتعلق بالقلب واللسان والجوارح، فالقلب للمعرفة والمحبة، واللسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة الله وهو المشكور وذلك بكفها عن المعصية".

فالحمد: يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه، سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر.

الشـــكر لغةً: "عـــرفان النـــعمة وإظـــهارها والثـــناء بـــها، والشـــكر مـــن اللـــه الرضـــا والثـــواب، والشـــكر مـــرتـــبط بأحـــد أســـماء اللـــه الحـــسنى وهـــو اســـم الشكور". (مصطفى وآخرون، 1985م : 490/1).

الشـــكر اصـــطلاحـــاً: "هـــو الاعـــتراف بـــنعمة اللـــه تـــعالى عـــلى وجه الخضوع" (خضر، 1999 : 89).

وقد بينت العديد من الآيات في القرآن الكريم مثالاً على شكر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين حيث وصف الله تبارك وتعالى خليله بأنه من الشاكرين عندما قال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لله حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۞ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:120-121]. ففي الآية بيان أن شكر إبراهيم عليه السلام لنعم أنعم الله بها عليه فكان قائماً بشكر النعم على أتم وجه، ولذا اجتباه واصطفاه، ومن المعاني في الآية أنه عليه السلام قدوة لمن بعده فهو أمة في الخير، ومن صفات الأمة حين يكون قدوة، أن يكون قانتاً لله وشـــاكراً لـــه عـــلى نـــعمه فـــالشـــكر تـــحقق لوجـــود العـــظيم المـــنعم المـــستحـــق للشكر. (ابن كثير، 1999 : 611/4)

ويوضح الزحيلي كذلك أنه في الآية دعوة من الله لعباده للاقتداء بإبراهيم عليه السلام وذلك لاتصافه بصفات تسع منها أنه كان شاكراً لأنعم الله عليه يشكر جميع نعم الله وإن كانت قليلة، فبالأولى الكثيرة، وهذا تعريض بكل من جحد بأنعم الله عليه مثل قريش وغيرهم، فإبراهيم عليه السلام، كان قانتاً لله أي مطيعاً مقيماً على طاعته، وختم الله له هذه الصفات بأنه شاكرٌ لأنعمه فجعل الشكر غاية إبراهيم، ليكون قدوة يؤتم به في الخير. (الزحيلي، 1418هـ : 261/14، 263).

وهكذا فإن خليل الرحمن كان شاكراً بقلبه ولسانه وجوارحه محباً له، معترفاً بنعمه وما زاده من فضله، مستعملاً كل نعمة فيما يرضي الله، فكان بعد النبي ﷺ سيد الشاكرين.

فالشكر حقاً هو الغاية من العبادة فما من عمل أو طاعة يؤديها المسلم خالصة لله إلا كانت شكراً لله على نعمه، وهذا يفسر لنا حرص رسولنا على قيام الليل، فعن المغيرة بن شعبة قال: **[صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انْتَفَخَتْ قَدَمَاهُ فَقِيلَ لَهُ أَتَتَكَلَّفُ هَذَا وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا]**. (مسلم، د:ت، 2171/4، ح 2819).

أما سيدنا موسى عليه السلام مع قومه فقد دعاهم لأن يشكروا النعم التي أنعم الله بها عليهم فقابلوها بالجحود والاستنكار. ويشير قطب في ظلاله (1980 : 66/1): إلى أن المستعرض لتاريخ بني إسرائيل ليأخذه العجب من فيض الآلاء التي أفاضها الله عليهم، ومن الجحود المنكر والمتكرر الذي قابلوا به هذا الفيض المدرار، هنا يذكرهم الله بنعمته التي أنعمها عليهم ليدعوهم بعدها إلى الوفاء بعده كي يتم عليهم النعمة ويمد لهم في الآلاء.

فبعد أن نجاهم الله تعالى من فرعون وجيشه وأغرقهم في اليم وهذه في مقدمة النعم التي أنعم الله عليهم، ﴿**وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ العِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۞ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. [البقرة:49-52]، يقابلونها بالطلب من رسولهم أن يجعل لهم إلهاً من دون الله تعالى فعبدوا العجل بعد أن ذهب عليه السلام إلى ميعاد ربه على الجبل فعفا الله عنهم لعلهم يشكرون عندما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. [البقرة:52]، ﴿**ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ**﴾أي "محونا ذنوبكم من

بعد عبادتكم العجل، ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ لكي تشكروا عفوي عنكم وصنيعي لكم، قيل: الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح في السر والعلانية، قال الحسن: شكر النعمة ذكرها، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضُّحى:11] قال الفضيل: شكر كل نعمة أنه لا يعصي الله بعد تلك النعمة. وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر.

حُكي أن موسى عليه السلام قال: إلهي أنعمتَ عليَّ النعم السوابغ، وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك، قال الله تعالى: يا موسى تعلمت العلم الذي لا يفوقه شيء من علم، حسبي من عبدي أن يعلم أن ما به من نعمة فهو مني، وقال داوود عليه السلام: سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة". (البغوي، 1417هـ : 95/1).

وبعد هذا العفو الذي جاءهم من الله تعالى فإذا هم يطلبون أن يروا الله جهرةً ورفضوا الإيمان لموسى عليه السلام ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۞ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:55-56].

"إن الحس المادي الغليظ هو وحده طريقهم إلى المعرفة..أم لعله التعنت والمعاجزة والآيات الكثيرة، والنعم الإلهية، والعفو والمغفرة، كلها لا تغير من تلك الطبيعة التي لا تؤمن إلا بالمحسوس". (قطب، 1980 : 72/1).

ومرةً أخرى تدركهم رحمة الله تعالى وتوهب لهم فرصة عسى أن يذكروا ويشكروا ويذكرهم الله تعالى بهذه النعمة ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: 56]

ويشير هنا (رضا، 1990م : /267) إلى: "أن المراد بالبعث هو كثرة النسل أي عندما وقع فيهم الموت بالصاعقة وغيرها، وظُن أنهم سينقرضون بارك الله في نسلهم ليُعد الشعب للقيام بحق الشكر على النعم التي تمتع بها الآباء الذين حل بهم العذاب بكفرهم لها".

وبين (حقي، د:ت : 164/1): أن نعمة الله عليهم يقتضي منهم أن يستمروا على الطاعة فإن الإنعام يستوجب الشكر وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها.

ثم سخر الله لهم الغمام يظللهم، وما لذ وطاب من الطعام والشراب؛ ففي الآية يذكرهم بذلك "واذكروا كذلك من نعم الله عليكم حين شققنا لكم ومن أجلكم البحر وفصلنا ماءه بعضه عن بعض لتسيروا فيه – فتتخلصوا من ملاحقة فرعون وجنوده – وبفضلنا نجوتم وانتقمنا لكم من

عدوكم، فأغرقناهم أمام أبصاركم، فأنتم ترونهم وهم يغرقون واذكروا حين واعد ربكم موسى أربعين ليلة لمناجاته، فلما ذهب إلى ميعاده وعاد وجدكم قد انحرفتم واتخذتم العجل الذي صنعه السامري معبوداً لكم، وكنتم ظالمين ثم عفونا عنكم ومحونا عقوبتكم حين تبتم لعلكم تشكرون ربكم على صفحه وعفوه وفصله". (المنتخب، د:ت : 12/1).

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة:57].

﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي:" رزقاً لا يحصل نظيره لأهل المدن المترفهين فلم يشكروا هذه النعمة، واستمروا على قساوة القلب وكثرة الذنوب، ثم قالوا: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:61] أي: واذكـروا إذ قلتـم لمـوسى، عـلى وجـه التـمـلل لنـعم اللـه والاحـتقار لهـا ﴿لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾" (السعدي، 2000 : 53/1).

ولما كان الذي جرى منهم فيه أكبر دليل على قلة صبرهم واحتقارهم لنعمة الله وعدم شكرها، جازاهم من جنس عملهم ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾، ويعلق قطب على ذلك بأن الله ساق لهم الغمام والأمطار ندية، وسخر لهم المن حلواً على الأشجار، والسلوى يجدونه بوفرة وأحل الله لهم الطيبات ولكنهم لم يشكروا ولم يهتدوا (قطب، 1980 : 72/1).

وفي موضع آخر بعد أن أنعم الله تعالى على فرعون بالكثير من النعم، ولكنه قابلها بالجحود والاستنكار، وتعبيد بني إسرائيل، وادعاء الربوبية فقلب الله تعالى نعمه عليه نقمة.
اتجه موسى عليه السلام إلى ربه وقد يئس من فرعون ومن قومه أن يكون فيهم خير فدعا عليه السلام عليهم.

قد تُضعف النعم التي ينعمها الله على الإنسان قلوب الكثيرين فتتهاوى بهم إلى الضلال والفسق، وهذا ما حدث مع فرعون بالضبط ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آَتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً

وَأَمْوَالًا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا العَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يونس:88] ويشير (قطب، 1980 : 1817/3): " أنه قد ينشأ عنها إضلال الناس عن سبيلك، إما بالإغراء الذي يحدثه مظهر النعمة في نفوس الآخرين. وإما بالقوة التي يمنحها المال لأصحابه فيجعلهم قادرين على إذلال الآخرين أو إغوائهم. ووجود النعمة في أيدي المفسدين لا شك يزعزع كثيراً من القلوب التي لا يبلغ من يقينها بالله أن تدرك أن هذه النعم ابتلاء واختبار ".

وموسى عليه السلام يطلب من ربه أن يطمس على هذه الأموال ويدمرها لأنها سبباً في إضلال الكثير من الناس، وكذلك تعد وسيلة قوة في يد فرعون فيساعده ذلك في البغي والإغراء وتعبيد الناس له.

ويبين السعدي (2000 : 372/1): " إن أموالهم لم يستعينوا بها إلا على الإضلال في سبيلك فيضلون ويضلون، فطمس الله تعالى على أمواله وحولها جميعها لحجارة جزاءً لهم ولإضلالهم.

يقول (ابن القيم، 2002م : 134): من عقوبات الذنوب: أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلّت به نقمة إلا بذنب، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة.

وقال تعالى: **﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ...﴾** [الأنفال:53] فأخبر الله تعالى أنه لا يغير نعمه التي أنعم الله بها على أحد حتى يكون هو الذي يغير ما بنفسه، فيغير طاعة الله بمعصيته، وشكره بكفرهن وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فإذا غَير غُير عليه، جزاءً وفاقاً، وما ربنا بظلامٍ للعبيد.

وفي موضع آخر في سورة إبراهيم يذكر سيدنا موسى عليه السلام قومه بنعم الله عليهم حيث أنجاهم من فرعون، فإنجاء الله لهم من هذه الحالة نعمة كبرى لابد أن تذكر لكي تشكر، **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآَيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي**

ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۞ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:5-7]، إن الله تعالى ابتلاهم لامتحان صبرهم ومدى ذلك الصبر في الاستعداد للوقوف في وجه الظلم والطغيان، لذلك قال الله تعالى: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ...﴾.

يبين (قطب، 1980 : 2088/4): " ما هو صبر مشكور ذلك الاستسلام للذل والهوان وبلاء بالنجاة لامتحان الشكر، والاعتراف بنعمة الله، والاستقامة على الهدى في مقابل النجاة ".

ثم يمضي ليبين لهم مدى نعمة الشكر عليهم وما أعده الله للشاكرين الصابرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7].

ويشير (قطب، 1980 : 2088/4): إلى حقيقة الشكر بقوله: "تقف نحن أمام هذه الحقيقة الكبيرة: حقيقة زيادة النعمة بالشكر، والعذاب الشديد على الكفر".

ويبين أن شكر النعمة دليل على استقامة المقاييس في النفس البشرية، فالخير يشكر لأن الشكر هو جزاؤه الطبيعي، في الفطرة المستقيمة . . وأن النفس التي تشكر الله على نعمته، تراقبه في التصرف بهذه النعمة، بلا بطر، وبلا استعلاء، وبلا استخدام هذه النعمة في الشر والفساد.

وترى الباحثة: أن هذا الشكر لا تعود عائدته على الله وكذلك الكفر ليس له أثر على الله لأن الله تعالى غنيٌ لا بشكر الناس وحمدهم على نعمه، وإنما بذاته محمود. لذلك قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم:8].

إن صلاح الحياة يتحقق بالشكر، ونفوس الناس تزكو بالاتجاه إلى الله، وتستقيم بشكر الخير، وتطمئن إلى الاتصال بالمنعم، فلا تخش نفاد النعمة وذهابها ولا تذهب حسرات وراء ما ينفق أو يضيع منها. فالمنعم موجود، والنعمة بشكره تزكو وتزيد (قطب، 1980 : 2089/4).

من خلال عرض ما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية للشكر والتي تعود على الفرد المسلم منها:

1- محبة الله تعالى المحبة العظيمة على إنعامه وإحسانه وعظمته، فالنفس مجبولة على حب من أحسن إليها ولو مرة واحدة، فكيف بمن نعمه متواصلة ولا يقدر أحد أن يحصيها.

2- القيام بواجب الشكر لله ﷻ بأنه المنعم الحقيقي وهو صاحب الفضل والإحسان لكل نعمة عن طريق:

أ- اللهج باللسان بشكر الله ﷻ وحمده والثناء عليه بأنواع الذكر والتسبيح والتحميد والتكبير وسؤال الله الإعانة على ذكره وشكره.

ب- الشكر لله تعالى بأعمال الجوارح عن طريق طاعته والقيام بالفرائض والتقرب إليه بالنوافل والطاعات والكف عن المحارم ومحاسبة النفس فبذلك تدوم النعمة.

3. الإزراء بالنفس وإذهاب أي آثار من الإعجاب بها، والشعور بالتقصير في حق الله تعالى وشكره، إذ مهما فعل العبد من الأعمال الصالحة فلن يوفي حق شكر نعمة واحدة من نعم الله تعالى، فكيف بباقي النعم التي لا تعد ولا تحصى، كان من دعاء النبي ﷺ: **[اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ]**. (مسند أحمد، 1999 : 244/36، حديث 22119، وصححه الألباني في المشكاة).

4. المحافظة على النعم والحذر من أسباب زوالها: فالتفكر في نعم الله العظيمة، وآلائه الجسيمة يثمر الأخذ بالأسباب التي تحفظها وتبقيها، وترك الأسباب التي تزيلها وتغيرها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7].

وقيل للحسن: ها هنا رجل لا يجالس الناس. فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال إني أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسي عن الناس بالاستغفار من الذنب، والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن: " أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن، فالزم ما أنت عليه ". (ابن القيم، 1423هـ : 149)

خامساً: الابتلاء وتكفير الذنوب:

إن سنة الابتلاء من السنن المهمة، والتي يقوم عليها خلق الإنسان، حيث يقول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك:2] فحقيقة هذه الحياة هي ابتلاء واختبار من الله تعالى للإنسان.

وقد بين الله تعالى للمؤمن حقيقة البلاء لكي يشحن طاقاتهم لمواصلة الطريق فيقول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:2-3].

وقد أشار (أبو فارس،د:ت : 9) إلى أن "الحديث عن الابتلاء والمحن والفتن في الدعوات أمر ضروري لكل عمل إسلامي منظم، حتى يبصر أفراده بطبيعة الطريق، ويهيئهم لتوطين نفوسهم على ما يعترضهم من عقبات وصعوبات لأواء، ويخفف على المبتلين ما يقاسونه من تعب ونصب وعنت".

فـــالابتلاء: بـــمعنى الاخـــتبار، وجـــاء فـــي لســـان العـــرب لابـــن مـــنظور: بلا: بلـــوت الرجـــل بـــلواً وبـــلاءً وابـــتليته: اخـــتبرته، والمعـــروف أن الابـــتلاء يكون في الخير والشر معاً من غير فرقة بين فعليهما، قوله: ﴿...وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالخَيْرِ فِتْنَةً...﴾ [الأنبياء:35] (ابن منظور، 1424هـ : 103/14)

كما جاء في القاموس المـــحيط مـــعنى ابـــتليته: أي اخـــتبرته وامـــتحـــنتـــه. (الفيـــروز آبادي ، 1406هـ : 1632)

إن الذي يقرأ القرآن ويتدبر آياته، يدرك أن سنة الابتلاء هي واقع يعيشه الإنسان منذ خلق، حيث يتعرض للابتلاء مرة بالخير ومرة بالشر فالابتلاء هو واقع الإنسان الذي يحياه على مدار حياته، وهو القانون الذي تسير به حياة الإنسان بمشيئة الله ﷻ، فهو ليس اختياراً بل أمراً اقتضته المشيئة الإلهية، يمضي على المؤمن والكافر على حد سواء، فجميع البشر يقعون تحت سنة الابتلاء.

وترى الباحثة بأنه عندما يفهم الإنسان بأن حقيقة الابتلاء أمر رباني يجعل الإنسان يعيش حالة من الاطمئنان والهدوء، لا تهزه فتن ولا محن ولا ابتلاءات، ويقابل ذلك بالصبر والاحتساب...

ونجد أن هناك ارتباطا وثيقا بين الابتلاء وبين رسالة الرسل جميعاً حيث جاء الابتلاء متوافقاً مع دعوتهم، ليصبح ذلك الابتلاء واقعاً يدفعهم نحو التقرب إلى الله.

فهذه السنة هي سنة متتابعة منذ خلق الله تعالى سيدنا آدم عليه السلام عندما قال: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة:35]. فلن تتوقف هذه السنة ما بقيت حياة على هذه الأرض.

"إنها سنة العقائد والدعوات، لابد من بلاء، ولابد من أذى في الأموال والأنفس ولابد من صبر ومقاومة واعتزام. إنه الطريق إلى الجنة. وقد حفت الجنة بالمكاره. بينما حفت النار بالشهوات..وتختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان". (قطب، 1980 : 539/1، 540).

وجـــاء فـــي الحـــديث الشـــريف: **[عَـــنْ مُـــصْعَبِ بْـــنِ سَـــعْدٍ عَـــنْ أَبِيهِ قَـــالَ: قُـــلْتُ: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَـــلاءً، قَـــالَ: الأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ،**

فَــيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ]. (الترمذي، ب:ت ، 601/4، ح 2398).

فوجدنا القرآن الكريم يعرض لنا نماذج من الابتلاء منها:-

أ- ابتلاء سيدنا أيوب عليه السلام:-

قال تعالى:﴿ **وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۞ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ۞ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الأَلْبَابِ ۞ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۞ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ**﴾. [ص:41-44]. إن ابتلاء سيدنا أيوب من أشد وأعظم الابتلاءات التي تعرض لها الأنبياء والرسل حيث ابتلي بجسده، لم يبق منه عضو سليم سوى القلب واللسان ليذكر الله تعالى وطال به المرض وهو في ذلك كله صابر، محتسب ذاكراً لله عز وجل، في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه. (ابن كثير، 1999 : 74/7)

ب- ابتلاء سيدنا إبراهيم عليه السلام:-

قال تعالى: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ۞ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۞ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۞ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي المُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ البَلَاءُ المُبِينُ**﴾[الصَّافات:100-106]

حيث كان الابتلاء في أعز ما يملك هو وولده إسماعيل، فكان في أصعب صور الابتلاء وكان الاستسلام والطاعة للأمر الإلهي، ولم يكن الابتلاء هنا مقتصراً على سيدنا إبراهيم بل وعلى ابنه إسماعيل.

وأن يستقبل إسماعيل الأمر بالطاعة والتسليم، لا قهراً واضطراراً، ليتقاسم الاثنان حلاوة الالتزام والتسليم للإرادة الإلهية. (قطب، 1980 : 2995/5).

وقال الله عز وجل عن خليله: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آَلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ۞ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**﴾ [الأنبياء:68-69].

ولقد تعرَّض رسولنا ﷺ للعديد من الابتلاءات منذ ولادته وصولاً إلى ملاقاته ربه حيث مات أبوه وهو في بطن أمه فنشأ يتيماً، ثم فقد أمه في عمر لا يتجاوز السادسة ونشأ فقيراً، يرعى الغنم، وتزوج خديجة رضي الله عنها، وبعد ذلك بخمسة عشر عاماً أرسله الله، فوقف الطواغيت في وجهه، يصدون عن دين الله، وكان أبو طالب عمه يقف بجانبه يحميه، ويدافع عنه، وكانت زوجته خديجة تسري عنه، وتخفف آلامه، وتواسيه". (أبو فارس، ب:ت : 35)

وإن المقام هنا لا يتسع للحديث عن كل ما مر به النبي ﷺ من ابتلاءات في بداية دعوته من اتهامه بالاتهامات الباطلة كالجنون والسحر والكذب مروراً إلى المعارك التي خاضها دفاعاً عن الدعوة والرسالة، والآيات في ذكر صنوف الأذى والابتلاءات الذي تعرض لها أنبياء الله وأتباعهم كثيرة، ولقد صبروا وصابروا حتى أتاهم نصر الله وحقت كلمة العذاب والهلاك على الكافرين.

ج- ابتلاء سيدنا موسى عليه السلام وقومه:-

فلقد تعرّض سيدنا موسى وكذلك قومه لأنواع متعددة من الابتلاءات فمثلاً قوم بني إسرائيل تعرضوا للأذى الجسدي والنفسي حيث كثر فيهم القتل من قبل فرعون وقد كان الله عز وجل يذكرهم بأنه قد نجاهم من ذلك كله حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[البقرة:49].

ويشير (السعدي، 2000 : 302/1) إلى حديث القرآن الكريم عن بني إسرائيل حيث: "ذكرهم بما امتن الله به عليهم فقال: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ﴾ من فرعون وآله ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ العَذَابِ﴾: يوجهون إليكم من العذاب أسوأه، وهو أنهم كانوا ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ﴾ النجاة من عذابهم ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾: نعمة جليلة، ومنحة جزيلة وفي ذلك العذاب الصادر منهم لكم بلاء من ربكم عليكم عظيم".

وقد بيَّن قطب هذا المشهد الذي عرضه القرآن الكريم لابتلاء بني إسرائيل بقوله: "يذكر لوناً من هذا العذاب وهو تذبيح الذكور واستحياء الإناث. كي يضعف ساعد بني إسرائيل وتثقل تبعاتهم!. وقبل أن يعرض مشهد النجاة يعقب بأن ذلك التعذيب كان فيه بلاء من ربهم عظيم، ليلقى في حسهم وحس كل من يصادف شدة أن إصابة العباد بالشدة هي امتحان وبلاء، واختبار وفتنة". (قطب، 1980 : 70/1).

إن الوقوف مع السنة الربانية المستوحاة من دعوة الرسل – عليهم السلام – لأقوامهم لمن الواجبات التي ينبغي للدعاة إلى الله أن يلموا بها ويعرفوها، وذلك ليستفيدوا منها في تفسير الأحداث والمواقف ولا يستغربوها ويفاجأوا بها، لكونها تحدث بأمر الله، وحكمته التي جعلت للأحداث والمتغيرات سنناً لا تتبدل ولا تتحول. كما أن في معرفة هذه السنة معرفة بأسباب النصر والتمكين، وأسباب الهزيمة والخسران.

وفي موضع آخر في سورة الأعراف حيث قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ۞ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [الأعراف:127-128]. إن ما يقع لهم مصدره كله واحد . . إنه من أمر الله ومن هذا المصدر تصيبهم الحسنة للابتلاء . . وتصيبهم السيئة كذلك للابتلاء.
﴿**سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ لا خروج لهم عن حكمنا ولا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة.

"فـ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ**﴾ موحياً لهم في هذه الحالة – التي لا يقدرون معها على شيء – ولا مقاومة – إلا بالمقاومة الإلهية والاستعانة الربانية ﴿**اسْتَعِينُوا بِاللهِ**﴾ أي اعتمدوا عليه في جلب ما ينفعكم، ودفع ما يضركم، وثقوا بالله، أنه سيتم أمركم. ﴿**وَاصْبِرُوا**﴾: الزموا الصبر على ما يحل بكم، منتظرين للفرج. ﴿**إِنَّ الْأَرْضَ للهِ**﴾ ليست لفرعون ولا لقومه حتى يتحكموا فيها، ﴿**يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**﴾ أي: يداولها بين الناس على حسب مشيئته وحكمته، ولكن العاقبة للمتقين. فإنهم وإن امتحنوا مدة ابتلاء من الله وحكمة، فإن النصر لهم، ﴿**وَالْعَاقِبَةُ**﴾ الحميدة لهم على قومهم وهذه وظيفة العبد، أنه عند القدرة، أن يفعل من الأسباب الدافعة عنه أذى الغير، ما يقدر عليه، وعند العجز، أن يصبر ويستعين الله وينتظر الفرج". (السعدي، 2000 : 300/1)

ويقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "هناك حقيقة ينساها البشر حين يمكن الله لهم في الأرض. ينسون أن هذا التمكين إنما تم بمشيئة اللـه ليبلوهم فيه، أيقومون عليه بعهد الله وشرطه من العبودية له وحده، والتلقي منه وحده. أم يجعلون من أنفسهم طواغيت"! (قطب، 1980 : 1037/2)

وفي موضع آخر بين أنه "هكذا تمضي دورة السنة، فالسعيد من وعاها، والشقي من غفل عنها، وإنه لما يخدع الناس أن يروا الفاجر الطاغي أو الملحد الكافر ممكناً له في الأرض غير مأخوذ من الله. ولكن الناس إنما يستعجلون لأنهم يرون أول الطريق أو وسطه، ولا يرون نهاية الطريق". (قطب، 1980 : 1038/2)

مضى فرعون في جبروته، ونفذ ما هددهم به، فقتل الرجال واستحيا النساء، واحتمل موسى وقومه العذاب وهم يرجون الفرج من عند الله صابرين على البلاء.

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:4].

ويشير (ابن كثير، 1999 : 220/6) إلى فعل فرعون حيث: "تكبر وتجبر وطغى، ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾أي: أصنافاً، قد صرف كل صنف فيما يريد". ﴿يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ وتلك الطائفة، هم بنو إسرائيل، الذين فضلهم الله على العالمين، الذين ينبغي له أن يكرمهم ويجلهم، ولكنه استضعفهم، بحيث إنه رأى أنهم لا منعة لهم تمنعهم مما أراده فيهم، فصار لا يبالي بهم، ولا يهتم بشأنهم، وبلغت به الحال إلى أنه ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ خوفاً من أن يكثروا، فيغمروه في بلاده، ويصير لهم الملك". (السعدي، 2000 : 611/1)

وترى الباحثة أن ما يصيب الإنسان مقرون بالرضا والاحتساب، فإن فاتهم الرضا فمعوّلهم على الصبر، وعلى الاحتساب، وذلك يخفف عنهم ثقل البلاء، فإنهم إن شاهدوا العوض هان عليهم تحمل المشاق والبلاء.

ولقد وعدهم الله تعالى بعد هذا البلاء أن يمكن لهم في الأرض عندما قال: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص:5-6]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۞ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:128-129].

إنه مشهد النبي موسى عليه السلام مع قومه، يحدثهم بقلب النبي ولغته، ومعرفته بحقيقة ربه، وبسنته وقدره، فيوصيهم باحتمال الفتنة، والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليها، ويعرفهم بحقيقة الواقع الكوني، فالأرض يورثها الله من يشاء من عباده". (قطب، 1980 : 1355/3)
أعلن لهم أنه يتمنى أن يهلك الله عدوهم ويستخلفهم في الأرض ليبتليهم أمانة الخلافة..

ويبين قطب ذلك بقوله: "هو يعلم – منذ البدء – أن استخلاف الله لهم إنما هو ابتلاء لهم. ليس أنهم أبناء الله وأحباؤه كما زعموا – فلا يعذبهم بذنوبهم! وليس جزافاً بلا غاية، وليس خلوداً بلا توقيت، إنه استخلاف للامتحان ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ ..وهو سبحانه يعلم ماذا سيكون قبل أن يكون ولكنها سنة الله وعدله ألا يحاسب البشر حتى يقع منهم في العيان". (قطب، 1980 : 1356/3)

وفي ظل التقتيل واستحياء الناس ولد ذلك النبي في أوضاع قاسية الخطر محدق به، وأمه حائرة خائفة عليه من أن يصل إليه الجلادون فيبين قطب ذلك "ها هي بطفلها الصغير في قلب المخافة عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه". (قطب، 1980 : 2678/5)
﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7] هنا قمة الابتلاء حيث إن خفت عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ﴾ وقد ثبتها الله تعالى فكانت من الصابرين على الابتلاء والمؤمنين بوعد الله.

ثم كبر ذلك الشاب القوي فابتلاه الله تعالى بقتل ذلك المصري وبدأ التآمر عليه من قبل فرعون وجنوده إلى أن خرج من مصر متجهاً إلى مدين بعد أن نصحه ذلك الرجل المؤمن.
﴿وَدَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص:15] ثم قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[القصص:20] س ﴿ ...وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه:40] "ويوضح قطب معاملة الله لموسى حيث إنه: "لم يتركه مع هذا الابتلاء ليربيه ويعده لما أراد، فامتحنه بالهروب من القصاص، وامتحنه بالغربة ومفارقة الأهل والوطن، وامتحنه بالخدمة ورعي الغنم، وهو الذي تربى في قصر

أعظم ملوك الأرض، وأكثرهم تــرفاً ومتاعاً وزينة. وفي الوقت المقدر عندما نضج واستعد، وابتلي فثبت وصبر، وامتحن فجاز الامــتحان، وتهيأت الظروف كذلك والأحوال في مصر، وبلغ العذاب ببني إسرائيل مداه". (قطب، 1980 : 2335/4).

ثم بعد ذلك بعثه الله تعالى لينذر فرعون وملأه ليرسل معه بني إسرائيل، وكان هذا كذلك امتحاناً واختباراً له بأن يتصدى لأعتى قوة في ذلك الزمان وبرغم أنه جاء لهم بالكثير من الآيات إلا أنه ما زادهم ذلك إلا عتواً واستكباراً ويبين (قطب، 1980 : 281/3) ذلك بقوله: "يمضي آل فرعون في عتوهم، تأخذهم العزة بالإثم، ويزيدهم الابتلاء شماساً وعناداً ثم قالوا: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:132] فهو الجموح الذي لا تروضه تذكرة، ولا يرده برهان، ولا يريد أن ينظر ولا أن يتدبر، لأنه يعلن الإصرار على التكذيب قبل أن يواجه البرهان – قطعاً للطريق! وهي حالة نفسية تصيب المتجبرين حين يدفعهم الحق".

ثم بعد ذلك ابتلاهم الله تعالى بعدة آيات عسى أن يهتدوا أو يتذكروا، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:133] "لم ينتبه آل فرعون إلى العلاقة بين كفرهم وفسقهم عن دين الله، وبغيهم وظلمهم لعباد الله..وبين أخذهم بالجدب ونقص الثمرات". (قطب، 1980 : 1357/3)

تلك الآيات جاءت للإنذار والابتلاء..آيات واضحة مفصلة لهم.

ويبين (قطب، 1980 : 1358/3): "وهم في كل مرة يطلبون إلى موسى تحت ضغط البلية أن يدعو لهم ربه لينقذهم منها، ويعدونه أن يرسلوا معه بني إسرائيل إذا أنجاهم منها". وهذا هو الشعور الفطري حتى في نفوس الكافرين عند الخطر والشدة يتوجهون بالدعاء إلى الله تعالى.

ثم تأتي الخاتمة النهائية لذلك الظلم والطغيان، حيث مهما استمر فلابد له من نهاية فأخذهم الله بعد ذلك الابتلاء بالضراء والسراء، ثم بعد ذلك دمرهم تدميراً..حيث قال تعالى: ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:136] وكذلك قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ

الْمُسْلِمِينَ﴾[يونس:90]، وقوله: ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[طه:78]، وقوله: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ [الشعراء:66]، وقوله: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:40]، وقوله: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدُخان:24]، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ [النَّازعات:25].

ثم بعد ذلك نبقى مع النفوس التي تعودت على الخضوع والذل فبعد هذا الإنجاء لهم وتمكين الله تعالى لهم وتوريثهم الأرض إلا أنهم بعد أن ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه واستخلف عليهم من بعده هارون اتخذوا العجل وعبدوه من دون الله.

ويبين (قطب، 1980 : 2346/4) ذلك المشهد بقوله: "فما يكاد موسى يتركهم ويبعد عنهم قليلاً حتى تتخلخل عقيدتهم كلها، وتنهار أمام أول اختبار ولم يكن بد من اختبارات متوالية متكررة لإعادة بنائهم النفسي وكان أول ابتلاء هو ابتلاؤهم بالعجل ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ [طه:85].

"ولقد عاش بنو إسرائيل في العذاب طويلاً، عاشوا في ظل الإرهاب وفي ظل الوثنية الفرعونية كذلك...وفسدت نفوسهم وفسدت طبيعتهم، والتوت فطرتهم وانحرفت تصوراتهم".(قطب، 1980 : 1364/3)

ولكن الابتلاء هنا كان للموعظة وللتذكير وللتدريب، ولكنه لم يفلح في إصلاح قلوبهم!!

ثم مرة أخرى يقع القوم في المعصية والخطيئة حيث ابتلاهم فلم يصبروا لأن الصبر على الابتلاء بحاجة إلى إيمان عميق، وطبيعة متماسكة ونفسية مؤمنة تترفع عن الأطماع والأهواء.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:163]

"ثم كان الابتلاء ليربيهم الله ويعلمهم كيف تقوى إرادتهم على المغريات والأطماع ،وكيف ينهضون بعهودهم حيث تصطدم بهذه المغريات والأطماع، وكان ذلك ضرورياً لبني إسرائيل الذين تخلخلت شخصياتهم وطباعهم بسبب الذل الذي عاشوا فيه طويلاً، ولابد من تحرير الإرادة بعد الذل والعبودية، لتعتاد الصمود والثبات. ولم يصمد فريق من بني إسرائيل للابتلاء الذي كتبه الله عليهم بسبب ما تكرر قبل ذلك من فسوقهم وانحرافهم". (قطب، 1980 : 1383/3)

وقد علم سيدنا موسى عليه السلام بأنها الفتنة والابتلاء عندما قال تعالى: ﴿...**إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ**﴾[الأعراف:155].

ويوضح قطب هنا "أن هذا هو الشأن في كل فتنة: أن يهدي الله بها من يدركون طبيعتها ويأخذونها على أنها ابتلاء من ربهم وامتحان يجتازونه، وأن يضل بها من لا يدركون هذه الحقيقة ومن يمرون بها غافلين ويخرجون منها ضالين...وموسى عليه السلام يقرر هذا الأصل تمهيداً لطلب العون من الله على اجتياز الابتلاء ﴿**أَنْتَ وَلِيُّنَا**﴾ فامنحنا عونك ومددك لاجتياز فتنتك، ونيل مغفرتك ورحمتك". (قطب، 1980 : 1377/3)

وهكذا طلب سيدنا موسى عليه السلام من الله المغفرة مع التسليم بحكمة ابتلائه.. ﴿...**وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ [الأعراف:168] والمتابعة بالابتلاء رحمة من الله بالعباد، وتذكير لهم ووقاية من النسيان الذي يؤدي إلى الغرور والجحود.

إنه الابتلاء والاختبار وإنه التكليف الرباني للإنسان كي يؤدي عمله وينتظر أجره وثوابه من الله والله تعالى رحيم بالإنسان محب له يعد له الامتحان تلو الامتحان ليصهر معدنه ويثبت يقينه ويدربه تدريباً عملياً على قيادة نفسه ليقود غيره، ﴿...**وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾ [الأنبياء:35] إن سنة الله في الدعوات أن يتعرض المؤمنون إلى الابتلاء ولقد يصل بهم البلاء إلى درجة كبيرة حيث قال تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**﴾ [محمد:31] والابتلاء أمر لازم للمؤمنين في هذه الدار لما اقتضته حكمة أحكم الحاكمين ليكون التمييز بين المؤمن وغيره، قال تعالى: ﴿**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾[الأنفال:37].

ومما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية المستفادة من سنة الابتلاء وهي على النحو الآتي:-

1- تمحيص المؤمنين وتقويتهم بالمحن التي يتعرضون لها. وفي ذلك تطهير وتزكية لهم ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم وتمسكاً بدعوتهم.
2- إخلاص عبوديتهم وذلهم لله وافتقارهم إليه، وتعويد النفس على الإلحاح بالدعاء.

3- إعداد المسلم ليكون أهلاً لنصر الله وبالتالي تأدية أمانة هذا الدين.

4- إزهاق الباطل وإقامة الحق يتم من خلال سير المؤمنين في طريق الحق واجتيازهم للابتلاء.

5- الاطمئنان بأن نصر الله قريب وتوطين النفس على الصبر والثبات.

6- إن في الصبر على الابتلاء تكفيراً للخطايا ومحواً للذنوب لقوله ﷺ: **[مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلا وَصَبٍ وَلا هَمٍّ وَلا حُزْنٍ وَلا أَذًى وَلا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ]**. (البخاري، 1422هـ : 114/7، ح 5641 و5642)، وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **[يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلاَّ الْجَنَّةُ]**. (البخاري، 1422هـ: 8 /90، ح 6424).

7- إن الصبر عـلى الابتلاء دليل على قوة الإيمان وبالتالي يؤدي إلى إخلاص النفوس لله وخـلوصها من كل شـائبة تكدر صـفو الإيمان وإظهار الناس عـلى حـقيقتهم حـيث قال تعالى: ﴿**مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ...**﴾[آل عمران:179].

سادسـاً: الهـداية والاسـتقامة:

إن الإسلام اهتم اهتماماً كبيراً بالإنسان، ذلك المخلوق الذي كرم على جميع المخلوقات، حيث اعتنى بتقويم سلوكه وإصلاحه، لذلك جاء القرآن حافلاً بالتوجيهات التي توجه إلى الهداية والاستقامة لأنهما هما الأساس الذي يقود المسلم في حياته للسير قدماً على الطريق المستقيم، كي ينال رضا الله ويفوز بالجزاء العظيم الذي وعد الله به عباده المهتدين الصالحين المستقيمين على نهجه، المتمثلين لأوامره فجزاؤهم في الدنيا سعة الرزق، وهذا واضحٌ في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْ لَوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُمْ مَاءً غَدَقًا**﴾ [الجن:16].

والذي يـنهج الاسـتقامة يـثبت عـلى الإيـمان ويـحميه الله تـعالى مـن الشـرك حـيث روي عـن الرسول ﷺ أنه قرأ قوله تعالى: [﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...**﴾ [الأحقاف:13]، **قَالَ: قَدْ قَالَ النَّاسُ ثُمَّ كَفَرَ أَكْثَرُهُمْ فَمَنْ مَاتَ عَلَيْهَا فَهُوَ مِمَّنْ اسْتَقَامَ**]. (الترمذي، ب:ت: 376/5، ح 3250)

فالهداية: "الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب، وقد يقال: هي سلوك طريق يوصل إلى المطلوب". (الجرجاني، 1421هـ : 251).

والاستقامة: "هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي، فذلك هو الصراط المستقيم، كالصراط في الآخرة". (الجرجاني، 1421هـ : 23)

إن الهداية والاستقامة ليست شيئاً سهل المنال، فهما مرتبطان ارتباطاً وثيقاً بالإخلاص، فإن أخلص المسلم الطلب، سهل الله عليه ذلك وكانت الهداية والاستقامة أمراً ميسوراً، حيث إن خلص التوحيد لله تعالى حينها يتفضل الله تعالى على عباده بأسمى النعم، ألا وهي نعمة الهداية والاستقامة. يقول ابن كثير: "من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله، ووحد الله فعبده وحده، وشهد أن لا إله إلا هو، فقد ثبت أمره، واستقام على الطريقة المثلى والصراط المستقيم". (ابن كثير، 1999 : 683/1)

إن الله ﷻ يضل من يشاء ويهدي من يشاء فالهداية بيديه وبتصرفه وكذلك الضلال، ويقول (ابن القيم، 1418هـ، 1997م : 161): "إن أفضل ما يقدر الله لعبده وأجل ما يقسمه له الهدى، وأعظم ما يبتليه به ويقدره عليه الضلال، وكل نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال. وقد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال فعله سبحانه وقدره والاهتداء والضلال فعل العبد وكسبه".

وقد تنقسم الهداية إلى أربعة مراتب:-

1- **الهداية العامة:** وهي كما يوضح ابن القيم "هداية كل نفس إلى مصالحها ومعاشها وما يقيمها". (ابن القيم، 1418هـ، 1997م : 161)
2- **هداية الإرشاد والبيان للمكلفين:** وهي التي بعثت لأجلها الرسل، حتى تبين للناس أمور دينهم وسبب سعادتهم، لإقامة الحجة على الناس، وهي أخص من المرتبة السابقة.
3- **هداية التوفيق والإلهام:** وهي إعانة من الله لمن يريد له الهداية فيهديه ومن لا يريد فيضله الله سبحانه.
4- "الهداية إلى الجنة والنار وهي ما تكون يوم المعاد".(ابن القيم، 1418هـ، 1997م: 161)

ولقد وردت آيات كثيرة تتحدث عن الهداية في قصص الأنبياء بداية بآدم عليه السلام وصولاً لسيدنا محمد ﷺ.

فمثلاً سيدنا إبراهيم عليه السلام يخبر الله عن الحوار الذي دار بينه وبين أبيه آزر وعبدة الكواكب، ثم يعقب الله في الآيات من سورة الأنعام على ما كان للأنبياء عليهم السلام من قبل وما كان للخليل عليه السلام إنما هو بفضل الله ومنه وهو هداية يهدي بها من يشاء من عباده، حيث

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:88]، فالهدى في الآية معناه أي: "الذي هديت به من سميت من الأنبياء والرسل فوفقتهم به لإصابة الدين الحق، الذي نالوا بإصابتهم إياه رضا ربهم وشرف الدنيا وكرامة الآخرة، هو هدى الله". (الطبري، 1420هـ : 513/11)، وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:90]، فالآية تدعو رسولنا محمداً أن يقتفي أثر الأنبياء في العقيدة، فهم الذين هداهم الله لمعرفة دينه الحق، وهم الذين قاموا بحفظ آيات ربهم، وقاموا بحدوده واتبعوا الحلال والحرام، وهذا هو عين الهدى، فأمر الله نبيه ﷺ أن يسلك طريقهم، ويقتدي بهداهم الذي هو فضل الله تعالى وتوفيقه.

أما عن سيدنا موسى عليه السلام يقول الله تعالى في سورة الصافات: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۞ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ ۞ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الغَالِبِينَ ۞ وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ۞ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الآخِرِينَ ۞ سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ۞ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾[الصَّافات:114-122]، حيث بين (قطب، 1980 : 2997/5) أن: "هذه اللمحة من قصة موسى وهارون تعني بإبراز منة الله عليهما باختيارهما واصطفائهما. وبنجاتهما وقومهما ﴿مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ﴾ وبالنصر والغلبة على جلاديهم من فرعون وملئه. وبإعطائهما الكتاب الواضح المستبين، وهدايتهما إلى الصراط المستقيم، صراط الله الذي يهدي إليه المؤمنين، وبإبقائهما ذكرى للقرون الأخيرة، وتنتهي اللحمة بالسلام من الله على موسى وهارون".

فبدون الكتاب الواضح لن يهتدوا إلى الطريق المستقيم ولن يصلوا إلى طريق الهداية الصحيح حيث: "يذكر تعالى منته على عبديه بالنبوة والرسالة والدعوة إلى الله، ونجاتهما من عدوهما فرعون، ونصرهما عليه، حتى أغرقه الله وهم ينظرون، وإنزال الله عليهما الكتاب المستبين، وهو التوراة التي فيها الأحكام والمواعظ وتفصيل كل شيء وأن الله هداهما الصراط المستقيم بأن شرع لهما ديناً ذا أحكام وشرائع مستقيمة موصلة إلى الله، ومن عليهما بسلوكه".(السعدي، 2000 1: 706)

وفي حديث سيدنا موسى مع فرعون الطاغية ودعوته له بعد عرض ما جاء به عليه وختم كلامه ﴿...وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:47]، فلعله منهم يتلقى السلام ويتبع الهدى".

(قطب، 1980 : 2337/4) "أي من اتبع الصراط المستقيم واهتدى بالشرع المبين حصلت له السلامة في الدنيا والآخرة". (السعدي، 2000 : 502)

فسأله فرعون عن ربه فأجاب موسى عليه السلام إجابة الواثق ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50]، "ربنا الذي وهب الوجود لكل موجود في الصورة التي أوجده بها وفطره عليها ثم هدى كل شيء إلى وظيفته التي خلقه لها، وأمره بما يناسب هذه الوظيفة ويعينه عليها". (قطب، 1980 : 2338/4)

ويبين السعدي ذلك بقوله: "أي ربنا الذي خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حسن صنعه من خلقه، ﴿ثُمَّ هَدَى﴾ كل مخلوق إلى خلقه له، وهذه الهداية العامة". (السعدي، 2000 : 502)

ثم بعد أن نجى الله تعالى بني إسرائيل من فرعون ،وأباح لهم كل الطيبات كانت طبيعتهم قد أفسدها الذل كما يوضح قطب "لقد كانت طبيعة بني إسرائيل بعدما أفسدها طول الذل والعبودية في مصر تحتاج إلى توجيه". (قطب، 1980 : 1370/3) فهذا فيه تربية لطبيعتهم التي ابتعدت عن الهداية والاستقامة.

ولكنهم عبدوا العجل ومع هذا فقد عفا الله تعالى عنهم وآتاهم الكتاب وهو التوراة – فيه الفرق بين الحق والباطل – عسى أن يهتدوا إلى الحق الواضح، وبرغم ذلك كله من جحودهم واعتدائهم فقد كانوا يدعون أنهم هم وحدهم المهتدون.

ثم جاءهم موسى عليه السلام غاضباً وألقى الألواح ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154] " أي: فيها الهدى من الضلالة وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير، وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال، والأخلاق، والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم بأحكامها ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته". (السعدي، 2000 :1/ 502)

إنما من يتقبلها الذين يخافون الله ويخشونه فالخوف من الله والخشية تؤديان إلى الهداية وهذا ما بينه قطب بقوله: "وأن فيها رحمة، لمن يخشون ربهم ويرهبونه فتنفتح قلوبهم للهدى، وينالون به الرحمة، والهدى ذاته رحمة. فليس أشقى من القلب الضال، الذي لا يجد النور. وليس أشقى من الروح الشارد الحائر الذي لا يجد الهدى ولا يجد اليقين، ورهبة الله

وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى، وتوقظها من الغفلة، وتهيئها للاستجابة والاستقامة". (قطب، 1980 : 1376/3)

وأن الذي يكفر بالله ويشرك به يخرج عن طريق الله وصراطه المستقيم إلى السبل التي تؤدي به إلى الجحيم. ولقد كفر وجحد بنو إسرائيل فاستحقوا من العذاب ما يليق بهم.

ووصفهم الله تعالى بقوله: ﴿...وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ [الأعراف:146]، لإعراضهم واعتراضهم ﴿...وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ أي الهدى والاستقامة وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الله ،وإلى دار كرامته ﴿...لَا يَتَّخِذُوهُ﴾ أي "لا يسلكوه ولا يرغبوا به". (السعدي، 2000 : 32)

وذلك بسبب انحرافهم، وردهم لآيات الله ،فأوجب الله لهم سلوك طريق الغواية وترك طريق الهداية والاستقامة.

وبرغم أن الله تعالى أباح لهم كل الطيبات ﴿...وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى...﴾ [الأعراف:160]، لكنهم أصروا على العصيان ويبدو أنه من الصعب على هذه الأمة أن تنصاع لأوامر الله تعالى أي غير قادرة على اتباع الهدى والاستقامة ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ [الزُّخرف:76]، ويبين (قطب، 1980 : 1382/3) ذلك بقوله: "لقد عفا الله عنهم بعد اتخاذهم العجل وعفا عنهم بعد الرجفة على الجبل، ولقد أنعم الله عليهم بكل تلك النعم ثم هم أولاء تلتوي بهم طبيعتهم عند استقامة الطريق".. .

أهم الثمار التربوية من الهداية والاستقامة:

إن استقامة الإنسان المسلم لا تتحقق إلا بالهداية إلى تحكيمه شرع الله في كافة مناحي الحياة وبالتالي تتحقق الثمار المرجوة وتؤدي الهداية والاستقامة بالمسلم إلى الثبات في الدنيا والآخرة وفيما يلي بعض الثمار التربوية للهداية والاستقامة:

1- الثبات على الإيمان وعدم الانجرار وراء المضلين من أعداء الله يؤدي إلى الثبات في الآخرة ومن ثم مجاوزة الصراط المستقيم إلى جنات النعيم.

2- الثبات في وجه الفتن والشائعات التي تعمل على تفريق المسلمين والتصدي لها ومواجهة مخططاتها.
3- بالهداية والاستقامة يثبت المسلم على قيمه ومبادئه وما أحوجنا لذلك في ظل تبدل القيم وتراجع المبادئ التي غلبت عليها المادية والانحطاط.
4- الثبات في معارك الأمة مع أعدائها، وبالتالي إحراز النصر والتمكين، في الوقت الذي يحرص فيه أعداء الأمة على إبقاء أمتنا في حالة الوهن والضعف الذي يقود للهزيمة والتدهور.

سابعاً: ولاية الله للمؤمنين ترفع منزلة العبد:

إن من أعظم الأمور التي يتوصل إليها الإنسان المسلم الذي يتذوق طعم الإيمان ولاية الله التي تؤهله إلى التوفيق في الدنيا والآخرة.

والولي من الأسماء التي سمى الله بها نفسه في كتابه كما قال تعالى: ﴿...وَهُوَ الوَلِيُّ الحَمِيدُ﴾ [الشُّورى:28]، والولي: "هو مالك التدبير، وهو الناصر لعباده المؤمنين". (القرطبي، 1416هـ : 299)، ومن المعاني أيضاً: "الناصر، وقيل المتولي لأمور العالم والخلائق القائم بها وكأنه الولاية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل، وما لم يجتمع ذلك فيها لم يطلق عليه الولي". (ابن الأثير، 1423هـ : 989)

إن ولاية الله للعبد هي تولي أموره بما خلق له من منافع لينتفع بها، وبما بين له من السنن ومهد لهم من الأسباب وهذه هي الولاية العامة، "أما ولايته للمؤمنين خاصة: فهي عنايته بهم وإلهامه وتوفيقه إياهم لما فيه الخير والصلاح الروحي والجسماني بما اختاروا لأنفسهم من الإيمان به وبما جاءت به رسله. أما ولايتهم له: فقد عبر عنها بالإيمان والتقوى، فهم الإيمان بولايته له يتولونه". (عبده، د.ت : 44/3)

وما أعظم أن يتولى الحق ﷻ المؤمنين الصالحين وخصوصاً الأنبياء، ومنهم خليله عليه السلام الذي أنقذه من النار برعايته ونصرته جل في علاه، ورسوله وحبيبه عندما خاطبه تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطُّور:48].

ومن صور ولاية الله وعنايته بنبيه موسى عليه السلام فيظهر من خلال: "مولد موسى عليه السلام وما أحاط بهذا المولد من ظروف قاسية في ظاهرها، وما صاحبه من رعاية الله وعنايته". (قطب، 1980 : 2676/5)

حيث ولد ذلك الطفل في أجواء من الذبح والتقتيل، وأوحى الله تعالى على أمه أن ترضعه فإذا ما خافت عليه تلقيه في اليم ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7] "يا أم موسى أرضعيه، فإذا خفت عليه وهو في حضنك، وهو في رعايتك إذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك، إذا خفت عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها اليد التي لا خوف معها، اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها". (قطب، 1980 : 2679/5)

فإذا خفت عليه فألقيه، لأنه تحت ولايتنا ورعايتنا محفوظ في كنفنا ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا...﴾ [القصص:8] إن الله ﷻ بيده كل شيء، ألقى حبه في قلب امرأة فرعون ﴿...لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا...﴾ [القصص:9] حيث ألقى الله تعالى محبة سيدنا موسى في قلب كل من رآه، وخصوصاً في قلب امرأة فرعون.

علمت أم موسى أنه قد وقع ابنها في يد الطاغية فمن حزنها عليه كادت أن تفضح أمرها ولكن رعاية الله تعالى وولايته تتدخل في الوقت المطلوب ﴿...لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا...﴾[القصص:10] وشددنا عليها وثبتناها لتكون من المؤمنين بوعد الله الصابرين، فرده الله تعالى إليها. ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ...﴾ [القصص:10].

ثم أمرت أمه أخته أن تتبع أثره، فساقها الله ﷻ إلى مكانه، رأتهم في حالة ارتباك يبحثون له عن مرضع وهذا من تدابير الله ورعايته له ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ...﴾ [القصص:12]، فقالت أخته ﴿...هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [القصص:12]، وقوله تعالى: ﴿...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[طه:39] "يا للقدرة القادرة التي تجعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج، وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء، ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول بل لا يملك أن يقول، إنها مقابلة عجيبة في تصوير المشهد، مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية في ما يحـيط به من ملابسات وظروف، والرحمة اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتـلفه من الخشونة

ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ إنها منزلة وإنــها لكــرامة أن يــنال إنــسان لحــظة مــن العناية، فكيف بمن يصنع صنعاً على عين الله".(قطب، 1980 : 2335/4)

ويعقب قطب كذلك ولتصنع على عيني تحت عين فرعون عدوك وعدوي وفي متناول يده بلا حارس ولا مانع ولا مدافع، ولكن عينه لا تمتد إليك بالشر لأني ألقيت عليك محبة مني ويده لا تنالك بالضر وأنت تصنع على عيني وتحت حمايتي ورعايتي وولايتي.

لم يدع الله تعالى أمه في بيتها للقلق والخوف بل حقق وعده ورده عليها وجمعه بها وجمعها به، ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:13]. إن الله ﷻ يتولى رسله فيحفظهم من كل سوء وأمر الله نافذ فيهم تحت رعايته وولايته، ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[القصص:14]، بعد ذلك دخل المدينة فوجد رجلين يقتتلان ﴿...فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ...﴾ [القصص:15].

حيث تدخل موسى عليه السلام لفض النزاع فضربه بجمع يده فقتله ﴿...فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص:15]، فنجاه الله ﷻ من تآمر فرعون وملئه وحماه بالخروج من مصر، ﴿...فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ [طه:40]، حيث جئت في الوقت المناسب، وجئت على القدر الذي قدرناه لك ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41].

وترى الباحثة أن الاصطناع من الصنيع، والمعروف حيث اختاره الله تعالى ثم جعله محل إكرامه وعطائه، كرّمه وتولاه وحفظه ليكون هادياً إليه.

إنها أعلى مرتبة يبلغها الإنسان أن يكون وليه الله، والولي للمرء هو المحب والصديق، والله دائماً ولي المؤمن حيث يهيئ له الخير ويسدده، ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ "خالصاً مستخلصاً ممحضاً لي ولرسالتي ودعوتي ليس لك شيء من هذه الدنيا ولا لهذه الدنيا، إنما أنت للمهمة التي صنعتك على عيني لها". (قطب، 1980 : 2335/4)

وكذلك يبين (قطب، 1980 : 2689/5) عناية الله بموسى حيث يقول: "لقد نقلت يد القدرة خطى موسى عليه السلام خطوة خطوة، منذ أن كان رضيعاً في المهد حتى هذه الحلقة، ألقت به في اليم ليلتقطه آل فرعون، وألقت عليه المحبة في قلب امرأته لينشأ في كنف عدوه، ودخلت به المدينة على حين غفلةً من أهلها ليقتل منهم نفساً، وأرسلت إليه بالرجل المؤمن من آل فرعون ليحذره وينصحه للخروج منها، وصاحبته في الطريق الصحراوي من مصر إلى مدين، وهو وحيد مطارد على غير زاد ولا استعداد، وجمعته بالشيخ الكبير ليأجره هذه السنوات العشر، ثم ليعود بعدها فيتلقى التكليف هذا خط طويل من الرعاية والتوجيه، ومن التلقي والتجريب قبل النداء وقبل التكليف، تجربة الرعاية والتدليل، وتجربة الاندفاع تحت ضغط الغيظ الحبيس، وتجربة الندم والتحرج والاستغفار وتجربة الخوف والمطاردة والفزع".

كل ذلك بتقدير من الله تعالى وبتصرف منه سبحانه وكليمه تحت ولايته ورعايته.

﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ "أي اصطفيتك واجتبيتك رسولاً لنفسي أي كما أريد وأشاء". (ابن كثير، 1999 : 294/5)

﴿...فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا...﴾ [طه:40]: "لقد طال الظلم ببني إسرائيل، فضاقت به نفس موسى عليه السلام حتى رأيناه يندفع في المرة الأولى ويندم، ثم يندفع في المرة الثانية لما ندم عليه حتى ليكاد يفعله، ويهم أن يبطش بالذي هو عدو له ولقومه. لذلك لم يتخل الله عنه، بل رعاه، واستجاب له، نجد موسى عليه السلام في قلب المخافة، بعد فترة من الأمن، بل من الرفاهية والطراءة والنعمى، ونجده وحيداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً، يطارده فرعون وجنده، ويبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلاً، ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا ولا تسلمه لأعدائه أبداً، فها هو ذا يقطع الطريق الطويل، ويصل إلى حيث لا تمتد إليه اليد الباطشة بالسوء". (قطب، 1980 : 2685/5)

ثم بعد ذلك جاء الاختيار والاصطفاء من الله تعالى لرسوله:

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13] أي "تخيرتك واصطفيتك من الناس".(السعدي، 2000 : 503/1)

"فيا للتكريم، يا للتكريم! أن يكون الله ذاته هو الذي يختار، يختار عبداً من العبيد هو فرد من جموع الجموع، لكنها رعاية الرحمن لهذا الإنسان، وبعد إعلانه بالتكريم والاختيار، والاستعداد، ﴿...فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13]. (قطب، 1980 : 2331/4)

ويبين قطب كذلك بأن "الرسل دائماً هم أول المؤمنين بعظمة ربهم وجلاله وبما ينزله عليهم من كلماته، وربهم يأمرهم أن يعلنوا هذا، فأدركت موسى رحمة الله مرة أخرى، فإذا هو يتلقى منه البشرى، بشرى الاصطفاء، مع التوجيه له بالرسالة إلى قومه بعد الخلاص، وكانت رسالته إلى فرعون وملئه من أجل هذا الخلاص ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي...﴾ [الأعراف:144] (قطب، 1980 : 1369/3)

وقد استجاب الله تعالى لسؤال نبيه موسى فأرسل معه أخاه هارون ليكون عوناً له ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:36] "وإلى هنا كفاية وفضل من التكريم والعطف والإيناس، وقد طال التجلي، وطال النجاء، وأجيب السؤال وقضيت الحاجة، ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا ممسك لها، فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، فيستبقيه في حضرته ويمد في نجائه وهو يذكره بسابق نعمته، ليزيده اطمئناناً وأنساً بموصول رحمته وقديم رعايته". (قطب، 1980 : 2334/4)

قال تعالى: ﴿ ...أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآَمِنِينَ﴾ [القصص:31] وكيف لا يأمن من تنقل يد القدرة خطاه وترعاه عين الله!

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا...﴾ [القصص:35]

"فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار، إنما يذهبان إليه مؤيَّدين بسلطان لا يقف له في الأرض سلطان، ولا تنالهما معه كف طاغية ولا جبار" ﴿...فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا...﴾ [القصص:35]، وحولكما من سلطان الله سياج، ولكما منه حصن وملاذ" (قطب، 1980 : 2693/5)

وقوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿...إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء:15] وفي سورة القصص: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:46] ويسترسل قطب في شرح ذلك بقوله: "أي قوة وأي سلطان، وأي حماية ورعاية وأمان، والله معهما ومع كل إنسان في كل لحظة وفي كل مكان، ولكن الصحبة المقصودة هنا هي صحبة النصر والتأييد، فهو يرسمها في صورة الاستماع، الذي هو أشد درجات الحضور والانتباه وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة". (قطب، 1980 : 2590/5)

لا تخافا، فمعكما الحق وهم معهم الباطل، أنتما منصوران ومتصلان بالقوة الكبرى وفي رعايته وولايته.

"إنه ليس لأصحاب الدعوة إلى رب العالمين إلا ملاذ واحد، وهو الملاذ الحصين الأمين، والأولى واحد وهو الولي القوي المتين، وعليهم أن يصبروا حتى يأذن الولي بالنصرة في الوقت الذي يقدره بحكمته وعلمه". (قطب، 1980 : 1355/3)

إن الله ﷻ يمكن للإنسان المؤمن إذا اتقى الله في تصرفاته، وأن يترقى في درجة إيمانه، ليكون ولياً من أولياء الله، يهيئ له ما يبغيه من الخير والمنفعة وكذلك يعده مع المؤمنين بأنهم لهم (البشرى) في الدنيا والآخرة. ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[يونس:62].

ومن خلال ما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من ولاية الله للمؤمنين:-

1- التوفيق والسداد في الحياة الدنيا والآخرة.
2- عدم خوف وحزن المؤمن لأنه في مأمن من الخوف لأن الله يرعاه ويتولاه في الدنيا والآخرة.
3- تحقيق وعد الله تعالى بالحياة الطيبة للمؤمنين على وجه الأرض.
4- تثبيت المؤمن بالقول الثابت في الحياة الدنيا ونُصرة الله تعالى له في كل الأمور.
5- دفاع الله تعالى عن العبد المؤمن وحمايته من بأس المشركين وظلمهم وجبروتهم.

ثامناً: استخدام الخوارق لإقامة الحجة:

إن الله تعالى قدر السنن في خرق النواميس، والسنن التي جعلها الله ﷻ ثابتة لتقوم حياة الناس عليها، ولكن الله ﷻ الذي ثبتها قادر على خرقها متى شاء، وفي خرقها آيات بينات وزيادة إيمان ويقين لمن تأملها، وتفكر فيها، وكان في قلبه الاستعداد لقبول الحق والانقياد له، ولكن أنى هذا مع قوم تعودوا على الذل والهوان. فمن أعرض عن الحق فإنه لن ينتفع ولن يستجيب لهذه الآيات حيث يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ...﴾[هود:103].

إن الله ﷻ أضل فرعون وقومه بعد علمه بكفرهم وأنهم حتماً سيعرضون عن الحق بيانه قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:104].

فالمعجزة لغةً: إثبات العجز، يرى الراغب أن العجز اسمٌ للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة". (الأصفهاني: د:ت : 322)

أما عن المعجزة اصطلاحاً: "فهي أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المــعارض"، والتــعريف يفيد: "معنى تأييد الله ﷻ لمن ادعى النبوة، بأمر ما ســواء كان قــولاً أو فــعلاً أو تــركاً، ويــكون مــخالفاً للعادة، مــوافق لدعــوى النــبي، مــقروناً بالتــحدي". (جاجي، 2003 : 307/1)

إن كل ما يراه الإنسان في الآفاق، والأنفس، والآلاء والنعم، لهو في حد ذاته آية من آيات الله ﷻ، ومعجزة من معجزاته سبحانه، ولكن تكرارها أمام الإنسان يفقدها ذلك صورتها الأساسية، وكثير من الناس يغفلون عن هذه الآيات التي يرونها في الليل والنهار، فالله ﷻ برحمته يظهر للناس، بعض الخوارق التي لم يكونوا يألفونها، بل إنها تصادم المألوف عندهم ليزداد بها الذين آمنوا إيماناً وثباتاً، وتكون فتنة للذين كفروا ونافقوا، زيادة لهم رجساً إلى رجسهم..

إن الخوارق نوعان:

1- ما يظهره الله ﷻ على يد أنبيائه من المعجزات أو على أيدي أوليائه من الكرامات، وكرامة الأولياء المتبعين لرسلهم هي في حقيقتها معجزة للرسول المتبع، إذ لولا الاتباع له لم تكن لهم هذه الكرامات. وجميع الكرامات والمعجزات هي في النهاية آية من آيات الله تعالى تدل على عظمته سبحانه، وقدرته وقهره، وطلاقة مشيئته ومحبته لأوليائه وأنبيائه ومعيته ونصرته لهم.
2- خوارق يجعلها الله ﷻ فتنة للذي تظهر على يديه ولمن يراها منه مثل الخوارق التي يظهرها الله ﷻ على يد الدجال في آخر الزمان.

ولابد في هذا المقام أن نفرق بين أولياء الله من أنبيائه ومن تبعهم، وما ظهر على أيديهم من المعجزات الدالة على نبوتهم ونصرة الله لهم، أو ما يظهره على أيدي أتباعهم من الكرامات التي هي في حقيقتها معجزة لأنبيائهم، وبين أولياء الشيطان الذين قد يظهر الله على أيديهم بعض الخوارق فتنة لهم ولأتباعهم.

ولقد وردت في كتاب الله ﷻ بعض هذه الخوارق، والمعجزات التي أظهرها الله ﷻ لعباده لتدلهم على قدرته وعظمته سبحانه ومحبته ونصرته لأنبيائه وأتباعهم ومنها ما جرى بإذن

الله على يدي عيسى عليه السلام، وما حدث لإبراهيم وداوود وسليمان ولرسولنا محمد عليهم جميعاً الصلاة والسلام.

أما عن الخوارق في قصة سيدنا موسى عليه السلام فمنها:

1- حفظ الله عز وجل لسيدنا موسى عليه السلام في مهده وهو رضيع في التابوت ثم في البحر ثم في بيت عدوه فرعون، قال تعالى: ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ فَالتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ** ﴾[القصص:7-8].

2- عصا سيدنا موسى وما فيها من المعجزات الخارقة:-

لقد جعل الله عز وجل في عصاه من الآيات والعجائب والمعجزات دليلاً على نبوته وإظهاراً لقدرته سبحانه وقهره لكل شيء، ومن هذه المعجزات:-

أ- تحولها إلى ثعبان:-

أولاً: أمام فرعون عندما واجهه موسى ودعاه إلى التوحيد:-﴿ **قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ ۞ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ۞ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ** ﴾ [الشعراء:30-33]، "إنها المفاجأة، إن العصا تنقلب إلى ثعبان لا شك في ثعبانيته ﴿ **مُبِينٌ** ﴾ ثم إن يده السمراء - وقد كان موسى عليه السلام "آدم" أي مائلاً إلى السمرة يخرجها من جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، بيضاء ليست عن مرض، ولكنها المعجزة، فإذا أعادها إلى جيبه عادت سمراء". (قطب، 1980 : 1347/3)

ثانياً: في المباراة مع السحرة حيث قال تعالى: ﴿ **قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ۞ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الغَالِبُونَ ۞ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** ﴾ [الشعراء:43-45]،"ويبدو التحدي واضحاً في تخييرهم لموسى، وتبدو ثقتهم بسحرهم وقدرتهم على الغلبة، وفي الجانب الآخر تتجلى ثقة موسى عليه السلام واستهانته بالتحدي ﴿ **قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا** ﴾: فهذه الكلمة الواحدة تبدو فيها قلة المبالاة، وتلقي ظل الثقة الكامنة وراءها في نفس موسى". (قطب، 1980 : 1349/3)

ويعلق قطب في موضع آخر: "ووقعت المعجزة الخارقة التي تقع في كل لحظة، ولكن الناس لا ينتبهون إليها، وقعت معجزة الحياة، فإذا العصا حية تسعى، وكم من ملايين الذرات الميتة أو الجامدة كالعصا تتحول في كل لحظة إلى خلية حية، ولكنها لا تبهر الإنسان كما يبهره أن تتحول عصا موسى حية تسعى، ذلك أن الإنسان أسير حواسه، وأسير تجاربه، فلا يبعد كثيراً في تصوراته عما تدركه حواسه. وانقلاب العصا حية تسعى ظاهرة حسية تصدم حسه فينتبه لها بشدة، أما الظواهر الخفية لمعجزة الحياة الأولى، ومعجزات الحياة التي تدب في كل لحظة فهي خفية قلما يلتفت إليها، وبخاصة أن الألفة تفقدها جدتها في حسه، فيمر عليها غافلاً أو ناسياً". (قطب، 1980 : 2332/4)

ب- انفلاق البحر لموسى عليه السلام ومن معه بإذن الله:-

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۞ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ البَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ العَظِيمِ﴾ [الشعراء:61-63]، ولقد وردت هذه المعجزة في أكثر من سورة منها ما ورد في سورة البقرة في صورة امتنان الله سبحانه على بني إسرائيل بالنعم العظيمة ومنها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ البَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة:50]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي البَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ [طه:77]، ويعلق قطب رحمه الله تعالى أيضاً على حصول هذه المعجزة فيقول: "وقعت المعجزة وانكشف بين فرقي الماء طريق، ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم، واقتحم بنو إسرائيل، ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق". (قطب، 1980 : 2599/5)

ج- تفجر الحجر الصغير عيوناً من الماء بإذن الله تعالى لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه:

قال تعالى : ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [البقرة:60]، وكذلك في سورة الأعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ المَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا

مِنْ طَيِّبَاتِ مَـــا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُــونَ﴾ [الأعراف:160]، ويـــبين (الرازي، د:ت : 451/1) "الحكمة في جعل الماء اثنتي عشرة عيناً أنه كان في قوم موسى كثرة والكثير من الناس إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه فإنه يقع بينهم تشاجر وتنازع، وربما أفضى ذلك إلى الفتن العظيمة، فأكمل الله تعالى هذه النعمة بأن عين لكل سبط منهم ماء معيناً لا يختلط بغيره، والعادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين".

ويوضح قطب في هذا المقام بأنه: "كما يسر الله لبني إسرائيل الطعام في الصحراء والظل في الهاجرة، كذلك أفاض عليهم الري بخارقة من الخوارق الكثيرة التي أجراها الله على يدي نبيه موسى عليه السلام والقرآن يذكرهم بنعمة الله عليهم في هذا المقام...لقد طلب موسى لقومه السقيا، طلبها من ربه فاستجاب له، وأمره أن يضرب حجراً معيناً بعصاه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً بعدة أسباط بني إسرائيل، وكانوا يرجعون إلى اثني عشر سبطاً بعدة أحفاد يعقوب".(قطب، 1980 : 73/1، 74)

د- اليد البيضاء:

قوله تعالى: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ [القصص:32]، وقال تعالى: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آَيَةً أُخْرَى﴾ [طه:22]، "وكأنما يده جناح يقبضه على صدره، كما يطمئن الطائر فيطبق جناحه، والرفرفة أشبه بالخفقان، والقبض أشبه بالاطمئنان". "والآن وقد تلقى موسى ما تلقى، وقد شاهد ما شاهد، وقد رأى الآيتين الخارقتين "العصا واليد" وقد ارتجف لهما ثم اطمأن". (قطب، 1980 : 2693/5)

3- قصة المقتول من بني إسرائيل الذي أحياه الله تعالى بضربه بجزء من بقرة مذبوحة حتى أخبر بقاتله:-

قـــال تـــعالـــى: ﴿وَإِذْ قَـالَ مُـوسَى لِـقَوْمِـهِ إِنَّ اللـهَ يَـأْمُرُكُمْ أَنْ تَـذْبَحُوا بَـقَرَةً قَـالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُـزُوًا قَـالَ أَعُـوذُ بِاللـهِ أَنْ أَكُونَ مِـنَ الجَـاهِلِينَ﴾ [البقرة:67]، وقــوله تــعالــى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللهُ المَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[البقرة:73]، ويـــبين (ابــن كــثير، 1999 : 293/1): " يقول الله تعالى: واذكروا يا بني إسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شأن البقرة، وبيان القاتل من هو بسببها

وإحياء الله المقتول" (ابن كثير، 1999 : 293/1)، "﴿...وَاللهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۝ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا...﴾ [البقرة:72-73]، "أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معيناً في نفس الأمر، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين والدنيا لبينه الله تعالى لنا". (ابن كثير، 1999 : 302/1)

4- نتق الجبل وقلعه وتهديد بني إسرائيل أن يقع عليهم من فوقهم:-

حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:171]، وكذلك قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:63] حيث أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: " ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الجَبَلَ﴾ قال: "رفعته الملائكة فوق رؤوسهم فقيل لهم: ﴿خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا سمعنا وعصينا". (الشوكاني، د:ت : 381/2)

ويعلق قطب على ذلك بقوله: "إنه ميثاق لا ينسى، فقد أخذ في ظرف لا ينسى،أخذ وقد نتق الله الجبل فوقهم كأنه ظلة، وظنوا أنه واقع بهم، ولقد كانوا متقاعسين يومها عن إعطاء الميثاق، فأعطوه في ظل خارقة هائلة كانت جديرة بأن تعصمهم بعد ذلك من الانتكاس ولقد أمروا في ظل تلك الخارقة القوية بأن يأخذوا ميثاقهم بقوة وجدية، وأن يستمسكوا به في شدة وصرامة، وألا يتخاذلوا ولا يتهاونوا ولا يتراجعوا في ميثاقهم الوثيق، وأن يظلوا ذاكرين لما فيه، لعل قلوبهم تخشع وتتقي وتظل موصوله بالله لا تنساه".(قطب، 1980 : 1389/3)

5- قصة إحياء السبعين من قوم موسى عليه السلام بعد موتهم بالصاعقة:-

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ۝ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:55-56] وقوله تعالى: ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:155].

6- الآيات البينات التي أرسلت على قوم فرعون رجزاً وعذاباً عليهم:-

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ۝ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالجَرَادَ وَالقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:132-133]، وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ما كانوا فيه قبل رفع العذاب عنهم وفق قدر الله في تأجيلهم إلى أجلهم المقدور لهم.

ومما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من الخوارق وهي كالتالي:

1- زيادة الإيمان واليقين، واطمئنان القلب، لأن في ظهور بعض الخوارق على أيدي الصالحين تزيدهم عزماً ويقيناً بأن الله ناصرهم.

2- التشجيع على عدم التقليد الأعمى وكذلك عدم الجمود في التفكير.

3- تعظيم الله ﷻ ومحبته والخوف منه وحده ففي هذه الآيات دلائل على عظمة الله تعالى.

4- الثقة في وعد الله تعالى ونصره للمؤمنين من خلال تسخير المعجزات والخوارق لنصرتهم وهذا يبث الأمل في نفوسهم.

5- إقامة الحجة على المكذبين بالأنبياء والرسل، وإلزامهم باتباع الحق أو وصمهم بالعناد الذي لا يقوم على حجة.

6- إعذار الأنبياء في إيقاع العقوبات والعذاب على الكافرين جحوداً وعناداً بعد رؤيتهم للمعجزات الخارقة.

الفصل الرابع

الأبعاد الأخلاقية في قصة موسى عليه السلام

أولاً: الأخلاق الإيجابية

ثانياً: الأخلاق السلبية

إن الأخلاق ما هي إلا منهج حياة تتصل بالماضي والحاضر، وترتبط بالإنسان ارتباطاً كلياً، ولا يستطيع الإنسان بعلمه وطاقته المحدودة أن يحدد منهجاً ثابتاً للأخلاق يلائم الناس جميعاً في زمن معين وفي كل زمان، على مدى العصور والأيام، والإسلام وحده هو الذي يقدر أن يضع حداً لهذا التخبط، فالإسلام وضع قواعد ثابتة لا تتغير لأنها من عند الله الحكيم الذي يهدي إلى ما يسعد البشر، والعليم بما يحيط بالإنسان من زمان ومكان.

لقد ظهر الإسلام في زمن كانت البشرية في خضم الظلمات من الفساد الخلقي فجاء منقذاً للبشرية من ذلك المستنقع الذي أغرقت فيه، فحرص الإسلام في تشريعاته على صياغة الإنسان القويم السوي، الذي تتجلى فيه الأخلاق الحميدة، وفق معيار الإسلام، فإذا ما تحرى المسلم هذا في جوانب حياته المتعددة، كانت تصرفاته انعكاساً طبيعياً لهذا الدين العظيم، شأنها في ذلك شأن كافة الرسالات السماوية، "فقد كانت دعوة الرسل عليهم السلام إلى مكارم الأخلاق تواكب تماماً دعوتهم إلى توحيد الله". (منصور، 2002: 70)

فالله وحده هو القادر والعليم بما يحيط بالإنسان من زمان ومكان، ومن ثم لا بد أن تتحدد الأخلاق بسنة الله التي أمر بها الإنسان، في وسط لا إفراط فيه ولا تفريط ولا غلو ولا تقصير وقد أشار لذلك (ابن القيم، 1418هـ : 176) بقوله: "للأخلاق حد متى جاوزته صارت عدواناً، ومتى قصرت عنه كانت نقصاً ومهانة، فللغضب حد هو الشجاعة المحمودة، والأنفة من الرذائل والنقائص، وهذا كمال إذا جاوز حده تعدى صاحبه وجار، وإن نقص عنه جبن ولن يأنف من الرذائل، وللحرص حد هو الكفاية في أمور الدنيا وحصول البلاغ، فمتى نقصت عن ذلك كان مهانة وإضاعة، ومتى زاد عليه كان شرها ورغبة فيما لا تحمد الرغبة فيه، وللحسد حد وهو المنافسة في طلب الكمال والأنفة أن يتقدم عليه نظيره، متى تعدت ذلك صار بغياً وظلماً، يتمنى معه زوال النعمة عند المحسود، ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همة وصغر نفس"

ومن ثم كان القرآن كتاب هداية أصلاً، وخطابه موجه لهذه النفس البشرية، وقيم القرآن ثابتة لا تتغير، وهي موجهة للنفس البشرية الثابتة التي لا تتغير.

والأخلاق الفاضلة عنصر رئيس في بقاء الأمم ونهوضها، وهي تؤثر على مسيرة المجتمعات سلباً وإيجاباً، والأخلاق الفاضلة تشيع في المجتمعات الرحمة والترابط والمجتمع الراقي لن يتحقق وجوده إلا "إذا ترسخت حقاً مكارم الأخلاق، بحيث يطمئن كل إنسان إلى أخلاقيات من يتعامل ويعمل معهم". (الأسمر، 1997 : 407)

والأخلاق السيئة تحيل المجتمعات إلى صراع وفساد. وإن المنهج الإسلامي عامر بمكارم الأخلاق والدليل على ذلك قوله ﷺ **[إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاقِ]** (ابن حنبل، 1999 : 512/14)

فرسولنا خلقه القرآن، والله تعالى اصطفاه ورباه على الخلق العظيم، ليكون نبراساً تقتبس منه الإنسانية وتتأسى بهذه الأسوة الحسنة.

الخلق لغةً: "هو الدين، والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة وهي نفْسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها، والتي تأتي بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة) (ابن منظور، 1424هـ : 104/10)

والخلق اصطلاحاً: عرفه (يالجن، 1977 : 75) من منظور إسلامي عبارة عن "مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، التي يحددها الوحي لتنظيم حياة الإنسان وتحديد علاقته بغيره على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه".

ويعرف حجة الإسلام أبو حامد الغزالي الخلق بأنه (هيئة في النفس واضحة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية). (الغزالي، 1996 : 77/3)

وللقرآن أسلوبه في عرض القيم الأخلاقية، فهو يقدمها بطريق مباشر بالأمر والنهي، والحض والمنع والإنذار والتبشير، أو يقدمها بطريق غير مباشر عن طريق الأمثال وأحداث التاريخ والقصص للأمم السابقة وقصص الأنبياء.

وبين القرآن أن المجتمع الإنساني في حالة حركة دائمة ودائبة، ولتغيره عوامل وأسباب، والذنوب وسوء الخلق آفات وأمراض جعلها الله سبباً وعاملاً في هلاكهم، فكم أهلك الله من قرية بطرت معيشتها وساءت أخلاقها، ولكن حسن الخلق يؤدي إلى الرخاء والبركة، وكم تمكنت قرون بطاعتها الله وبالتالي يتحدد القانون الإلهي ﴿...**إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**...﴾ [الرعد:11].

وانطلاقاً من الفهم السابق للمنهج الأخلاقي يمكن إبراز الأبعاد التربوية كما وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام في المجال الأخلاقي على النحو الآتي:-

أولا: الأخلاق الإيجابية لسيدنا موسى عليه السلام والفئة المؤمنة.

ثانيا: الأخلاق السلبية لقوم سيدنا موسى عليه السلام.

أولاً: الأخلاق الإيجابية ومنها:

1- سرعة الإنابة إلى الله والتطهر من الذنوب.

2- الإخلاص لله والثقة بنصره.

3- الأمانة والقوة في الحق.

4- التحلي بالصبر والصدق.

5- العفو والحلم واللين في الدعوة.

ثانياً: الأخلاق السلبية لقومه:-

1- العناد والجحود والإصرار على الكفر.

2- نقض العهود.

3- قسوة القلب رغم رؤية الآيات.

4- بطر النعمة.

أولاً: الأخــلاق الإيــجابية:-

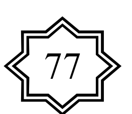
1- سرعة الإنابة إلى الله تعالى والتطهر من الذنوب:-

إن التوبة هي الحالة التي يراد للمؤمن أن يعيشها بشكل دائم ومستمر، لأنها البعد عن الخلق السيئ، وبالتالي عمل الخيرات والتوبة إلى الله سبب لحصول الأمن والرخاء من الله تعالى، ولقد وجدنا من خلال قصص الأنبياء في القرآن الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام وصفه الله تعالى بالمنيب وذلك من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾ [هود:75].

أي إنه منيب رجاع إلى الله بمعرفته ومحبته والإقبال عليه والإعراض عمن سواه، ويبين (ابن القيم، د:ت : 467/1) أن المنيب إلى الله هو المسرع إلى مرضاته والراجع إليه كل وقت، المتقدم إلى محابه، والإنابة تتضمن أربعة أمور هي: محبة الله، والخضوع له، والإقبال عليه والإعراض عما سواه.

ويبين (القاسمي، د:ت : 85/1) أن: "الإنابة بمعنى التوبة ولكنها أعلى من التوبة لأن التوبة إقلاع وعزم على أن لا يعود وندم على ما مضى، فإن استمر على ما هو عليه من عباداته فهو تائب، فإذا أقبل على الطاعات بعد توبته كقراءة القرآن والصدقة فهذه إنابة إلى الله".

يوضح (ابن القيم، 1418هـ : 237): أن الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا يفارقه، وحقيقة ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم، وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له".



ومن خلال تحليل الآيات التي ورد فيها سيدنا موسى عليه السلام وجدنا أنه كان سريع الإنابة والتوبة والرجوع إلى الله تعالى، وكان دائماً عليه السلام يحرص أشد الحرص على توبة قومه إلى الله تعالى وتطهيرهم من تلك الذنوب بالرجوع والندم والاستغفار ومن ذلك:-

أ- مبادرته إلى الاستغفار والتوبة والإنابة إلى الله تعالى بعد قتله غير المتعمد للقبطي: حيث قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾ [القصص:16]. ويوضح (السعدي، 2000 : 613): "أن موسى استغفر ربه" قال رب إني ظلمت نفسي..." والاعتراف بظلم النفس فضيلة خصوصاً للمُخْبتين، المبادرين للإنابة والتوبة كما جرى من موسى عليه السلام. فقال موسى: ﴿...رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ...﴾ [القصص:17] بالتوبة والمغفرة، والنعم الكثيرة ﴿...فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:17] أي: معيناً ومساعداً"..

ها هم صفوة الله من خلقه يعودون بالتوبة إلى الله تعالى، وبالإنابة إليه من كل ذنب فالأحرى بالأمة أن تتعظ من ذلك وتعود إلى الله تعالى عسى الله أن يرفع ما لحق بنا من ذلة.

ويبين (قطب، 1980 : 2682/5) موقف موسى عليه السلام بقوله: "استطر في فزع ما دفعه إليه الغضب، يعترف بظلمه لنفسه أن حملها هذا الوزر، ويتوجه إلى ربه، طالباً مغفرته وعفوه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي...﴾ [القصص:16] واستجاب الله إلى ضراعته وحساسيته واستغفاره فغفر له..إنه هو الغفور الرحيم، وكأنما أحس موسى بقلبه المرهف وحسه المتوفز في حرارة توجهه إلى ربه، أن ربه غفر له، والقلب المؤمن يحس بالاتصال والاستجابة للدعاء".

ب- إنابته وتوبته إلى الله بعد سؤاله رؤية ربه في الدنيا:-

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:143]

عندما سمع سيدنا موسى عليه السلام كلام ربه عز وجل طمع في رؤيته فقال: ﴿...رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي...﴾. ويشير (الألوسي، ب:ت : 46/9): "قال تعظيماً لأمر الله سبحانه ﴿سُبْحَانَكَ﴾: أي تنزيهاً لك من

مشابهة خلقك في شيء، أو من أن يثبت أحد لرؤيتك على ما كان عليه قبلها، أو من أن أسألك شيئاً بغير إذن منك ﴿...تُبْتُ إِلَيْكَ...﴾ من الإقدام على السؤال بغير إذن".

وكذلك ﴿...فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ...﴾، الأصم الغليظ ﴿...جَعَلَهُ دَكًّا...﴾" أي انهال مثل الرمل، انزعاجاً من رؤية الله وعدم ثبوته لها، ﴿...وَخَرَّ مُوسَى...﴾ حين رأى ما رأى ﴿...صَعِقًا...﴾ فتبين له حينئذ أنه إذا لم يثبت الجبل لرؤية الله فموسى أولى أن لا يثبت لذلك، واستغفر ربه لما صدر منه من السؤال، الذي لم يوافق موضعاً ولذلك قال: ﴿...سُبْحَانَكَ...﴾ أي تنزيهاً لك وتعظيماً عما لا يليق بجلالك، ﴿...تُبْتُ إِلَيْكَ...﴾ من جميع الذنوب، وسوء الأدب معك ﴿...وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾. (السعدي، 2000 : 302)

عندما تتأمل النفس البشرية هول الموقف الذي حصل لسيدنا موسى عليه السلام وبرغم ذلك كان سريع الإنابة والتوبة إلى الله، لله درهم أولو العزم من الرسل فلقد لاقوا في سبيل الدعوة الكثير: ومن ذلك أيضاً موقفه عليه السلام مع قومه وحثه لهم بالتوبة وتطهير أنفسهم من الذنوب، ولقد كان لتلك الحياة المهينة التي عاشها بنو إسرائيل في ظل القتل والاستحياء، وانحرافهم المستمر عن الحق وهذا كله يتطلب من نبي الله موسى جهوداً ضخمة لإصلاح تلك القلوب الواجفة والنفوس المريضة، حيث بعد أن جاوز بنو إسرائيل البحر وقع منهم الشرك، إذ حاولوا عبادة الأصنام، متجاهلين بذلك المعجزات التي رأوها فلذلك وقف لهم نبيهم موقفاً عنيفاً يصدهم من خلاله عن تلك الأفعال الخبيثة مثلاً:-

حاولوا في بداية الأمر عبادة الأصنام وذلك من قوله تعالى: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:138].

ولقد وجدنا أنه عليه السلام ينبههم إلى جهلهم فقال: ﴿...إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ وقد أشار الشوكاني لذلك فقال: "وصفهم بالجهل لأنهم قد شاهدوا من آيات الله ما يزجر من له أدنى علم عن طلب عبادة غير الله، ولكن هؤلاء القوم..أشد خلق الله عناداً أو جهلاً وتلوناً". (الشوكاني، د:ت : 240/2)

ثم بعد أن بين لهم أن ذلك إنما هو جهل كذلك نبههم إلى بطلان عبادة الأصنام: وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ثم بعد أن جاوز بنو إسرائيل البحر، وبعد أن استقروا، عمد موسى عليه السلام إلى تركهم، ملبياً وعد الله له أربعين ليلة، يكلمه فيها، ويناجيه، وينزل عليه التوراة التي فيها الهدى والحكمة لبني إسرائيل، ولقد كلف أخاه أن يخلفه من بعده على قومه، وأوصاه بما يصلحهم، وذلك لما علمه من تقلب قومه المستمر وانحرافهم السريع.

وأثناء غياب موسى عليه السلام عن قومه، حدث منهم ما لا يتوقع حيث عبدوا العجل من دون الله تعالى، فرجع موسى غضبان أسفاً وطلب منهم الرجوع إلى الله والعودة إليه بالتوبة وتطهير أنفسهم وتزكيتها، **ترى الباحثة** بأن: التزكية: هي تطهير النفس وتربيتها وتزكيتها من الشرك وما يتفرع عنه، وتحقيقها بالتوحيد وما يتفرع عنه.

إن صلاح النفوس وتزكيتها دأب السائرين إلى الله تعالى: الأنبياء وأتباعهم، فقد بدأ عليه السلام بتطهير نفوسهم بعد توبتهم حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:54]، "هذه صفة توبته تعالى على بني إسرائيل من عبادة العجل ﴿ ...إِلَى بَارِئِكُمْ... ﴾ تنبيه على عظم جرمهم، أي فتوبوا إلى الذي خلقكم وقد عبدتم معه غيره". (ابن كثير، 1999 : 261)

يبين (السعدي، 2000 : 52) هذا المعنى بقوله: "إنه أمركم بالتوبة على لسان نبيه موسى بأن يقتل بعضكم بعضاً فعفا الله عنكم بسبب ذلك" أي بسبب توبتهم والتزامهم بأمر الله تعالى وتوبتهم.

وأشار (البغوي، 1417هـ : 96/1) إلى قوله تعالى: "﴿ فَتُوبُوا ﴾: أي فارجعوا، ﴿ إِلَى بَارِئِكُمْ ﴾ خالقكم. قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ﴾ يعني ليقتل البرئ منكم المجرم، ﴿ ذَلِكُمْ ﴾ أي القتل ﴿ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ ﴾".

ويضيف الطبري بقوله: "أمرهم موسى بالمراجعة من ذنبهم والإنابة إلى الله من ردتهم بالتوبة إليه، والتسليم لطاعته فيما أمرهم به وأخبرهم ان توبتهم من الذنب الذي ركبوه قتلهم أنفسهم". (الطبري، 2000 : 72/2)

وتحدث (رضا، 1990 : 265/1) عن التوبة فقال: "إنها محو أثر الرغبة في الذنب من لوح القلب، والباعث عليها هو شعور التائب بعظمة من عصاه، وما له من السلطان عليه في الحال، وكون مصيره إليه في المآل، لا جرم أن الشعور بهذا السلطان الإلهي بعد مقارفة الذنب يبعث في قلب المؤمن الهيبة والخشية، ويحدث في روحه انفعالاً مما فعل، وندماً على صدوره عنه".

إن من علامة التوبة النصوح، الإتيان بأعمال تصعب على النفس مثل ما طلب سيدنا موسى عليه السلام منهم أن يتطهروا ويقتلوا أنفسهم حيث ذكر الله تعالى قصة اتخاذهم العجل وتطهيرهم من ذلك حيث يقول تعالى: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الغَافِرِينَ ﴾[الأعراف:155]. "فقالوا لجماعتهم يا موسى، سل لنا ربك أن يفتح لنا باب توبة نصنعها، فيكفر عنا ما عملنا، فاختار موسى قومه سبعين رجلاً لذلك لا يألو الخير، خيار بني إسرائيل ومن لم يشرك في العجل، فانطلق بهم يسأل لهم التوبة، فرجفت بهم الأرض فاستحيا نبي الله من قومه ومن وفده حين فعل بهم ما فعل فقال: ﴿ ...رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا... ﴾ [الأعراف:155]" (ابن كثير، 1999 : 292/5)

ويعلق قطب على ما سبق مضيفاً بأنه "لم يكن بد من التطهير القاسي، فهذه الطبيعة المنهارة الخاوية لا تقومها إلا كفارة صارمة، وتأديب عنيف، عنيف في طريقته وفي حقيقته: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ العِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة:54]. ليقتل الطائع منكم العاصي، ليطهره ويطهر نفسه، إنه لتكليف مرهق شاق أن يقتل الأخ أخاه، فكأنما يقتل نفسه برضاه، ولكنه كذلك كان تربية تلك الطبيعة المنهارة الخوارة، التي لا تتماسك عن شر، ولا تتناهى عن منكر، ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام، وليؤدوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي تنفعهم وتربيهم وهنا تدركهم رحمة الله بعد التطهير، ﴿ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾.(قطب، 1980 : 71/1)

ومما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من الإنابة إلى الله والتطهر:-

1- لابد أن يكون الداعية خالياً من كل شائبة في ماضيه وحاضره تؤخذ عليه، ولابد من سرعة التوبة والإنابة إلى الله تعالى.
2- أن الله تعالى صاحب الفضل والمنة، يمن على عباده أفراداً وجماعات بالخير والفضل، وتغيير الأحوال نحو الأفضل لذلك لابد من توبة صادقة حيث قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا...﴾ [التَّحريم:8].
3- أن اليهود لا تقنعهم آية ولا تثنيهم عن غيهم معجزة، فقد أراهم الله تعالى على يد سيدنا موسى عليه السلام كثيراً من المعجزات كرؤيتهم البحر وقد انفلق وعبروا هاربين من فرعون وجنوده، ورؤيتهم كثيراً من الآيات إلا أنهم اتخذوا العجل إلهاً من بعد ما جاءتهم البينات.
4- تبين الآيات في سياقها أن الناس عرضة للانتكاس والبعد عن الحق والعدل، بل إن بعضهم عرضة للارتداد عن الدين كله، ومع ذلك كله لا يملك الدعاة إلا أن يصبروا عليهم ويحثوهم على التوبة والإنابة إلى الله.

2- الإخلاص لله والثقة بنصره:

إن إخلاص النفوس لله تعالى وإخلاص الغايات التي ينطلق من خلالها الدعاة هي من أهم القضايا التي يتوقف عليها النصر، وإن حقيقة هذه الحياة تقوم على إخلاص النفوس لله تعالى، لذلك كان الإخلاص هو جوهر الدين الإسلامي وجوهر رسالة الإسلام حيث يقول تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ القَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:5].

فالإخلاص حقيقة الدين، وهو مفتاح دعوة الرسل عليهم السلام حيث به يرفع العمل يُقبل، والكل مأمور بالإخلاص لله تعالى، فعلى المسلم أن يخلص النية في كل عمل يقوم به حتى يقبله الله منه، لأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً، وابتغي به وجهه سبحانه، ولابد أن يكون الإخلاص صفة لازمة للإنسان المسلم في كل أحواله سواء أكان عاملاً أم تاجراً.

فالإخلاص لغةً: من خَلص الشيء بالفتح يخلص خلوصاً وخلاصاً إذا كان قد نشب ثم نجا وسلِم". (ابن منظور، 1424هـ : 29/7)

واصطلاحاً: قال ابن القيم بأنه: "إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة". (ابن القيم، د:ت : 95/2)

وترى الباحثة أن الإخلاص هو إفراد الله تعالى في العبادة وتنقية الأقوال والأفعال من كل شائبة ومصلحة والتوجه بها خالصةً لله تعالى مع الصدق في النية.

فالإخلاص دأب الصالحين وكذلك أولي العزم من الرسل وغيرهم من الأنبياء حيث قال الله تعالى فيهم: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ۞ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ۞ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ**﴾ [ص:45-47]. يقول تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا**﴾ الذين أخلصوا لنا العبادة ذكراً حسناً، ﴿**إِبْرَاهِيمَ**﴾ الخليل وابنه ﴿**وَإِسْحَاقَ**﴾ وابنه ﴿**وَيَعْقُوبَ**﴾ ﴿**أُولِي الأَيْدِي**﴾: أي أولي القوة على عبادة الله تعالى، ﴿**وَالأَبْصَارِ**﴾: أي البصيرة في دين الله، فوصفهم بالعلم النافع والعمل الصالح الكثير.

﴿**إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ**﴾ عظيمة وخصيصة جسيمة، وهي ﴿**ذِكْرَى الدَّارِ**﴾ جعلنا ذكرى الدار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم". (السعدي، 2000 : 714/1)

ويبين (الغزالي، 1416هـ : 70): "بأن صلاح النية وإخلاص الفؤاد لرب العالمين يرتفعان بمنزلة العمل الدنيوي البحت، فيجعلانه عبادة متقبلة".

ومن هنا وصل أنبياء الله إلى هذه المرحلة بسبب إخلاصهم وثقتهم بالله تعالى فاصطفاهم من صفوة خلقه واختصهم بمقام عالٍ عنده.

فالإخلاص سمة بارزة للأنبياء عليهم السلام فلقد قال الله ﷻ أيضاً عن خليله عليه السلام: ﴿**إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الصَّفات:84]، فسلامة القلب وصحة العقيدة وخلوص الضمير صورة النقاء والطهارة والإخلاص، ويبين (ابن القيم، 1423هـ : 235): ما كان اصطفاء إبراهيم عليه السلام بالخلة إلا لأنه تفرد بحب الله في قلبه، وقد ظهر ذلك حينما وهبه الله الولد – إسماعيل – في كبره، فتعلق في قلبه من الحب لولده، فأمره الله أن يذبح ابنه، فامتثل لأمر الله وبهذا خلص القلب لله تعالى، وعليه اتخذه الله خليلاً.

وإن النبي ﷺ كان يربي المؤمنين على ضرورة الإخلاص لله تعالى في جميع الأمور وأن تكون أهدافهم هي مرضاة الله حيث جاء في الحديث الشريف: **[جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَإِنَّ أَحَدَنَا يُقَاتِلُ غَضَبًا، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، فَرَفَعَ**

إِلَيْهِ رَأْسَهُ، قَالَ: وَمَا رَفَعَ إِلَيْهِ رَأْسَهُ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ قَائِمًا، فَقَالَ: مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ]. (البخاري، 1987 : 58/1، حديث 123)

فإن الجماعة المسلمة قامت على أساس الإخلاص فمن التناقض أن يكون الدافع للجهاد هو الغضب والحمية أو الرياء أو أي شيء حرمه الله إنها تسعى لإعلاء كلمة الله وتطبيق شرعه ونصرة دينه ابتغاء مرضاة الله وطاعته فيجب أن تنأى عن الرياء بأي شكل كان. (زيدان، 1993 : 105)

أما عن سيدنا موسى عليه السلام فإن من أعظم المؤهلات التي ساعدته على مواجهة أضخم تكليف بشري في تاريخ الكون بعد سيدنا محمد ﷺ أكبر قصة لمواجهة الظلم في تاريخ البشرية، حيث وقف وحده أمام أعتى جبابرة الأرض بإخلاصه، حيث كان وسط كل هذه الظروف والظلم ومواجهة فرعون كان مخلصاً لله، حيث أصبح كليم الله لأنه من أعظم المخلصين لأنه برغم أنه عاش مهدداً ومطارداً من ترحال إلى ترحال مهدداً بالموت من المولد حتى الوفاة إلا أنه كان مخلصاً واثقاً بالله وأنه تعالى سينصره فقال تعالى عنه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:51] "أي واذكر في هذه القرآن العظيم موسى بن عمران، على وجه التبجيل له والتعظيم، والتعريف بمقامه الكريم وأخلاقه الكاملة، ﴿إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ قرئ بفتح اللام على معنى أن الله تعالى اختاره واستخلصه، واصطفاه على العالمين، وقرئ بكسرها على معنى أنه كان مخلصاً لله تعالى في جميع أعماله، وأقواله ونياته فوصفه بالإخلاص في جميع أحواله والمعنيان متلازمان، فإن الله أخلصه لإخلاصه، وإخلاصه موجب لاستخلاصه، وأجل حالة يوصف بها العبد الإخلاص منه والاستخلاص من ربه". (السعدي، 2000 : 495/1)

ويوضح (الزحيلي، 1418هـ : 113/16) معنى كلمة (مُخلصاً) في الآية السابقة بقوله: "أي مخلصاً في عبادته عن الشرك والرياء موحداً أسلم وجهه لله".

فهو كذلك كان عليه السلام خالصا مستخلصاً لله تعالى، فبعد أن رأى تعالى إخلاص نبيه موسى عليه السلام استخلصه لنفسه واختاره ليكون رسوله فقال: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ [طه:41] أي خلقتك وهديتك ونجيتك من القتل لأرى إخلاصك وبالتالي لتكون خالصاً لي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:13] ﴿...وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] أي تكريم هذا وأي استخلاص، لابد أنه لم يصل لهذه المرتبة لولا إخلاصه لله تعالى.

وكذلك من سياق الآيات نلمح مدى ثقة سيدنا موسى بنصر الله له ولقومه برغم ما لحق به من مطاردة في بداية الأمر، وجحود قومه وإنكارهم لنعم الله في نهاية الأمر أنه سار عليه السلام من مصر إلى مدين، ليس له طعام إلا البقل وورق الشجر، وكان حافياً، فما وصل مدين حتى سقطت نعل قدمه، وجلس في الظل، وإنَّ بطنه لاصق بظهره من الجوع، رغم ذلك كان واثقاً بنصر الله له.

والأحرى بمن وجد ما وجد أن يكون يائساً قانطاً، فلقد كان بحاجة إلى الأمن كما كان بحاجة إلى الطعام والشراب، وحاجته إلى الأمن كانت أشد، لأنه خرج من مصر خائفاً من بطش فرعون ولكنه قال كلمة الواثق: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص:22]، يبين (الألوسي،د:ت : 59/20): "قال عليه السلام ذلك توكلاً على الله تعالى وثقة بحسن توفيقه عز وجل".

"قال ذلك على سبيل الرجاء في فضل الله تعالى وكرمه: عسى ربي الذي خلقني بقدرته، وتولاني برعايته وتربيته أن يهديني ويرشدني إلى أحسن الطرق التي تؤدي إلى النجاة من القوم الظالمين". (طنطاوي، د:ت : 3256/1)

تلك هي أخلاق الأنبياء الثقة بأن الله سينصرهم ففي موضع آخر من سورة القصص في حواره مع فرعون كان واثقاً بأن الله أيضاً سينصره، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ۞ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [القصص: 36-37]، يعلق قطب على ذلك قائلاً بأنه: "رد مؤدب مهذب، يلمح فيه ولا يصرح، وفي الوقت ذاته ناصع واضح، ملئ بالثقة والطمأنينة إلى عاقبة المواجهة بين الحق والباطل فربه أعلم بصدقه وهداه، وعاقبة الدار مكفولة لمن جاء بالهدى، والظالمون في النهاية لا يفلحون". (قطب،1980: 2694/5)

وأيضاً بعد أن نجى الله قوم إسرائيل من بطش فرعون وأراد عليه السلام أن يعبر بهم البحر فبدأت النفوس التي تعودت على الخوف بالشكوى إلى نبيهم فقال: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۞ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:61-62]. إجابة المؤمن الواثق بأن الله صادق بوعده وسينصره، فقال لهم: "لن يصل إليكم

شـــيء مما تحذرون، فإن الله ﷻ هو الذي أمرني أن أسير ها هنا بكم وهو لا يخلف الميعاد".(ابن كثير، 1999 :144/6)

ويضيف صاحب الظلال على ذلك: بأنه بلغ الكرب مداه، وإن هي إلا دقائق تمر ثم يهجم الموت لا مناص ولا معين! ولكن موسى الذي تلقى الوحي من ربه لا يشك لحظة وملء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، حيث "قال موسى ردعاً لهم عن ذلك وإرشاداً إلى أن تدبير الله ﷻ يغني عن تدبيره: ﴿كَلَّا﴾ لن يدركوكم ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾ بالحفظ والنصرة، ﴿سَيَهْدِينِ﴾ قريباً إلى ما فيه نجاتكم منهم ونصركم عليهم، ولم يشركهم عليه السلام في المعية والهداية، أي قال: ﴿سَيَهْدِينِ﴾ ولم يقل سيهدينا". (الألوسي،د:ت : 85/19)

ومما سبق يتبين لنا أهم الثمار التربوية من الإخلاص لله تعالى والثقة بنصره:

1. أن أهم الأعمال وأعظمها قدراً أعمال القلوب لأن القلب موضع نظر الله من العبد حيث جاء فـــي الحديث: [**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**]. (مسلم، ب:ت : 1986/4، ح 2564)
2. تأييد الله ﷻ وعونه في الشدائد، فالله يمد المخلصين بعونه ورعايته وتأييده فينقذهم من المهالك ويساعدهم في الشدائد، كما أعان الله سيدنا موسي ومن قبله الأنبياء .
3. سكينة النفس: فالإخلاص يكسب صاحبه الأمن والسكينة، فيشعر بانشراح الصدر، وهدوء النفس.
4. قبول الأعمال والتوفيق من الله تعالى لأن الإخلاص أحد شروط قبول العمل .

أخيراً على المسلم أن يخلص النية في كل عمل يقوم به حتى يتقبله الله منه. وينجو من العذاب العظيم يوم الدين.

3- الأمانة والقوة في الحق.

إن جميع الأنبياء والمرسلين على مر التاريخ، دعوا البشرية إلى معرفة الله تعالى والإيمان به، وتنزيهه وتوحيده، وقبول عبوديتهم له دون شريك، ولقد حملوا الأمانة وبقوة لتبليغ دين الله، وكانوا نماذج وأمثلة للاقتداء بهم في طراز معاشهم، وأخلاقهم، وتصرفاتهم تجاه كل الأمور في حياتهم، وردود أفعالهم تجاه ما يجري على الأرض، وكذلك بشخصياتهم الفذة، وشيمهم الكريمة، فاستحقوا أن يكونوا قدوة لجميع أهل الدين والإيمان، وعلى مر الدهور والأزمان..وفي هذا جاء قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو

اللهَ وَاليَوْمَ الآَخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:21] لذا على المؤمنين إدراك ذلك، والانتباه إلى النواحي المضيئة والمنيرة من أوصاف الأنبياء، واستخلاص الدروس والعبر من تفاصيل حياتهم وسيرهم، للاقتداء بها وجعلها دليلاً في الحياة.

إن المسلم إذا تغلغل الإيمان في قلبه واستمكن سيضفي عليه قوة تنعكس في حركاته وسكناته، فإذا ما تحدث كان واثقاً من قوله، وإذا ما سكت كان قوياً في صمته.

"فالحقُّ أن فضيلة القوة ترتكز في نفس المسلم على عقيدة التوحيد، كغيرها من الفضائل، تجعله يرفض الهوان في الأرض، لأنه رفيع القدر بانتسابه إلى السماء، ولأنه يستطيع في نطاق إيمانه أن يكون أمة وحده". (الغزالي، 1416هـ : 105)

فالأمانة لغةً: أمن واطمأن ولم يخف فهو آمن، ويقال أمن فلاناً على كذا أي وثق به أو جعله أميناً عليه، والأمانة الوفاء والوديعة". (مصطفى وآخرون، 1985م : 28/1)

والأمانة اصطلاحاً: "هي خلق ثابت في النفس يعف به الإنسان عما ليس له بحق، وإن تهيأت له ظروف العدوان عليه، وهي كذلك رعاية حقوق الله بتأدية ما على المرء من فرائض وواجبات". (قرعوش وآخرون، 2001 : 122)

إن غياب الأمانة من مجتمع معين له آثاره السلبية على ذلك المجتمع، والقوة إن لم تضبطها الأخلاق أصبحت معولاً للفساد والإفساد في الأرض، وأداةً للغطرسة والظلم والإجحاف.

لذلك كان "الأنبياء والرسل الكرام هم الصفوة العليا المختارة من البشر ليكونوا قدوة حسنة طيبة للناس في العقيدة والعبادة والأخلاق والسلوك والسمعة، وهذه القدوة لها تأثيرها البالغ في ترغيب الناس بدعوتهم، والانضمام تحت رايتهم". (الزحيلي، 1422هـ : 1483/2)

ولقد تحدث القرآن الكريم عن أمانة الرسل في أكثر من موضع حيث تحدث عن كل من هود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام ولقد كان سيدنا محمد ﷺ مثلاً أعلى في فضيلة الأمانة والقوة في مواجهة قريش حتى أنه لقبه الناس منذ فتوته وقبل بعثته "بالصادق الأمين"، فكان خلق الأمانة من الأخلاق الظاهرة البارزة فيه ﷺ.

ومن ذلك يفهم أن الأمانة ذات مفهوم واسع يتناول جميع العلاقات حيث قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾** [النساء:58] والأمانات تبدأ من الأمانة

الكبرى، التي أبت السموات والأرض والجبال أن يحملنها وأشفقن منها، وحملها الإنسان، وهي أمانة الهداية والمعرفة والإيمان بالله عن قصد وإرادة واتجاه، وهي أول ما أمر بأدائه من الأمانات ومن هذه الأمانة الكبرى، تنبثق سائر الأمانات التي أمر الله بأدائها، كي يصوغ نفوس المسلمين على هذا الخلق الطيب العظيم". (قطب، 1980 : 688/2)

ووضح (قرعوش وآخرون، 2001 : 125) أن "بعض الناس يقصرها على أضيق معانيها، وهو حفظ الودائع، مع أن حقيقتها في دين الله أوسع وأثقل" وكما نبهت من قبل بأن إيصال الأمانة تحتاج على قوة في إيضاح ذلك الحق، والقوة في الحق لإيصال تلك الأمانة العظمى لا تعني أن يكون الإنسان فظاً غليظاً في طرح ما يؤمن به بل لابد من أن يصاحب هذه القوة جرأة وشجاعة وحكمة في تقديمها امتثالاً لقوله ﷻ: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[النحل:125] ولعظيم شأن هذا الخلق اعتبره النبي ﷺ من أفضل الجهاد، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **[إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْجِهَادِ كَلِمَةَ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ]**. (الترمذي، ب:ت : 471/4، ح 2174)

لقد كانت قصة موسى ﵇ وقيمتها في هذه الحياة المتحركة أبداً..في شخصية موسى الأمينة القوية التي دخلت إلى الحياة في ظروف صعبة، في أول ولادته، وفي المجتمع المقهور المستعبد في ذلك الوقت، وفي الحياة القلقة التي درج فيها في أول خطواته مما جعله يختزن ذلك كله في كيانه، ليواجه الحياة من موقع الشعور بالأمانة ثم بالقوة. تلك القوة التي ما إن تمتد في الصراع الذي يحاول أن يجرها بعيداً حتى ترجع إلى الله سبحانه في موقف إنابة وابتهال..

ولقد مرت حياته بمواقف صعبة قبل أن يرسله الله نبياً إلى فرعون، فحفلت بالكثير من الأحداث والمواقف، مما ترك أثراً في شخصيته، فجعلها تهتز قليلاً في شعور خفي قلق من قوة الطغيان والكفر، المتمثلة في فرعون وسيطرته الكبيرة الممتدة في حياة أمته.

ولهذا وقف ﵇ – أمام تكليفه بالرسالة – في الموقف الخائف الذي يتقبل الرسالة بإيمان، ولكنه يريد أن يستجمع في نفسه وفي خطواته، عناصر جديدة من القوة، التي يستمدها من ألطاف الله ومن جهته؛ لذلك نجد أن الله تعالى أمره بأخذ التشاريع وأن يصدح فيها بقوة عندما قال: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:145] وأخذها بقوة تتطلب الأمانة

بتبليغها لذلك قال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:63]، ويبين (السعدي، 2000 :1/ 302): (فخذها بقوة) "أي بجد واجتهاد على إقامتها". فذلك يحتاج إلى أمانة وقوة عظمى في الاحتمال.

"فأمر العقيدة لا رخاوة فيه ولا تمييع، ولا يقبل أنصاف الحلول ولا الهزل ولا الرخاوة إنه عهد الله مع المؤمنين، وهو جد وحق، فلا سبيل فيه لغير الجد والحق، وله تكاليف شاقة نعم! ولكن هذه هي طبيعته، إنه أمر عظيم، أعظم من كل ما في هذا الوجود، فلابد أن تقبل عليه النفس إقبال الجاد القاصد العارف بتكاليفه، ولابد أن يدرك صاحب هذا الأمر إنما يودع حياة الدعة والرخاء والرخاوة". (قطب، 1980 : 76/1)

والأمانة والقوة تكون في تبليغ ما انزل الله تعالى وكذلك قد تكون الأمانة في التعامل مع الخلق، والقوة قد تكون جسمية ولكنها لا تقتصر في الإسلام على قوة الجسم وقوة الصرعة، كما أخبر النبي ﷺ بذلك: **[لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ]**.(البخاري، 1422هـ : كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، 28/8، حديث 6114)

وهي كذلك: ليست مثل القوة التي اصطلح عليها الناس، فهي قوة في العقيدة وقوة في الخلق وقوة في العلم، وقوة في المال، وقوة في التماسك الاجتماعي.

ونلمس ذلك من قول الفتاة لأبيها في سورة القصص: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:26]، حيث يوضح (ابن كثير،1999: 228/5) ذلك بقوله: "فاحتملته الغيرة على أن قال لها: ما يدريك ما قوته؟ وما أمانته؟ فقالت: أما قوته، فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السعي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إليّ حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه، حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امش خلفي، وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين".

وقوله تعالى في سورة الدخان: ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[الدُخان:18] "أي رسولٌ أمين مؤتمن على ما أرسلت به، غير متهم، لدلالة المعجزات على صدقه أو لائتمان الله على وحيه ورسالته". (الزحيلي، 1418هـ : 218/25)

وفي مقامٍ آخر في قصة موسى عليه السلام نجد أولئك السحرة بعد أن كانوا أعواناً للظلمة تحولوا في نهاية المطاف لناصرين للدين، فقد كان موقفهم مع فرعون موقفاً قوياً لأنهم ثبتوا

على الحق ويبين قطب ذلك بقوله: "ونقف بعد ذلك أمام إدراك السحرة بعد أن أشرق نور الإيمان في قلوبهم، وجعل لهم فرقاناً في تصورهم أن المعركة بينهم وبين فرعون وملئه هي معركة العقيدة، وأنه لا ينقم منهم إلا إيمانهم برب العالمين". (قطب، 1980 : 1352/3)

فرد عليهم فرعون بقوله: ﴿...وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه:71] وكان رد السحرة بعد أن لامس الإيمان شغاف قلوبهم قالوا: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه:73].

إنها القوة في أن يصدحوا بالحق أمام ذلك الطاغية ويضيف قطب على ذلك بقوله: "إنها لمسة الإيمان في القلوب التي كانت منذ لحظة تعدو لفرعون وتعد القربى منه مغنماً يتسابق إليه المتسابقون، فإذا هي بعد لحظة تواجهه في قوة، وترخص ملكه وزخرفه وجاهه وسلطانه. ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ فهي علينا اعز وأغلى وهو جل شأنه أكبر وأعلى، ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ ودونك وما تملكه لنا في الأرض، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، فسلطانك مقيد بها، وما لك من سلطان علينا في غيرها". (قطب، 1980 : 2343/4)

4- التحلي بالصبر والصدق.

إن الصبر والصدق في الدعوات هو أمر إلهي جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدعو إليه حيث قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾[الطُّور:48] وإن الصدق كذلك يمثل ذروة الأخلاق، وأعلى مراتبها، لذلك كانت التربية القرآنية تحث دائماً على هذين الخلقين، لذلك جاءت التشاريع الإسلامية لتربي الإنسان المؤمن في جميع حركاته وسكناته، وفي أقواله وأفعاله لذلك قال تعالى في سورة العنكبوت: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:3].

فالصبر لغةً: هو التجلد وعدم الجزع والنظر في هدوء واطمئنان، ويقال صبر على الأمر احتمله وحبس نفسه عنه وفي التنزيل العزيز: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالغَدَاةِ وَالعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ...﴾[الكهف:28]. (مصطفى وآخرون، 1985 : 505/2)

أما اصطلاحاً: "هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله، لأن الله تعالى أثنى على أيوب عليه السلام لصبره على الابتلاء الذي أصابه". (الجرجاني، 1421هـ : 171/1)

والصبر: "هو قوة خلقية من قوى الإرادة، تمكن الإنسان من ضبط نفسه لتحمل المتاعب، وضبطها من الاندفاع بعوامل الضجر والسأم والعجلة والرعونة والغضب والشهوات". (الميداني، 1992 : 305/2)

وترى الباحثة أن الصبر هو: قوة نفسية إيجابية تدفع المتحلي به إلى مقاومة كل أسباب الخور، والضعف والاستسلام، وتحمله على الصمود والثبات أمام الفتن والمغريات، وأمام المحن، والأحداث إلى أن يأذن الله له بالنصر أو يلقى الله وهو عنه راضٍ".

أما عن تعريف الصدق لغةً: "هو مطابقة الحكم للواقع". (المناوي، 1410هـ : 450/1)

أما اصطلاحاً فعرفه (الأصفهاني، د:ت : 277): "الصدق مطابقة القول الضمير والمخبر عنه معاً، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقاً تاماً".

والصدق صفة لا يتصف بها إلا المؤمنون الصالحون، لأنها من أعلى المنازل لأنها من صفات الله ﴿ ...**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلًا**﴾ [النساء:122]، وهذه الصفة من صفات الأنبياء عليهم السلام حيث قال الله ﷻ: ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:41]، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:56]، ﴿**وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾ [مريم:54].

وكذلك رسولنا تحلى بهذه الصفة قولاً وفعلاً حتى سمي بالصادق الأمين وقد ربى أصحابه على ذلك وجعله من أسباب البر ودخول الجنان، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: [**إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يَكُونَ صِدِّيقًا وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا**]. (البخاري، 1422هـ : 25/8، ح 6094)

إن عملية الصبر لا تتحقق إلا في الصادقين، فكان الصبر مصداقاً لإيمانهم الذي تربت عليه نفوسهم، لذلك جاءت التوجيهات القرآنية للمؤمنين ليلتزموا بمنهج الصدق في حياتهم وأخلاقهم فقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة:119] ولفظ الصدق يستعمل في عدة معانٍ: صدق في القول، وصدق في النية والإرادة وصدق في

العزم، وصـــدق فـــي الوفاء بالعزم، وصدق في العمل، وصدق في تحقيق مقامات الدين كـــلها. (الغزالي، 1996 : 38/5)

وقسمها الإمام ابن القيم رحمه الله إلى ثلاثة أقسام هي: الصدق في الأقوال، والصدق في الأعمال، والصدق في الأحوال.

"فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد، والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلوب والجوارح على الإخلاص". (ابن القيم، ب:ت : 281/2)

أمـــا ابن قدامة فـــقد قـــسم الصـــدق إلـــى خـــمسة أقـــسام: الصدق في القول، والصـــدق في النـــية والإرادة، والصـــدق في العـــزم والوفاء به، والصدق في مـــقامات الدين. (ابن قدامة، 1999 : 398)

إن الصدق هو الذي يشكل الإنسان الحقيقي بأخلاقه وأفعاله وسلوكه فنبدأ في البداية بصدق سيدنا موسى عليه السلام كالآتي:-

أولاً: عمد سيدنا موسى عليه السلام إلى إثبات مصداقية الرسالة أولاً فقال: ﴿**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ۞ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الأعراف:105]، بين موسى لفرعون إعلان نبوته عليه السلام وبأنه مرسل من الله، وكذلك إعلان الربوبية لله تعالى، ثم الإعلان بالرسالة التي انبثقت من الربوبية والنبوة وهي التي من أجلها بعث موسى لفرعون. (الهوبي، 1987 : 57)

وبعد أن بين لفرعون تلك الأمور الأساسية الثلاث، بدأ يبين صدقه وصدق دعوته ورسالته، وذلك لكي يبعد عن نفسه شبهة الافتراء على الله تعالى، وبذلك يقر موسى مصداقية دعوته بالحجة العقلية ﴿**قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ**﴾، "أي: بحجة قاطعة من الله، أعطانيها دليلاً على صدقي فيما جئتكم به". (ابن كثير، 1999 : 404/3)

وكذلك يبين (السعدي) ذلك بقوله: "فإذا كان هذا من شأنه، وأنا قد اختارني واصطفاني لرسالته، فحقيق على أن لا أكذب عليه، ولا أقول عليه إلا الحق، فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة، وأخذني أخذ عزيز مقتدر، فهذا موجب لأن ينقادوا له ويتبعوه، خصوصاً وقد جاءهم بينة من الله واضحة على صحة ما جاء به من الحق".

برغم ذلك لم يصدق فرعون زيادة في الجحود والإنكار والاستكبار فقال: ﴿ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [الأعراف:106] أي: "قال فرعون: لست بمصدقك فيما قلت، ولا بمطيعك فيما طلبت، فإن كانت معك حجة فأظهرها لنراها، إن كنت صادقاً فيما ادعيت"(السعدي، 2000 : 299/1)

ويعلق (قطب، 1980 : 1346/3) على قوله تعالى: "﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ...﴾ بقوله: "فما كان الرسول الذي يعلم حقيقة الله، ليقول عليه إلا الحق، وهو يعلم قدره، ويجد حقيقته – سبحانه – في نفسه ﴿ ...قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ...﴾ تدلكم على صدق قولي فإني رسول من رب العالمين". وهكذا تتجلى لنا الأهمية البالغة لمصداقية الداعي، والسبب في ذلك أن صدق الداعية وصدق توجهه يؤثر على إقناع المدعويين به وبدعوته".

وكــذلك في موضع آخر من [سورة الأعراف:152] قال تعالى: ﴿ ...وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ﴾[الأعراف:152] وبــيَّن الســعدي بأن "كــل مفتر على الله، كــاذب على شــرعه، متقول عليه ما لم يــقل، فإن له نصيباً مــن الغضب مــن الله، والذل فــي الحــياة الدنيا، وقــد نالهم غضب الله، حيث أمــرهم أن يقتلوا أنفسهم، وأنه لا يرضى الله عنهم بقتل بعضهم بعضاً". (السعدي، 2000 : 303/1)

وهذا جزاء من كذب وافترى على خلق الله، وافترى على الله تعالى ﴿ قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه:61] أي: لا تخيلوا للناس بــأعمالكم إيــجاد أشــياء لا حــقائق لــها وأنــها مــخلوقة، وليست مخلوقة، فتكونوا قد كذبتم على الله، ﴿فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾: أي يهلككم هلاكاً لا بقية له، ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾. (ابن كثير، 1999 : 301/5) أي من كذب ولم يتحرى الصدق...أما عن صبره عليه السلام فكان مثالاً وقدوة يحتذى بها في الصبر والجلد، فبداية ابتلاه الله تعالى بقتل القبطي، فخرج خائفاً يترقب فرعون وجيشه لأنهم أرادوا القضاء عليه فخرج باحثاً عن مأوى يحميه من بطشهم إلى أن وصل إلى مدين، وللنظر إلى حاله: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:21]. إن المؤمنين عادةً يبتلون بعدوهم من الكفار والمنافقين، فإذا صبروا وثبتوا على دينهم وجاهدوا كانت لهم العاقبة الحميدة والنصر على عدوهم، لذلك نجد أن

سيدنا موسى بعد كل العناء أبدله الله بالأمن والراحة في مدين، ثم بعد ذلك اصطفاه نبياً فبدأت في حياته مرحلة جديدة وهي تبليغ تلك الرسالة لأعتى قوة على الأرض، فرعون وملئه، ففي بداية الدعوة أمره الله وقومه بأن يأخذوا الكتاب بالقوة حيث قال: ﴿...**خُذُوا مَا آَتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ**...﴾ "أي بجد واجتهاد، وصبر على أوامر الله". (السعدي، 2000 : 54/1)

وفي مقام آخر نجد أنه عليه السلام يربي قومه على هذا الخلق الرفيع، حيث قد تمادى فرعون وملؤه في جبروتهم، ونفذ تهديده، فبدأ بقتل الرجال واستحياء النساء، ولقد مضى موسى وقومه يحتملون العذاب، ويصبرون على الابتلاء فكان يصدح بأسمائهم ويذكرهم بقوله: ﴿**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[الأعراف:128].

قابل موسى عليه السلام هذا الموقف: ﴿...**قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ [الأعراف:127] بحث المؤمنين على الاستعانة بالله والصبر على الابتلاء ووعدهم بنصر الله، فاستمرت الجولات بين الحق والباطل وفي النهاية أمر الله نبيه موسى أن يخرج بمن معه من المؤمنين، وتحقق لهم وعد الله وفلق لهم طرقاً يابسة في البحر، فإنه نصر الله يأتي مع الصبر، وفرجه يأتي مع الكرب، ويسره يأتي مع العسر.

"إنه مشهد النبي موسى عليه السلام مع قومه، يحدثهم بقلب النبي ولغته، ومعرفته بحقيقة ربه، وبسنته وقدره، فيوصيهم باحتمال الفتنة، والصبر على البلية، والاستعانة بالله عليه، ويعرفهم بحقيقة الواقع الكوني، فالأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة لمن يتقون الله ولا يخشون أحداً سواه". (قطب، 1980 : 1355/3)

ويستطرد قطب بقوله: إنها رؤية النبي لحقيقة الألوهية وإشراقها في قلبه، ولحقيقة الواقع الكوني والقوى الذي تعمل فيه، ولحقيقة السنة الإلهية وما يرجوه منها الصابرون.

وجههم عليه السلام إلى الصبر، فإن الصبر والتحمل سلاح الأنبياء والأتباع من أصحاب الدعوة، والبلاء موكل بهم والتشريد والعذاب والسجن، وهذه حكمة أزلية المقصود منها تمحيص المؤمنين ليعرف أصحاب العقيدة الثابتة من المتقبلين الذين لا ينصر بهم مبدأ ولا تنهض على أكتافهم دعوة. (الهوبي، 1987 : 131)

حيث بين الله تعالى ذلك في قوله: ﴿...إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:5]: "إن فيما صنعنا بأوليائنا بني إسرائيل حين أنقذناهم من يد فرعون، وأنجيناهم مما كانوا فيه من العذاب المهين لعبرة لكل صبار، أي في الضراء والسراء كما قال قتادة: نعم العبد، عبد إذا ابتلي صبر، وإذا أعطي شكر". (ابن كثير، 1999 : 478/4)

إنه عندما ينظر إلى الموقف نجده: إيماناً يقابله كفر، وطغياناً يقابله الصبر، وقوة أرضية تتحدى الله، عندئذ أخذت القوة الكبرى تتدخل بين المتجبرين والصابرين، ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:130]. (قطب:1980 : 279/3)

ونجد أيضاً موقف سحرة فرعون حين آمنوا توعدهم فرعون بالتقتيل والصلب ولكن بعد أن وصل الإيمان إلى شغاف تلك القلوب فقابلوا تلك التهديدات ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:126] أفض ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: عظيماً، لأن هذه محنة عظيمة، تؤدي إلى ذهاب النفس، فيحتاج فيها من الصبر إلى شيء كبير، ليثبت الفؤاد، ويطمئن المؤمن على إيمانه، ويزول عنه الانزعاج الكثير". (السعدي، 2000 : 300/1)

إنه موقف حاسم في تاريخ البشرية، فهذه القلة التي كانت منذ لحظة تسأل فرعون الأجر على الفور، وتمنى بالقرب من السلطان، وهي ذاتها تستعلي على فرعون، وتستهين بالتهديد والوعيد، وتُقبل صابرة محتسبة على التنكيل والتصليب". (قطب، 1980 : 1352/3)

في نهاية المطاف يتبين أنه مهما ارتفع الباطل بالقوة المادية فإنه لا يبقى أمام الحق إذا قام به أهله وصدقوا وصبروا عليه، وسنة الأنبياء جميعاً عليهم السلام هي الصدق في الدعوة والصبر على التبليغ وبالتالي حصول النصر وإعلاء كلمة الله في الأرض، وكان عليه السلام مثالاً للصبر فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: **[قَسَمَ النَّبِيُّ ﷺ قَسْمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللَّهِ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ يَرْحَمُ اللَّهَ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ]**.(البخاري:ه ، 154/4، ح 3405)
ومما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من الصدق والصبر وهي على النحو الآتي:

1- إن الصدق والصبر من صفات الأبرار المتقين المخبتين وهو سببٌ لحصول محبة الله وولايته للمؤمنين، ﴿ ...**وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ**﴾ [آل عمران:146].

2- إن الصبر له علاقة وثيقة بالنصر وكذلك له علاقة بالصدق حيث إن الصدق شرط لازم في الصبر، فكل صادق صابر، وكل صابرٍ صادق.

3- من ثمار الصدق والصبر الثبات في المواقف وشرف القدر وعلو المنزلة، فالإنسان الذي يتحلى بالصبر والصدق تعلو منزلته ويطيب عيشه ويدل على نقاء سريرته وسمو همته.

4- إن الصبر والصدق يولدان في نفس المؤمن عزة النفس، فالصادق الصابر تأبى عليه نفسه ودينه القويم أن يكذب، فيسلم من تبعات الكذب وينأى بنفسه عن الذل للآخرين فيصبر ويحتسب.

5- العفو والحلم واللين في الدعوة.

الحلم هو ضبط النفس عند الغضب في حال وجود ما يدعو إليه وتملك عنانها حذار الاسترسال في هيجانها، والحلم سيد الأخلاق، وهو يكمل صاحبه بجميل الخصال، وقد أعد الله تعالى للذي يعفو عن الناس ويتحمل أذاهم ويغفر للمسيء، من الأمور التي يندر فاعلها إذ هي من خصال الرسل الكرام، قال تعالى: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[الشُّورى:43]، وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ أن يجعل العفو له منهاجاً وشعاراً فقال: ﴿ **خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ [الأعراف:199]، والجزع وعدم تحمل الأذى من صفات الحمقى، وأهل الطيش، ودليل عدم الرزانة، وفقدان الاتزان وصفة الحلم علامة مميزة بين إنسان ذي عقيدة راسخة، وإيمان قويم، وآخر تنقصه هذه المزايا. (قرعوش وآخرون، 2001 : 156)

وإنا لنجد أن الآيات القرآنية في سياقها منهاجاً كاملاً متكاملاً لصياغة الشخصية الإسلامية التي تمتثل لأوامر الله، ومنهج الله القائم على الأخلاق، والتي يمثل الحلم والعفو من أهم مقوماتها، وتمثل أرقى قيم الإنسانية.

ونرى التوجيهات القرآنيةتحث على الالتزام والتحلي بخلق الحلم والعفو، وليس هناك أدل وأعظم من الموقف الإنساني في فتح مكة المكرمة، حيث بعد إيذاء قريش للرسول وأصحابه، يقف ﷺ قائلاً: **[ما ترونَ أَنّي فاعلٌ بِكُمْ، قالوا: خيراً أخٌ كريم وابنِ أخٍ كريم، قال: اذهبوا: فأنتم الطُّلَقَاء]**. (البيهقي، 1994 : 118/9، حديث 18055)

وكــذلك عــن عــائشـــة رضـــي الله عــنها زوج النبـــي ﷺ حـــدثته: [**هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ قَالَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ إِذْ عَـرَضْتُ نَـفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قَالَ يَا مُحَمَّدُ فَقَالَ ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ الأَخْشَبَيْنِ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا**]. (البخاري، 1422هـ : 115/4، ح 3231)

هذا هو خلق نبينا وحلمه ورحمته وعفوه عن الناس.

وكذلك نجد أن سيدنا إبراهيم عليه السلام وصفه الله تعالى بالحليم في قوله تعالى: ﴿...إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:114]، وكذلك جاء في وصف ابنه إسماعيل عليه السلام ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصَّفات:101].

في قصة يوسف عليه السلام الذي تعرض للأذى منذ كان طفلاً صغيراً، والتي كانت على يد إخوته الحاسدين، فقد ألقي في البئر وتعرض لكثير من المحن محنة ظلم الإخوة، ومحنة الحياة في البئر ولكن تداركت رحمة الله يوسف عليه السلام "فسكنت نفسه وهدأ روعه،وسكبت الأمن والأمان، والطمأنينة والسلام". (أبوفارس، د:ت : 143)

وللنظر كيف كان رده عليه السلام بعد أن أصبح يمتلك القدرة على الانتقام ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:92]، لا مــؤاخــذة لــكم ولا تأنيب اليــوم، فــقد انــتهى الأمــر من نفسي ولم تعد له جذور، والله يتولاكم وهو أرحــم الراحــمين. (قطب، 1980 : 2027/4)

جــاء فــي الحــديث الشــريف: قــال رســول اللــه ﷺ: [**يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا وأهل الآخرة؟ تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك**]. (الطبراني، 1983، 269/17، ح 739)

وهكذا يتضح أن اللين والعفو والحلم من أهم معالم الدعوة ذلك لأن النفوس البشرية وطبائعها تميل وتأنس إلى اللين والرحمة والحلم والأدب والعفو، وهذا بخلاف الشدة والعنف والقسوة والانتقام.

"والمتتبع لقصص الأنبياء – عليهم السلام – في القرآن يجد كثرة استخدامهم لذلك الأسلوب بصورة واضحة، لأن ذلك يسهل عليهم الدعوة، ويعينهم على تأليف القلوب واستقطابها إلى معسكر الإيمان". (الهوبي، 1987 : 54)

فهذا هود عليه السلام يدعو قومه برغم ما آذوه من اتهامهم له بالسفاهة والكذب، إلا أنه عاملهم بالعفو والحلم واللين، ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:65].

أما عن سيدنا موسى عليه السلام ودعوته فقد علمه الله أسلوب دعوته في السنين التي قضاها في قصر فرعون ثم خرج من مصر إلى مدين وقد وجد من قومه ما وجد، ظل طريداً في تيه الصحراء بدون مأوى ولا طعام وبرغم ذلك قابلهم باللين والعفو والحلم فقال تعالى في بداية دعوته وإرساله إلى فرعون فقال: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:43-44]، يبين (ابن كثير، 1999 : 294/5)أن : "هذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهو أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة واللين".

ويعلق كذلك:

"والحاصل من أقوالهم أن دعوتهما له تكون بكلام رقيق لين قريب سهل، ليكون أوقع في النفوس وأبلغ وأنجع"

﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ أي سهلاً لطيفاً، برفق ولين وأدب في اللفظ من دون فحشٍ ولا صلف، ولا غلظةٍ في المقال، أو فظاظةٍ في الأفعال، ولعله "بسبب القول اللين" يتذكر ما ينفعه فيأتيه، ﴿أَوْ يَخْشَى﴾ ما يضره فيتركه، فإن القول اللين داع لذلك، والقول الغليظ منفر عن صاحبه". (السعدي، 2000 : 506/1)

إننا نلاحظ هنا أنه لم يرفض عليه السلام التكليف، ولكنه كان يشك في قدرته على إبلاغ الدعوة بالمستوى المطلوب الذي يحقق النتيجة، لأنها تحتاج إلى فكر يتسع لكل ما حوله، ويرصد

في وعيه، مفاجآت المستقبل، وإلى لسان فصيح يعبر عن الفكرة بوضوح، ويتحدث عنها بأسلوب مرن لين يحسب لكل الأجواء المحيطة به حسابات دقيقة، تجعل الكلمة تتجه إلى هدفها بهدوء، وذكاء وثقة، ولهذا كانت طلباته في مستوى الموقف، أن يشرح له صدره، وييسر له أمره، ويحل له عقدةً من لسانه حتى يستطيع أن يفهم ما يريد.

"وهذا السؤال من موسى ﷺ يدل على كمال معرفته بالله، وكمال فطنته ومعرفته للأمور وكمال نصحه، وذلك أن الداعي إلى الله المرشد للخلق خصوصاً إذا كان المدعو من أهل العناد والتكبر والطغيان، يحتاج إلى سعة صدر وحلم تام على ما يصيبه من الأذى، ولسان فصيح يتمكن من التعبير به" (السعدي، 2000 : 504/1)

لقد حدثنا القرآن الكريم، عن مواقف عديدة لموسى ﷺ وقومه، تمثلت فيها حالات الانضباط والانسجام مع دعوته لدى قومه، فمثلاً قضية ذبح البقرة ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾[البقرة:67] فقد صدر الأمر لهم بذبح البقرة ولكنهم لم يأخذوا الموضوع جدياً، اعتبروه مزاحاً من موسى أو سخرية بهم، وفي هذا التصور إساءة لمقام النبي ﷺ ، ولكنه واجه الموقف بحلم وعفو، واجه الموقف بأعصاب باردة، وأجوبة هادفة ويوضح قطب ذلك "كان رد موسى على هذه السفاهة أن يستعيذ بالله وأن يردهم برفق، وعن طريق التعريض والتلميح، إلى جادة الأدب الواجب في جانب الخالق جل علاه، وأن يبين لهم أن ما ظنوه به لا يليق إلا بجاهل بقدر الله، لا يعرف ذلك الأدب ولا يتوخاه ﴿...قَالَ أَعُوذُ بِالله أَنْ أَكُونَ مِنَ الجَاهِلِينَ﴾". (قطب، 1980 : 78/1)

ومن هنا نعرف مأساة موسى مع قومه، ومدى ما كان يحسه، والمواقف الهائلة التي واجهها، من ملاحقة القوم الكافرين له، وخوضه البحر ببني إسرائيل وبرغم ذلك بعد أن ذهب لميقات ربه، عاد وقد أشركوا بالله تعالى فلم يفقد موسى هدوء الرسول ولا عفوه وحلمه، فقد كان مزاج الرسالة هو الذي يحدد مشاعره، فكان جوابه لقومه بالتذكير بفضل الله عليهم، بأنه أخرجهم من العبودية إلى نور الحرية.

ثانياً: أخـــلاق بـــني إســـرائيل الســـلبية:

أما عن صفات قوم سيدنا موسى ﷺ السلبية حيث كان من المفترض على بني إسرائيل بعد أن نجاهم الله من الظلم الواقع عليهم أن يعبدوا الله، ولا يشركوا به شيئاً، ويطيعوا نبيهم ﷺ، فلا يعصوه ولا يخذلوه ولا يؤذوه.

ولكن المرء يسيطر عليه العجاب إذا ما نظر إلى سيرتهم بمجرد تجاوزهم البحر إذ وقع منهم الكفر الصريح، والشرك الواضح، والمعاصي الظاهرة. (الهوبي، 1987 : 194)

ذلك "أن موسى عليه السلام لا يواجه اليوم طاغوت فرعون وملئه، فقد انتهت المعركة مع الطاغوت، ولكنه يواجه معركة أخرى، مع "النفس البشرية"، يواجهها مع رواسب الجاهلية في هذه النفس، ويواجهها مع رواسب الذل الذي أفسد طبيعة بني إسرائيل، وملأها بالالتواء من ناحية، وبالقسوة من ناحية، وبالجبن من ناحية، وبالضعف عن حمل التبعات من ناحية، وتركها مهلهلة بين هذه النزعات جميعاً". (قطب، 1980 : 1364/3)

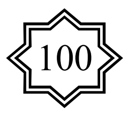
لقد كان للحياة المهينة التي عاشها بنو إسرائيل الدور الأكبر في فساد أخلاقهم، وانحرافهم المستمر عن الحق وبين ذلك قطب بقوله: "وفسدت نفوسهم، وفسدت طبيعتهم، والتوت فطرتهم، وانحرفت تصوراتهم، وامتلأت نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالحقد والقسوة من الجانب الآخر، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية حيثما تعرضت طويلاً للإرهاب والطغيان" (قطب، 1980 : 1364/3) ومن هذه الصفات مايلي:

1- العناد والجحود والإصرار على الكفر:-

وذلك بقولهم لنبيهم في سورة البقرة: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ** ﴾ [البقرة:55] وفي سورة النساء: ﴿ **...فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً...** ﴾ [النساء:153] "أي بطغيانهم وبغيهم، وعتوهم وعنادهم" (ابن كثير، 1999 : 446/2)

ويبين قطب ذلك بقوله: "نفوسهم هي هي في التوائها وعنادها وإصرارها على الالتواء والعناد، كما أنها هي هي في ضعفها عن حملها التكاليف، ونكولها عن الأمانة ونكثها للعهد ونقضها للمواثيق مع ربها ومع نبيها، حتى لتبلغ أن تقتل أنبياءها بغير الحق وتكفر بآيات ربها، وتعبد العجل وتجدف في حق الله فترفض الإيمان لنبيها حتى ترى الله جهرةً، وتخالف عما أوصاها به الله". (قطب، 1980 : 64/1)

ومـــن صـــور عنادهم وجحودهم تبديلهم القول والكفر بآيات الله والاعتداء على الأنبياء. قال تعالى عنهم: ﴿ **فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ...** ﴾ [البقرة:59]، "اســتهانة بــأمر الله، واستهزاء وإذا بدلوا القول مع خفته، فتبديلهم للفعل من باب أولى وأحــرى". (السعدي، 2000 : 53/1)



وقوله: ﴿...ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة:61]. لم يشهد تاريخ أمة ما شهده تاريخ بني إسرائيل من قسوة وجحود واعتداء وتنكر للعهد، فقد قتلوا وذبحوا ونشروا بالمناشير عدداً من أنبيائهم". (قطب، 1980 : 75/1)

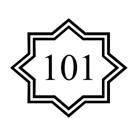
2- نقض العهود:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:63]، يقول الله تعالى مذكراً بني إسرائيل ما أخذ عليهم من العهود والمواثيق بالإيمان به وحده لا شريك له واتباع رسله، وأخبر تعالى أنه لما أخذ عليهم الميثاق رفع الجبل على رؤوسهم ليقروا بما عوهدوا عليه ويأخذوه بقوة وحزم وهمة وامتثال".(ابن كثير، 1999 : 287/1)

إن هذه الذنوب التي ارتكبوها، مما أوجب لعنتهم وطردهم وإبعادهم عن الهدى، وهو نقضهم المواثيق والعهود التي أخذت عليهم. مثلاً قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ البَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ...﴾ [الأعراف:163] "طلبوا أن يكون لهم يوم راحة مقدس، فجعل الله لهم يوم السبت راحة مقدساً لا يعملون فيه للمعاش، ثم ابتلاهم بعد ذلك بالحيتان تكثر يوم السبت، وتختفي في غيره، وكان ابتلاء لم تصمد له يهود، وكيف تصمد وتدع هذا الصيد القريب يضيع، أتتركه وفاء بعهد واستمساكاً بميثاق، إن هذا ليس من طبع يهود". (قطب، 1980 : 77/1)

ويضيف قطب كذلك أنهم قد حقَّ عليهم جزاء النكول عن عهدهم مع الله والنكوص عن مقام الإنسان ذي الإرادة". (قطب، 1980 :77/1) أمَّا عن فرعون وملئه فأرسل الله تعالى عليهم الكثير من العذاب وفي كل مرة يطلبون من موسى عليه السلام أن يدعو ربه أن يرفع ما لحق بهم ويؤمنوا له ويرسلوا بني إسرائيل معه، وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ويعودون إلى ما كانوا فيه قبل العذاب.

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ۞ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ [الأعراف:134-135].



3- قسوة القلب رغم رؤية الآيات:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ...﴾ [البقرة:74] "أي اشتدت وغلظت، فلم تؤثر فيها الموعظة" من بعد ذلك" أي من بعد ما أنعم عليكم بالنعم العظيمة وأراكم الآيات، ولم يكن ينبغي أن تقسو قلوبكم، لأن ما شاهدتم، مما يوجب رقة القلب وانقياده". (السعدي، 2000 : 55/1)

وفي سورة النساء قوله: ﴿...فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:155] "أي مردت قلوبهم على الكفر والطغيان وقلة الإيمان". (ابن كثير، 1999 : 448/2)

وقوله: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف:166] أي قسوا فلم يلينوا، ولا اتعظوا. ويضيف قطب على ذلك بأن "السمات الرئيسة لطبيعة بني إسرائيل تبدو واضحة في قصة البقرة: انقطاع الصلة بين قلوبهم، وذلك النبع الشفيف الرقراق: نبع الإيمان والثقة بالله، والاستعداد لتصديق ما يأتيهم به الرسل، ثم التلكؤ في الاستجابة للتكاليف، وتلمس الحجج والمعاذير، والسخرية المنبعثة من صفاقة القلب وسلاطة اللسان". (قطب، 1980 : 80/1)

إن الحجارة التي يقيس قلوبهم إليها ألين، ولكن قلوبهم لا تلين ، ولا تندى ولا تنبض بخشية ولا تقوى، قلوب قاسية جاسية مجدبة كافرة، وبهذا يهتم هذا الشطر من الجولة مع بني إسرائيل في تاريخهم الحافل بالكفر والتكذيب، والالتواء واللجاجة والكيد والدس، والقسوة والجبن والتمرد والفسوق. (قطب، 1980 : 53/1)

4- بطر النعمة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ...﴾ [البقرة:61] "أي اذكروا إذ قلتم لموسى على وجه التملل لنعم الله والاحتقار لها، ﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ أي: جنس من الطعام، وإن كان أنواعاً لكنها لا تتغير ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا﴾ (السعدي، 2000 : 53/1)

ومما سبق نتوصل إلى الثمار التربوية من الأخلاق:

1- إن الأخلاق تعمل على ضبط سلوك الفرد من الداخل، فالخلق الكريم يمنع صاحبه من الإضرار بنفسه ومجتمعه.



2- إن أعظم المعارك يتم خوضها وحسمها داخل النفس، ففيها تصنع الانتصارات والهزائم الكبرى، وأساس النجاحات الشخصية نجاح خلقي في المقام الأول.

3- الأخلاق سبب للسعادة في الدنيا، فصاحب الخلق الحسن يحب الناس ويحبونه، ويتمكن من إرضاء الناس فتلين له المصاعب وينجح في أعماله ووظائفه ويترقى بسببها لأعلى الدرجات.

4- حسن الخلق سبب أعلى الدرجات في الآخرة، ففي حديث النبي قال: **[أكملُ المؤمنينَ إيماناً أحسنُهم خُلُقاً المُوَطَّئونَ أكنافاً الذينَ يَألَفون ويُؤلفون ولا خيرَ فيمنْ لاَ يَألف ولا يُؤلَف]**. (الألباني، 1988، 266/1، حديث 2111)

5- حسن الخلق سبب لصلاح المجتمع وسعادته، بل هو من أهم عوامل قوة الأمة، كما أن انتشار الأخلاق السيئة في مجتمع ما سبب لفساده وانهياره كما في مجتمع بني إسرائيل.

6- هناك عدة وسائل تعين على اكتساب الأخلاق الحسنة وتحقيق السعادة والنجاح وهي:

أ- الإيمان الحق، والقرب من الله، فهذا منبع الأخلاق الحميدة، فيه تزكو النفوس ويتهذب السلوك.

ب- قراءة قصص الأنبياء في القرآن الكريم وكذلك تتبع سير السلف الصالح فإنها من الأسباب المعينة على التخلق بالأخلاق الحسنة، فالحديث عن الأنبياء ومحاسنهم وآدابهم وأخلاقهم تجعل الشخص يقتدي بهم، وقد أثبت التربويون أن القصص من أقوى عوامل التربية.

ج- محاسبة النفس دائماً والرجوع إلى الله والاستغفار من كل سوء لأنها خلقت أمارة بالسوء.

د- الدعاء وهو من أعظم الأسباب الموصلة إلى محاسن الأخلاق فقد كان الرسول يسأل الله دائما أن يهديه لأحسن الأخلاق.

الفصل الخامس

الأبعاد الاجتماعية في قصة موسى عليه السلام

أولاً: نصرته للمظلوم

ثانياً: مواجهة الفساد والظلم وتحقيق الحرية

ثالثاً: تحقيق التكافل والتعاون

رابعاً: النصح للمجتمع والحرص على مصلحته

لقد كانت المجتمعات البشرية قبل البعثة بعيدة عن القيم الأخلاقية، حيث كانت الإنسانية قبل طلوع وبزوغ فجر الإسلام تتعثر بين وحشية ضاربة، وهمجية واستبداد مروع، وكانت ترتكز على عقائد باطلة، وتقاليد وعادات بالية غير صحيحة، وكان الجهل والجمود والاضطهاد والاستعباد والعبودية، واستغلال الإنسان لأخيه الإنسان من سنة الحياة التي كانت منتشرة، فحيثما سرنا في الأرض وجدنا طغاة ومستبدين، أما بعد انتشار الإسلام وبعد أن بعث الله خاتم الأنبياء والمرسلين محمداً ﷺ قضى على هذه المظاهر بمنهجه العظيم، ورزانة أحكامه فجاءت القاعدة الصلبة التي يرتكز عليها ذلك المجتمع، تلك القاعدة واضحة جلية وهي قاعدة الإيمان بالله، فهي الضابط الحقيقي الذي يضبط تلك المجتمعات. "وهذه هي القاعدة التي يقوم عليها المجتمع الإسلامي، والمجتمع الإنساني العالمي الذي تحاول البشرية في خيالها المحلق أن تحقق لوناً من ألوانه فتخفق، لأنها لا تسلك إليه الطريق الواحد الواصل المستقيم، الطريق إلى الله، ولأنها لا تقف تحت الراية الواحدة المجمعة، راية الله". (قطب، 1980 : 3348/6، 3349)

وقد أوضح (التميمي، 1982 : 40) بأن الإسلام عمل على "بناء المجتمع وبناء الإنسان السوي من خلال نفي القيم السلبية الضارة المؤدية إلى تهديم الحياة الاجتماعية، وإيجاد القيم الإيجابية المؤدية إلى استقرار المجتمع وازدهاره".

ولكن بعد أن ابتعد المسلمون عن هذا المنهج الرباني وجدنا بأن الحال انقلب رأساً على عقب، فكان لابد لنا من وقفة لدراسة ما جاء في القرآن من أمثلة عن الظواهر الاجتماعية ومصير الأمم التي انحرفت وساءت أخلاقها، ويذكر القرآن الكريم من هذه الظواهر كظاهرة التقليد والترف والظلم والاستبداد في الحكم والإجرام وعبادة الأوثان والكواكب، وتقديس الحيوان وعبادة الملائكة والجن، ووأد البنات واحتقار المرأة وتطفيف الكيل والميزان، واستغلال المستغلين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وظهور الطبقية وامتيازاتها في المجتمع، والانحرافات الخلقية كقوم لوط..والنظم السياسية كحكم الشورى في مملكة بلقيس..وحكم فرعون الاستبدادي وعلوه في الأرض وإفساده. (محمد، 2001 : 15)

لذلك كان لابد لنا من وقفة مع قصة موسى وأبعادها الاجتماعية، لأننا سنلحظ من خلالها أن أقرب وضع لحال الأمة اليوم هو ما تعالجه قصة موسى.

إن الأحداث التي واجهته عليه السلام في تبليغ رسالته إلى بني إسرائيل صورها القرآن الكريم من زوايا مختلفة، وبأساليب متنوعة عالجت الكثير من المواضيع مثل أصول العقيدة وآثارها في الحياة العملية، والتي من أهمها مواجهة الظلم والفساد، ووسائل التغيير والإصلاح الاجتماعي،

وهذه قضية ذات أهمية بالغة، لذلك لابد من تأمل ما فيها من دروس وعبر، خصوصاً تلك التي يمكن أن تعيننا في إصلاح الأوضاع التي نمر بها، والتي نتج عنها غياب الأمن وانتشار العنف، فلا تكاد تخلو بقعة من بقاع الأرض من صراعات دموية ونزاعات مسلحة أتت على كل شيء حتى أحرقت الأخضر واليابس.

ومن خلال النظر في قصة موسى عليه السلام في القرآن الكريم يمكن الخلوص بالأبعاد الاجتماعية الآتية:-

1- نصرة المظلوم.
2- مواجهة الفساد والظلم وتحقيق الحرية.
3- تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية للفرد والمجتمع.
4- تحقيق التكافل والتعاون.
5- النصح للمجتمع والحرص على مصلحته.

أولاً: نصرة المظلوم:-

بداية شاءت الإرادة الربانية أن ينشأ سيدنا موسى عليه السلام في بيت فرعون، ولعل الحكمة في ذلك إعطاؤه الفرصة لكي يتعلم أساليب القيادة في أعلى مستوياتها وهذه ليست متوفرة لبني إسرائيل في مصر آنذاك، الذين كانوا يرزحون تحت قيود الرق والاضطهاد، كما أنها وفرت لموسى الاطلاع من موقع القرار على الواقع المرير الذي تعيشه الأمة، والتعرف إلى الظلم والفساد الواقع على بني إسرائيل خاصة، وشعب مصر عامة من جراء حكم بلغ في الطغيان مبلغاً لم يسبقه أحد من قبل ولا من بعد، وهكذا تربى النبي في حضن فرعون وداره، في عز واحترام بينما كان فرعون وحاشيته يقتلون أولاد بني إسرائيل، خوفاً من أن ينشأ فيهم من يزيل ملك فرعون بيده.

إن اطلاع موسى عليه السلام على الأوضاع، ولدت في نفسه الرغبة القوية في التغيير والإصلاح، أو على الأقل القيام بأي عمل من شأنه أن يخرج بني إسرائيل مما هم فيه ويغيروا واقعهم إلى ما هو أفضل.

كانت الوسيلة الأولى التي لجأ إليها عليه السلام، هي مواجهة الظلم بالعنف، وهي ردة فعل غريزية عند الإنسان، خصوصاً أن الله تعالى وهبه عليه السلام قوة في الجسم، كما أنه تعلم من ملازمة فرعون أن القوة والعنف هي الخيار الأول في مواجهة العديد من المشكلات، ولذلك كان العنف هو الوسيلة التي لجأ إليها عليه السلام في أول اختبار له: ﴿ ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ

مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ [القصص:15-17]، ويوضح (ابن كثير، 1999 : 287/5) بأنه لمّا بلغ أشده وكان من الرجال، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة، حتى اقتنعوا كل الاقتناع، فبينما موسى ﷺ، يمشي في ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي، فاستغاثة الإسرائيلي على الفرعوني، فغضب موسى غضباً شديداً، لأنه تناوله وهو يعلم منزلته من بني إسرائيل وحفظه لهم، فوكز موسى الفرعوني فقتله، وليس يراهما أحد إلا الله ﷻ والإسرائيلي فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿...هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص:15] إن الوضع الآن في أمة تعتبر القتل أكبر الكبائر، قد استفحل فيها سفك الدماء والقتل والعنف بمبررات الإصلاح، الذي هو حاجة من أهم الاحتياجات للأمة لأنه دليل وميزة تميز الأمة الحية التي تتغير مع متطلبات عصرها، وتلك الميتة التي فاتها زمانها وبقيت جامدة مثل الصخور في وادٍ مهجور.

من أجل ذلك كانت الحاجة كبيرة إلى أن تدرس سبل تغيير الواقع ومواجهة لغط الأعداء الذين وجدوا من هذه القضية نقطة انطلاق لهجمة شرسة تحاول صبغ ديننا الحنيف بما ليس فيه، مستغلة جهل بعض أبنائه واندفاعاتهم غير المنضبطة.

﴿...فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ... ﴾ لأنه قد اشتهر، وعلم الناس أنه من بني إسرائيل، واستغاثته لموسى، دليل على أنه بلغ موسى ﷺ مبلغاً يخاف منه، ويرجى من بيت المملكة والسلطان. ﴿...فَوَكَزَهُ مُوسَى...﴾ [القصص:15] أي: وكز الذي من عدوه، استجابة لاستغاثة الإسرائيلي، ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ أي: أماته من تلك الوكزة، لشدتها وقوة موسى. فندم موسى ﷺ على ما جرى منه، و﴿قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾: أي من تزيينه ووسوسته، ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ فلذلك أجريت ما أجريت بسبب عداوته البينة، وحرصه على الإضلال". (السعدي، 2000 : 613/1)

إن النصرة ورفع الظلم لهي من مستلزمات الحياة الاجتماعية التي يعيشها الناس ووقوف المسلم في صف إخوانه المسلمين وكونه معهم يداً بيدٍ لهو من أسباب النصر، فإذا كانت الجاهلية

قد انحرفت عن مفهوم النصرة بمعناها العادل، والموضوعي فإن المسلمين أدركوا هذا المفهوم، فوقفوا إلى جانب صاحب الحق ولو كان ضعيفاً أو بعيداً والضرب على يد الظالم ولو كان قوياً أو قريباً... (مسعود، 2003 : 221)

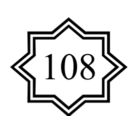
أيقن عليه السلام بفطرته السليمة أن القتل وإراقة الدماء ليست الوسيلة الصالحة لإحداث التغيير الاجتماعي المطلوب، لذلك وصفها ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ ثم إنه لجأ إلى الله طالباً المغفرة، وعاهد الله أن يكون ناصراً للحق والعدل وأن لا يكون ظهيراً للمجرمين.

ويقول (الزحيلي، 1422هـ : 1907/3): "ثم تاب موسى عليه السلام من فعله هذا فقال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي﴾ أي يا رب إني أوقعت نفسي في الظلم والإثم بهذا الفعل، وهو قتل نفس بريئة، فاستر لي ذنبي، ولا تؤاخذني بجناية نفسي، وإني نادم على ما فعلت. وأتوب إليك".

إن القضية الأساسية التي كان سيدنا موسى عليه السلام يسعى من أجلها، هي الإصلاح، فإن قتل الرجل لم يغير من الواقع شيئاً، فالظلم بقي كما هو والعبودية المفروضة على بني إسرائيل بقيت ولم تتغير، وأصبح عليه السلام طريداً خائفاً ومطلوباً في قضية قتل "وإن النفوس المؤمنة، والسامية العالية، ينتابها الخوف الدائم والقلق والضجر إذا بدر منه الخطأ، وعكر السوء صفاءها، وجعلها لا تقر ولا ترتاح وهكذا كان شأن موسى عليه السلام بعد أن وقعت بسببه حادثة قتل خطأ، قبل أن يكون رسولاً نبياً، ومما زاده ألماً وضيقاً أن الذي نصره من الإسرائيليين يستنجد به مرة أخرى، لضرب رجل آخر، فأبى موسى مناصرته، ثم جاءه رجل يحذره من التآمر على قتله"(الزحيلي، 1422هـ : 1908/3)

ومع إقراره عليه السلام بخطأ العنف ووصفه أنه من عمل الشيطان إلا أنه لم يعرف وسيلة للنصرة وللإصلاح غيره، وذلك أنه عندما واجه نفس الموقف ومن نفس الشخص الذي استغاثه بالأمس هم موسى أن يبطش به كما فعل بالأمس، لكن الحقيقة التي واجهت موسى هي:-

﴿ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾[القصص:19] "الذي حدث أن موسى بعد ذلك انفعلت نفسه بالغيظ من القبطي، فاندفع يريد أن يقضي عليه كما قضى على الأول بالأمس، ولهذا دلالته على صفات سيدنا موسى



الانفعالية وأيضاً دليل على مدى امتلاء نفس سيدنا موسى عليه السلام بالغيظ من الظلم، والنقمة على البغي، والضيق بالأذى الواقع على بني إسرائيل، والتوفز لرد العدوان الطاغي، الطويل الأمد، الذي يحتفر في القلب البشري مسارب من الغيظ". (قطب، 1980 : 2683/5)

ويضيف قطب على ذلك بأنه: "إنه ليقع حينما يشتد الظلم، ويفسد المجتمع، وتختل الموازين، ويخيم الظلام، أن تضيق النفس الطيبة بالظلم الذي يشكل الأوضاع والقوانين والعــرف، ويفسد الفطرة العامة، حتى ليرى الناس الظلم فلا يثورون عليه ويرون البغي فلا تجيش نفوســـهم لدفعه، بل يقع أن يصل فساد الفطرة إلى حد إنكار الناس على المظلوم أن يدفع عن نفسه ويقـــاوم، ويسمون من يدفع عن نفسه أو غيره، ﴿جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾ كما قال القبطي لموسى" (قطب، 1980 : 2683/5)

لقد كان كلام المصري واضحاً وهو أن موسى الذي يريد أن يكون من المصلحين يستخدم نفس وسائل المتجبرين في الأرض الذين ينتقدهم ويسعى إلى تغييرهم وإن هذه القضية التي تثيرها الآيات مهمة وهي عبارة عن أصل من أصول ديننا وهي ارتباط الوسائل بالغايات، فالذي يريد الإصلاح يجب أن يسلك وسائل المصلحين وهي مختلفة تماماً عن وسائل الجبارين الذين يلجؤون إلى العنف في مواجهة ما يلاقون من مواقف، ذلك أن الوسائل تؤدي إلى غايات محددة ومن لجأ إلى ذات الوسيلة وصل إلى نفس الغاية بغض النظر عن صلاح النوايا أو فسادها، والآية واضحة هنا: ﴿إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الأَرْضِ﴾ أي أن هذه الوسيلة التي اتخذها سيدنا موسى، لن تؤدي إلا إلى نتيجة واحدة هي التجبر، ففشلت وسيلة العنف في تحقيق الهدف المطلوب بل جعلته طريداً، مطلوباً وأبعدته، فلم يجد سبيلاً إلا اللجوء إلى مدين، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:23-24] .

ولننظر إلى أول عمل قام به عليه السلام حيث بين قطب ذلك، ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:23-24] لقد انتهى به السفر الشاق الطويل، إلى ماء مدين، وصل إليه وهو

مجهود مكدود وإذا هو يطلع على مشهد لا تستريح إليه النفس ذات المروءة، السليمة الفطرة، كنفس موسى عليه السلام، وجد الرعاة الرجال يوردون أنعامهم لتشرب من الماء ووجد هناك امرأتين تمنعان غنمهما عن ورود الماء، والأولى عند ذوي المروءة والفطرة السليمة، أن تسقي المرأتان وتصدرا بأغنامهما أولاً، وأن يفسح لهما الرجال ويعينوهما". (قطب، 1980 : 418/5)

ويبين (ابن كثير، 1999 : 288/5) معنى تذودان أي: "حابستين غنمهما، فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تستقيان مع الناس، قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوة، إنما ننتظر فضول حِياضِهم، فسقى لهما، فجعل يغترف في الدلو ماءً كثيراً، حتى كان أول الرعاء فانصرفتا بغنمهما إلى أبيهما، وانصرف موسى عليه السلام، فاستظل بشجرة".

إن العمل الذي قام به موسى عليه السلام بسيط في ظاهره، ولا يمت بصلة إلى مهمته الإصلاحية، وهو نصرة امرأتين من الظلم، والمؤمن بالله يسأل عن حال الناس ولا يصمت عن الأوضاع الخطأ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فسيدنا موسى عليه السلام لم يكتف برؤية المشهد، رجال يستأثرون بالماء دون النساء، وامرأتان تبذلان جهدهما تذودان وتكفكفان غنمهما أن ترد غنم أولئك الرعاة، كانتا تحاولان الوصول إلى الماء من دون جدوى، يحول بينهما وبينه غياب النظام الذي يمنح الضعيف فرصة متكافئة مع القوى، ويحول حياة البشر إلى فوضى تحكمها شريعة الغاب التي لاحظ فيها للضعيف وكل الغنائم للأقوياء.

سقى لهما عليه السلام ثم تولى إلى الظل داعياً الله تعالى: ﴿**فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ**﴾ [القصص:24] أن ينزل عليه الخير، وهو لا يعلم أن هذا العمل الإنساني كان بمثابة مفتاح الخير له، حيث بعث الشيخ له ابنته ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾ [القصص:25] فقالت له في أدب وحزم: إن أبي يطلبك ليكافئك على إحسانك لنا، فلما جاء موسى إلى الشيخ، وقص عليه قصته مع فرعون وقومه، قال له: لا تخف واطمئن، لقد نجوت من سطوة القوم الظالمين.

فقالت إحدى ابنتي الشيخ: يا أبت استأجره لرعي الغنم، فإن خير مستأجر لها هو لأنه رجل قوي مؤتمن لا يخون، فقال الشيخ: يا موسى، إني أريد مصاهرتك وتزويجك إحدى البنتين فاختر من تشاء، على أن يكون المهر خدمة من المنافع: وهي رعاية غنمي ثماني سنين، فإن

تبرعت بزيادة سنتين فهو إليك، وما أريد إيقاعك في الحرج وستجدني إن شاء الله من الصالحين المحسنين المعاملة". (الزحيلي، 1422هـ : 1913/3)

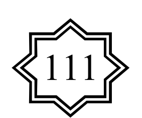
وبين (قطب، 1980 : 2691/5): "شاعت القدرة التي تنقل خطى موسى عليه السلام أن تخفض ما اعتادته نفسه من تلك الحياة، وأن تزج به في مجتمع الرعاة، وأن تجعله يستشعر النعمة في أن يكون راعي غنم يجد القوت والمأوى، بعد الخوف والمطاردة والمشقة والجوع، وأن ينزع من حسه روح الاشمئزاز من الفقر والفقراء، وروح التأفف من عاداتهم وأخلاقهم وخشونتهم وسذاجتهم وروح الاستعلاء على جهلهم وفقرهم ورثاثة هيئتهم ومجموعة عاداتهم وتقاليدهم وأن تلقي به في خضم الحياة كثيراً بعد ما ألقت به في خضم الأمواج صغيراً، ليمرن على تكاليف دعوته قبل أن يتلقاها".

كان عليه السلام بحاجة إلى إزالة ما بقي من آثار العيش في قصر فرعون، ثم إن هذا العمل جعله يتعرف على المرأة الصالحة الحكيمة ذات النسب والتربية التي أصبحت رفيقة دربه، وتوفر له الملجأ الآمن الذي يحتاجه، كما وفر له العيش الكريم مدة عشر سنين في انتظار مهمته القادمة.

إن الزواج هو الأساس في قيام الحياة الاجتماعية في المجتمع وإن طلب الشيخ من سيدنا موسى أن يرعى له الأغنام مقابل الزواج لهو دليل قوي ومتين على أن المهر من حق الفتاة ولا يعد مغالاة في الزواج وأيضاً قد يكون المهر بعد الزواج تخفيفاً وتيسيراً على الشباب لو توافرت فيه سمات الشاب الصالح والزوج التقي.

﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [القصص:27]

"وهكذا في بساطة وصراحة عرض الرجل إحدى ابنتيه من غير تحديد ولعله كان يشعر أنها محددة، وهي التي وقع التجاوب والثقة بين قلبها وقلب الفتى، عرضها في غير تحرجٍ ولا التواء، فهو يعرض نكاحاً لا يخجل منه، يعرض بناء أسرة وإقامة بيت وليس في هذا ما يخجل، ولا ما يدعو إلى التحرج والتردد والإيمان من بعيد. والتصنع والتكلف مما يشاهد في البيئة التي تنحرف عن سواء الفطرة، وتخضع لتقاليد مصطنعة باطلة سخيفة، تمنع الوالد أو ولي الأمر من التقدم لمن يرتضي خلقه ودينه وكفايته لابنته أو أخته أو قريبته، وتحتم أن يكون الزوج أو وليه أو وكيله هو الذي يتقدم، أو لا يليق أن يجيء العرض من الجانب الذي فيه المرأة". (قطب، 1980 : 2688/5)



لقد كانت السنين العشر التي قضاها موسى عليه السلام في مدين فترة تأمل وتدبر وتعلم، ولا شك أن موسى عليه السلام تغير كثيراً، فلم يعد ذلك القوي المعتد بقوته الجسمية الذي يعتقد بأن القوة هي الحل لكل المشكلات، كما تعلم في بيت فرعون، والدليل على التغيير الذي حصل في شخصيته بأنه سار بأهله وجاءت اللحظة الحاسمة في وادي الطور وكلمه الله وأمره بأن يواجه الطاغوت، لم يطلب موسى عليه السلام مدداً من القوة المادية وإنما طلب العون وأن يشد عضده بأخيه.

ويبين قطب ذلك بقوله: "لما استكملت نفس موسى عليه السلام تجاربها، وأكملت مرانتها ودربتها، بهذه التجربة الأخيرة في دار الغربة، قادت يد القدرة خطاه مرة أخرى عائدة به إلى مهبط رأسه، ومقر أهله وقومه، ومجال رسالته وعمله سالكةً به الطريق الذي سلكها أول مرة وحيداً طريداً خائفاً يتلفت، فما هذه الجيئة والذهوب في ذات الطريق؟ إنه التدريب والمرانة والخبرة حتى بشعاب الطريق". (قطب، 1980 : 2691/5)

لقد أدرك عليه السلام بعد تلك السنوات أن الحجة هي نصرة المظلوم والسلاح هو الحق، وأن قوة الحق ذاتية لا تحتاج إلى إسناد، وأن الباطل هو الذي بحاجة إلى عنف وقتل لأنه ضعيف في داخله، وإذا لجأ أصحاب الحق إلى العنف فإن ذلك من شأنه أن يزيل الفوارق بينهم وبين غيرهم.

ومما سبق نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من الحياة الاجتماعية لسيدنا موسى عليه السلام ونصرته للمظلوم:

- إن نصرة المظلوم واجبة على كل فرد.
- إن قتل الكافر الذي له عهد بعقد أو عرف لا يجوز، فإن موسى عليه السلام عد قتله القبطي الكافر ذنباً، واستغفر الله منه.
- أن الذي يقتل النفوس بغير حق يعد من الجبارين الذين يفسدون في الأرض.
- إن من قتل النفوس بغير حق، وزعم أنه يريد الإصلاح في الأرض، وتهيب أهل المعاصي فإنه كاذب في ذلك، وهو مفسد كما حكى الله: ﴿...**إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا**...﴾ [القصص:19] على وجه التقرير له لا الإنكار.
- أن إخبار الرجل غيره بما يقال فيه على وجه التحذير له من شرٍ قد يقع فيه لا يكون ذلك نميمة – بل قد يكون واجباً – كما أخبر ذلك الرجل موسى، ناصحاً له محذراً.

- مَنْ خاف القتل والتلف في الإقامة، فإنه لا يلقي بيده إلى التهلكة ولا يستسلم لذلك، بل يذهب عنه، كما فعل موسى.
- عند تزاحم المفسدتين، إذا كان لابد من ارتكاب إحداهما فإنه ترتكب الأخف منهما والأسلم، كما أن موسى لما دار الأمر بين بقائه في مصر أو يقتل أو يذهب إلى بعض البلدان البعيدة التي لا يعرف الطريق إليها، وليس معه دليل يدله غير ربه فهذه الحالة أقرب للسلامة من الأولى، فتبعها موسى.
- مشروعية الإجارة وأنها تجوز على رعاية الغنم ونحوها، مما لا يقدر العمل، وإنما مرده العرف.
- جواز خروج المرأة في حوائجها وتكليمها للرجال بحدود كما جرى لابنتي صاحب مدين.
- جواز الإجارة بالمنفعة ولو كانت المنفعة بضعاً.
- خِطبة الرجل لابنته الرجل الذي يتخيره لا يلام عليه.
- إن خير أجيرٍ وعاملٍ يعمل للإنسان، أن يكون قوياً أميناً.
- إن من مكارم الأخلاق، أن يحسن خلقه لأجيره وخادمه، ولا يشق عليه بالعمل لقوله: ﴿...**وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ [القصص:27].
- جواز عقد الإجارة وغيرها من العقود من دون إشهاد لقوله: ﴿...**وَاللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ**﴾ [القصص:28]. (السعدي، 2000 : 618/1)

ثانياً: مواجهة الفساد والظلم وتحقيق الحــرية والعــدالة.

إن دراسة وتحليل قصص الأنبياء في القرآن الكريم، تعني نشر مبادئ العدل والخير والحق والإخاء، كما تعني نشر المحبة والألفة والتعاون والتكافل، وبالتالي تعني برنامجاً وقائياً للحد من فعلِ العابثين والمفسدين في الأرض، كما يحد من تبعات إفسادهم. ومن القصص التي قصها الله علينا في كتابه للاعتبار والاتعاظ قصة موسى عليه السلام مع فرعون عدو الله تعالى، فرعون الذي كان رمزاً من رموز الفساد والظلم والطغيان، وعلم من أعلام الجبروت والاستبداد، والبطش. وإذا كان رأس الدولة (فرعون) مفسداً كما قال تعالى: ﴿...**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾[القصص:4] وطالما الفساد منتشر فالضعف كان لا محالة. إن فرعون استعبد بني إسرائيل وأذلهم، لأنه كان يراهم خصماءه السياسيين بالتعبير المعاصر لأن دينهم واحد، وما لديهم من مصدر تشريعي واحد وهو صحف إبراهيم.

إن الحرية هي أساس أي وجود إنساني، وسلب الحرية هو سلب للإنسانية، والصراع بين الحرية والعبودية صراع قديم في تاريخ الإنسانية، بل هو يكاد يكون أول صراع على وجه الأرض عرفه الإنسان، فمن أجل الحرية خاضت الشعوب معارك لا عداد لها، وفي سبيل الحرية تدفع الشعوب طائعة راضية أكرم شهدائها وأنفس أموالها، وأجمل مدنها وبيوتها، بل في سبيل الحرية تعرضت كثير من الأمم للشقاء أجيالاً وأجيالاً، ويكاد يكون تاريخ الإنسان سلسلة من المآسي والحروب، كلها تبدأ من الكفاح في سبيل الحرية. (السباعي، 1999 : 97)

والفساد هو: "خروج الشيء عن كونه منتفعاً به، ونقيضه الصلاح، فأما كونه فساداً في الأرض فإنه يفيد أمراً زائداً، وفيه ثلاثة أقوال: أحدهما: قول ابن عباس والحسن وقتادة والسدي: أن المراد بالإفساد في الأرض: إظهار المعصية لله تعالى، لأن الشرائع سنن موضوعة بين العباد، فإذا تمسك بها زال العدوان، ولزم كل أحدٍ شأنه، فحقنت الدماء، وسكنت الفتن وكان فيه صلاح الأرض وصلاح أهلها أما إذا تركوا التمسك بالشرائع، وأقدم كل واحدٍ على ما يهواه لزم الهرج والمرج والاضطراب". (الفخر الرازي، د:ت : 228/1)

إن دَيدَن الظلمة والمستكبرين من أجل تحقيق أهدافهم هو سلب حرية المجتمع على امتداد التاريخ، لذلك جاء الإسلام ليؤسس لمنهج الحرية في النفوس، لتصبح واقعاً حقيقياً في المجتمع والأفراد.

"هذه هي قاعدة النظام الرباني الذي جاء به الإسلام، وعلى هذه القاعدة يقوم نظام أخلاقي نظيف تكفل فيه الحرية لكل إنسان، حتى لمن لا يعتنق عقيدة الإسلام وتصان فيه حرمات كل أحد حتى الذين لا يعتنقون الإسلام، وتحفظ فيه حقوق كل مواطن في الوطن الإسلامي، أيا كانت عقيدته، ولا يكره فيه أحد على اعتناق عقيدة الإسلام، ولا إكراه فيه على الدين إنما هو البلاغ، جاهد الإسلام ليقيم هذا النظام الرفيع في الأرض ويقرره ويحميه، وكان من حقه أن يجاهد ليحطم النظم الباغية التي تقوم على عبودية البشر للبشر، والتي يدعي فيها العبيد مقام الألوهية ويزاولون فيها وظيفة الألوهية "بغير حق" ولم يكن بد أن تقاومه تلك النظم الباغية في الأرض كلها وتناصبه العداء، ولم يكن به كذلك أن يسحقها الإسلام سحقاً ليعلن نظامه الرفيع في الأرض، ثم يدع الناس في ظله أحراراً في عقائدهم الخاصة". (قطب، 1980 : 295/1)

إن سبب ذكر قصة سيدنا موسى عليه السلام بهذه الكثافة اللافتة في القرآن الكريم أن سيدنا موسى عليه السلام جمع بين نمطين من الإصلاح وهما الإصلاح العقائدي، والإصلاح السياسي بما

يعنيه من مغالبة المفسدين وهم فرعون ودولته، إضافة إلى أن قصته مع بني إسرائيل هي أقرب إلى حركة تحرر على مدى التاريخ ولنبدأ الآن في عرض مواجهته عليه السلام للفساد والمفسدين وتحقيقه للحرية لبني إسرائيل:-

قبل أن يبعث الله نبيه موسى رسولاً إلى فرعون وقومه، يخبرنا تعالى في كتابه الكريم عن الجو الذي كان سائداً والذي كانت تدور فيه الأحداث والسياسات والظروف العصيبة التي كان يعيشها بنو إسرائيل فيقول تعالى: ﴿ **طسم ۝ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ ۝ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ** ﴾ [القصص:1-6] لقد كان فرعون مثلاً من أمثلة الاستبداد، وعنواناً للفساد والظلم واستعباد الناس، وقدوة سيئة في الشر لذلك قال الله في وصفه وأعوانه ﴿ **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ...** ﴾[القصص:41].

إن أول شيء أخبر الله به عن فرعون: أنه علا في الأرض وتجاوز فيها الحد وطغى وبغى ثم جعل أهلها شيعاً وأحزاباً يستعين ببعضهم على بعض، ويذل بكل حزب ما عداه من الأحزاب ويذلهم جميعاً بعضهم ببعض، ويأمنهم جميعاً بواسطة ذلك التحزب، الذي غرسه فيهم، وعلى هذه السياسة الفرعونية سار المستعمرون.

﴿ **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الأَرْضِ...** ﴾ أي: تكبر وتجبر وطغى، ﴿ **...وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا...** ﴾ [القصص:4] أي: أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته.

وقوله: ﴿ **...يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ...** ﴾ [القصص:4] يعني: بني إسرائيل، وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم، هذا وقد سُلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أخس الأعمال، ويكدهم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته، ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحيي نساءهم إهانةً واحتقاراً". (ابن كثير، 1999 : 220/6)

فرعون الذي غدا اسمه علماً على الطغيان والفساد والاستبداد والتسلط والاستكبار فقد بسط القرآن الحديث عنه وبين سياسته وبرامجه وخططه الإجرامية في قهر الشعوب واستذلالها،

وما أحوجنا اليوم إلى التدبر والتأمل في هذه السياسات الإجرامية الظالمة المتكررة في تاريخ البشرية، ولكي نستطيع أن نتعرف على طريق النجاة من مواجهة المفسدين والخلاص من الذل والاستبداد والتسلط الذي أصاب أمتنا من قبل أنفسها وذاتها وأعدائها.

وأوضح قطب طغيان فرعون بقوله: "كان ذلك فرعون الطاغية ﴿...**عَلَا فِي الْأَرْضِ**...﴾ وتكبر وتجبر، وجعل أهل مصر شيعاً، كل طائفة في شأن من شئونه، ووقع أشد الاضطهاد والبغي على بني إسرائيل، لأن لهم عقيدة غير عقيدته هو وقومه، فهم يدينون بدين جدهم إبراهيم وأبيهم يعقوب، ومهما يكن قد وقع في عقيدتهم من فساد وانحراف، فقد بقي لها أصل الاعتقاد بإله واحد، وإنكار ألوهية فرعون والوثنية الفرعونية جميعاً وكذلك أحس الطاغية أن هناك خطراً على عرشه، وملكه من وجود هذه الطائفة في مصر ولم يكن يستطيع أن يطردهم منها وهم جماعة كبيرة أصبحت تعد مئات الألوف، فقد يصبحون إلباً عليه مع جيرانه الذين كانت تقوم بينهم وبين الفراعنة الحروب، فابتكر عندئذ طريقة جهنمية خبيثة للقضاء على الخطر الذي يتوقعه من هذه الطائفة التي لا تعبده ولا تعتقد بألوهيته، تلك هي تسخيرهم في الشاق الخطر من الأعمال، واستذلالهم وتعذيبهم بشتى أنواع العذاب. وبعد ذلك كله تذبيح الذكور من أطفالهم عند ولادتهم، واستبقاء الإناث". (قطب، 1980 : 2677/5)

لا شك أن استباحة الدم يورث الذعر في بعض أبناء المجتمع، وهو أعظم أنواع الفساد في الأرض ومؤذن بهلاك الحرث والنسل، ومن أعظم مؤشرات ضعف الدولة ولا شك في استبداد فرعون بالملك فقد حكى عنه الله: ﴿...**قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ [غافر:29]، إن الاستبداد مع ظن الرشاد هو غاية الفساد..

﴿...**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**﴾: الذين لا قصد لهم في إصلاح الدين، ولا إصلاح الدنيا وهذا من إفساده في الأرض". (السعدي، 2000 : 600/1)

وقد بين (الزحيلي، 1422هـ : 1902/3): "إن فرعون ملك مصر في عهد الفراعنة استعلى في أرضها واستكبر، وبغى وطغى وتجبّر، وقهر أهلها وبطش بهم، وجعل أهل مصر فرقاً وأحزاباً مختلفة، وسخّر كل طائفة في مصلحة عمرانية أو زراعية أو غيرها، يجعل جماعة منهم أذلّة خدما مقهورين، وهم بنو إسرائيل، يستأصل بالذّبح أبناءهم الذكور، ويبقي إناثهم أحياء، إهانةً لهم واحتقاراً، إنه كان من المفسدين في أرض مصر وملكه، بالعمل والمعاصي والاستكبار".

في هذه القصة يتجلى الفساد والقهر أفظع ما يكون، ويكون ضحايا القهر أكثر تنوعاً، حيث يدفع ثمن الاستعباد والذل الجميع بدءاً من فرعون نفسه مصداقاً لقوله تعالى: ﴿...**وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ**...﴾ [فاطر:43] وهي إحدى السنن الإلهية التي عُوقب بها معاقبة الطغاة والفاسدين الظالمين.

كان ظهور موسى في الظرف المناسب لتحقيق الاستخلاف والنجاة من حكم الظالم المستبد، وكان لله حكمة في تربية سيدنا موسى في قصر فرعون المتجبر، فكان قادراً على أن يصل إلى الحاكم بسهولة لتبليغ ما أرسل به، فجاء بالحركة التحريرية وبعثه الله تعالى لمحاربة ذلك الفساد فقال: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآَيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ**﴾ [الأعراف:103] وكان ذلك لمواجهة الظلم والفساد وتحرير العباد: ﴿...**قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ [الأعراف:105] وأيضاً في سورة يونس آية75: ﴿**ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآَيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ**﴾ [يونس:75] وقوله تعالى: ﴿**اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى**﴾ [طه:43] وفي المؤمنون: ﴿**ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآَيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ۞ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ**﴾ [المؤمنون:45-46]، ﴿**وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۞ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ**﴾ [الشعراء:10-11]، ووصفهم الله كذلك: ﴿...**إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ**﴾ [القصص:32].

إن أعظم شيء طغا فيه فرعون وأفسد هو اعتداؤه على حق الربوبية وكذلك استعباد العباد فيصف قطب رسالة سيدنا موسى بأنها: "قد تكون أضخم تكليف تلقاه بشر عدا رسالة محمد ﷺ فهو مرسل إلى فرعون الطاغية المتجبر، أعتى ملوك الأرض في زمانه، وأقدمهم عرشاً، وأثبتهم ملكاً، وأعرقهم حضارة. وأشدهم تعبداً للخلق واستعلاء في الأرض، وهو مرسل لاستنقاذ قوم قد شربوا من كؤوس الذل حتى استمرأوا مذاقه، فمردوا عليه واستكانوا دهراً طويلاً، والذل يفسد الفطرة البشرية حتى تأسن وتتعفن؛ ويذهب بما فيها من الخير والجمال والتطلع ومن الاشمئزاز من العفن والنتن والرجس والدنس، فاستنقاذ قوم كهؤلاء عمل شاق عسير، وهو مرسل إلى قوم لهم عقيدة قديمة؛ انحرفوا عنها، وفسدت صورتها في قلوبهم، فلا هي قلوب خامة تستقبل العقيدة الجديدة ببراءة وسلامة؛ ولا هي باقية على عقيدتها القديمة". (قطب، 1980 : 2690/5)

جاءهم موسى عليه السلام ليوقف الظلم والفساد ﴿...قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾: "أي أطلق عنهم وخلهم يرجعون إلى الأرض المقدسة، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشاقة من ضرب اللبن ونقل التراب ونحوهما". (البغوي، 1417هـ : 262/3)

أطلقهم يا فرعون من قهرك وخل سبيلهم لعبادة الله تعالى إن الفساد يصيب تصورات الناس كما يصيب حياتهم الاجتماعية عندما يكون هناك أرباب متفرقون يتحكمون في رقاب العباد، وما صلحت الأرض قط ولا استقامت حياة الناس إلا أيام أن كانت عبوديتهم لله وحده وما تحرر الإنسان قط إلا في ظلال الربوبية، وكل طاغوت يُخضع العباد لشريعة من عنده، وينبذ شريعة الله يعتبر من المفسدين، ولقد واجه موسى عليه السلام فرعون بهذه الحقيقة وهي عقائد الجاهلية الفاسدة، واجهه بها وهو يعلم أنها تعني الثورة على الظلم والفساد وإبطال كل حكم بغير شريعة الله، وتنحية كل طاغوت عن تعبيد الناس له من دون الله، فإن بني إسرائيل عبيد لله وحده، وإن إعلان ربوبية الله للعالمين هي بذاتها إعلان تحرير الإنسان، تحريره من الخضوع والطاعة والتبعية والعبودية لغير الله، وعلى هذه الحقيقة أمر موسى عليه السلام أن يبني طلبه من فرعون إطلاق بني إسرائيل ﴿فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾. (قطب، 1980 : 1345/3-1347)

﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ...﴾ [طه:47] "أي: فأتياه: بهذين الأمرين، دعوته إلى الإسلام، وتخليص هذه الشعب الشريف بني إسرائيل من قيده وتعبيده لهم، ليتحرروا ويملكوا أمرهم، ويقيم فيهم موسى شرع الله ودينه". (السعدي، 2000 : 506/1)

ويفسر القرطبي ذلك بقوله: "﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ...﴾ [طه:47] أي خل عنهم، ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي بالسخرة والتعب في العمل، وكان بنو إسرائيل عند فرعون في عذابٍ شديد؛ يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم ويكلفهم من العمل في الطين واللبن وبناء المدائن مالا يطيقونه". (القرطبي، 1423هـ : 203/11)

إن الحرية هي أساس أي وجود إنساني وسلب الحرية هو سلب للإنسانية لأن الله خلق سيدنا آدم على الفطرة وفطرة الحرية، حرية الطاعة والمعصية ليبقى مسئولاً عن اختياره، فآدم

قد عبد ربه مختاراً وأكل من الشجرة المحرمة مختاراً، ولذلك فوجوده الإنساني مرهون بتلك الحرية التي منحه الله إياها. (عبد الفتاح، 2001 : 106)

لنرى الآن موقف فرعون وملئه حيث بدأوا يتصدون لسيدنا موسى عليه السلام ولدعوته، وهذا دأب الفاسقين والمتجبرين والطغاة، ولكن من يتأمل محاورة موسى عليه السلام مع فرعون يظهر له بجلاء معرفة موسى لنفسية فرعون وكيفية التحاور معه.

"ولم تغب على فرعون وملئه دلالة هذا الإعلان، إعلان ربوبية الله للعالمين، لم يغب عنهم أن هذا الإعلان يحمل في طياته هدم ملك فرعون، وقلب نظام حكمه، وإنكار شرعيته، وكشف عدوانه وطغيانه، ولكن كان أمام فرعون وملئه فرصة أن يظهروا موسى بمظهر الكاذب الذي يزعم أنه رسول من رب العالمين بلا بينة ولا دليل فقال: ﴿**قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [الأعراف:106] (قطب، 1980 : 1347/3)

ثم بدأ بالمن عليه أنه أحسن إليه: ﴿**قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۞ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ**﴾ [الشعراء:18-19]. يريد به قتل القبطي حين وكزه فقضى عليه، فرد عليه موسى عليه السلام: ﴿**قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۞ فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۞ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾[الشعراء:20-22] فعلت تلك الفعلة بقتلي للقبطي وأنا جاهل، أندفع اندفاع العصبية لقومي لا اندفاع العقيدة التي عرفتها اليوم. (قطب، 1980 : 342/5)

"أي: وما أحسنت إلي وربَّيْتني مقابل ما أسأتَ إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخدماً، تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيتك، أفَيَفي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأتَ إلى مجموعهم؟ أي: ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم". (ابن كثير، 1999 : 138/6)

وتمن عليَّ بأنك عذبت واستعبدت بني إسرائيل، ثم بدأ بالاستهزاء والسخرية وهذا دأب الفاسدين دائماً فقال: ﴿...**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**﴾ [الزُّخرف:51-52]، ثم يظهر بمظهر الخوف على الأمة من الفساد، ومظهر الحريص على الدين، فقال تعالى: ﴿...**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ**﴾ [غافر:26].

ثم بيَّن (السعدي، 2000 : 300/1) تعاون الملأ مع فرعون وتهييجهم له بقوله: "وقالوا لفرعون مهيجين له على الإيقاع بموسى، وزاعمين أن ما جاء باطل وفساد، ﴿...أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ...﴾[الأعراف:127] بالدعوة إلى اللّه، وإلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، التي هي الصلاح في الأرض، وما هم عليه هو الفساد، ولكن الظالمين لا يبالون بما يقولون".

﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ لفرعون ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ "أي: أتدعهم ليفسدوا في الأرض، أي: يفسدوا أهل رعيتك ويدعوهم إلى عبادة ربهم دونك". (ابن كثير، 1999 : 459/3)

كأنهم صاروا يشفقون من إفساد موسى وقومه، وهم المفسدون ولكن لا يشعرون.

فبدأ فرعون بتهديد بني إسرائيل بسبب اتباعهم موسى فقال: ﴿...سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:127]ويبين قطب أن: " فرعون لم يكن يدعي الألوهية بمعنى أنه هو خالق هذا الكون ومدبره، أو أن له سلطاناً في عالم الأسباب الكونية، إنما كان يدعي الألوهية على شعبه المستذل بمعنى أنه هو حاكم هذا الشعب بشريعته وقانونه، وأنه بإرادته وأمره تمضي الشؤون وتقضى الأمور، وهذه هي الربوبية بمعناها اللغوي والواقعي".(قطب، 1980 : 275/3)

ويوضح ذلك قول الملأ: ﴿.....أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ.....﴾ [الأعراف:١٢٧] فالإفساد في الأرض بنظرهم هو الدعوة إلى عبودية الله تعالى، لأنه يترتب عليها بطلان شرعية حكم فرعون ونظامه كله، إذن بزعمهم أن الإفساد في الأرض هو الانقلاب على نظام الحكم وتغيير الأوضاع القائمة على ربوبية البشر للبشر". (قطب، 1980 : 1354/3)

وهنا شعر فرعون بالخطر الحقيقي يحدق به من كل جانب فانطلق يعلن عزمه الوحشي فقال: ﴿...سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف:127].

"وكان بنو إسرائيل قد شهدوا مثل هذه الأحداث قبل ولادته عليه السلام قال فرعون مجيبا لهم، بأنه سيدع بني إسرائيل مع موسى بحالة لا ينعمون فيها، ويأمن فرعون وقومه بزعمه من

ضررهم: ﴿سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ أي: نستبقيهن فلا نقتلهن، فإذا فعلنا ذلك أمنا من كثرتهم، وكنا مستخدمين لباقيهم، ومسخرين لهم على ما نشاء من الأعمال ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ لا خروج لهم عن حكمنا، ولا قدرة، وهذا نهاية الجبروت من فرعون والعتو والقسوة". (السعدي، 2000 : 300/1)

ولما صمم فرعون على ما ذكره من الإساءة لبني إسرائيل، ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا﴾ ثم التفت إلى موسى وقال: ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:29] "هذه هي الحجة وهذا هو الدليل: التهديد بأن يسلكه في عداد المسجونين فليس السجن عليه ببعيد، وما هو بالإجراء الجديد، وهذا هو دليل العجز، وعلامة الشعور بضعف الباطل أمام الحق الدافع، وتلك سمة الطغاة وطريقهم في القديم والجديد، غير أن التهديد لم يفقد موسى رباطة جأشه". (قطب، 1980 : 2593/5)

بعد العجز من استخدام القوة استخدم أسلوب المناظرة أمام الناس "اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة، وجلس فرعون على سرير مملكته، واصطف له أكابر دولته، ووقفت الرعايا يمنة ويسرة وأقبل موسى عليه السلام يتوكأ على عصاه، ومعه أخوه هارون، ووقف السحرة بين يدي فرعون صفوفًا، وهو يحرضهم ويحثهم، ويرغبهم في إجادة عملهم في ذلك اليوم ويتمنون عليه، وهو يعدهم ويمنيهم، فيقولون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:41، 42]، وقوله: ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا...﴾[طه:64] أي: اجتمعوا كلكم صفاً واحداً وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة، لتبهروا الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه". (ابن كثير، 1999 : 302/5)

ويزيد قطب الأمر وضوحاً بقوله: "ويظهر أن استعباد بني إسرائيل كان إجراءً سياسياً خوفاً من تكاثرهم وغلبتهم، وفي سبيل الملك والحكم لا يتحرج الطغاة من ارتكاب أشد الجرائم وحشية، وأشنعها بربرية وأبعدها عن كل معاني الإنسانية وعن الخلق والشرف والضمير، ومن ثم كان فرعون يستأصل بني إسرائيل ويذلهم بقتل المواليد الذكور، واستبقاء الإناث، وتسخير الكبار في الشاق المهلك من الأعمال، فلما قال له موسى وهارون: أرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم، قال: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:57] لأن إطلاق بني إسرائيل تمهيد للاستيلاء على الحكم والأرض، وإذا كان موسى يطلب إطلاق بني إسرائيل لهذا

الغرض، وكل ما يقدمه هو عمل من أعمال السحر، فما أسهل الرد عليه: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ...﴾ [طه:58] وهكذا يفهم الطغاة أن دعوى أصحاب العقائد إنما تخفي وراءها هدفاً من أهداف هذه الأرض، وأنها ليست سوى ستار للملك والحكم". (قطب، 1980 : 2340/4)

﴿...ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا...﴾[طه:64] ليكون أمكن لعملكم، وأهيب لكم في القلوب، ولئلا يترك بعضكم بعض مقدوره من العمل، واعلموا أن من أفلح اليوم ونجح وغلب غيره فإنه المفلح الفائز". (السعدي، 2000 : 508/1)

ولكن دائماً من يقف مع المفسدين يكون الله لهم بالمرصاد حيث قال تعالى: ﴿...إِنَّ اللهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس:81]، إن الذي ينصر الباطل على الحق فكأنما أفسد، وأي فساد أعظم من هذا وهكذا كل مفسد عمل عملاً واحتال كيداً، أو أتى بمكر، فإن عمله سيبطل ويضمحل وأما المصلحون الذين قصدهم بأعمالهم وجه الله، فإن الله يصلح أعمالهم ويرقيها، فألقى موسى عصاه، فتلقفت جميع ما صنعوا، فبطل سحرهم". (السعدي، 2000 : 371/1)

ولكنه فوجئ بعد ذلك بإيمان السحرة فأخذ يتوعدهم بالعذاب الشديد والتقتيل والصلب "فيقول تعالى مخبرًا عن كفر فرعون وعناده وبغيه ومكابرته الحق بالباطل، حين رأى ما رأى من المعجزة الباهرة والآية العظيمة، ورأى الذين قد استنصر بهم قد آمنوا بحضرة الناس كلهم وغُلِب كل الغلب – شرع في المكابرة والبهت، وعدل إلى استعمال جاهه وسلطانه في السحرة فتهددهم وأوعدهم وقال: ﴿آمَنْتُمْ لَهُ﴾ أي: صدقتموه ﴿قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي: وما أمرتكم بذلك، وقال قولا يعلم هو والسحرة والخلق كلهم أنه بهت وكذب: ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾: أي أنتم إنما أخذتم السحر عن موسى، واتفقتم أنتم وإياه عليّ وعلى رعيتي، لتظهروه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٢٣]، ثم أخذ يتهددهم فقال: ﴿فَلأقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ وَلأصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: لأجعلنكم مثلة ولأقتلنكم ولأشهرنكم". (ابن كثير، 1999 : 304/5)

ويضيف السعدي بأنه: "كان الخبيث حاكماً مستبداً على الأبدان والأقوال قد تقرر عنده وعندهم أن قوله هو المطاع، وأمره نافذ فيهم، و لا خروج لأحد عن قوله

وحكمه، وبهذه الحالة تــنحط الأمم وتــضعف عــقولها ونــفوذها، وتعجز عن المدافعة عن حقوقها". (السعدي، 2000 : 300/1)

إنه التهديد بالعذاب الذي يعتمد عليه المفسدون الطغاة، ويسلطونه على الأجسام حين يعجزون عن قهر النفوس والقلوب والأرواح. (قطب، 1980 : 2343/4)

ثم بدأ فرعون باتخاذ قرارات تعسفية بهدف تكريه الشعب في موسى وجعل الناس يعتقدون أنه سبب شقاوتهم فينصرفوا من حوله، ولذا لما رأى شعب مصر تأثر بتفوق موسى عليه السلام على السحرة في المناظرة، وخاف إيمانهم بالله ونصرة دينه ورسوله، هدد الناس بالقتل والصلب ليمنعهم من الإيمان والنصرة، وشغل الناس ببناء الصرح الوهم ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ** ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا...﴾ [غافر:36-37] وإننا لنرى بأنه عندما عجز عن الحجة لوح بالقوة أيضاً لسيدنا موسى ﴿...**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ**...﴾ [غافر:26].

إن كل ما تقدم هو بمثابة تصدي موسى عليه السلام لفرعون وملئه وفسادهم وجبروتهم ، ومحاولةً منه عليه السلام لتحرير بني إسرائيل، وبعد أن حررهم من عبودية غير الله، إذ هم يطلبون منه أن يجعل لهم إلهاً من دون الله، وعندما تركهم عليه السلام وذهب لميقات ربه إذ وجدهم قد عبدوا العجل وهذا دليل فسادهم وفساد عقولهم ،وفسقهم ،وطغيان أمرهم. قال تعالى: ﴿...**كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ**﴾ [البقرة:60] حيث إن النفسية المفككة، والجبلة الهابطة المتداعية أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء، فأخرجهم الله على يد نبي الله موسى من الذل والهوان ليورثهم الأرض، وليرفعهم من المهانة، وللحرية ثمن، وللعزة تكاليف، ولا يريدون أن يدفعوا الفدية، حتى بأن يتركوا مألوف حياتهم الهينة وأن يتكيفوا مع الحياة الجديدة، في طريقهم إلى العزة والحرية والكرامة. (قطب، 1980 : 74/1)

ثالثاً: تــحقيق التكافــل والتــعاون.

إن قيمة التعاون من أهم القيم الاجتماعية التي لا يمكن للمجتمع أن يرتقي ويتقدم إلا بهما، لذلك كانت حياة الأنبياء عليهم السلام مليئة بتلك النماذج التي تدعو إلى التعاون والتكافل الاجتماعي الذي يسود في مجتمع متحاب.

ويوضح (أسعد، 1399هـ : 31) ذلك "بأنه لكي يتم التكافل في ربوع المجتمع يجب أن تقترب القلوب بعضها من بعض، وأن يسود قانون المحبة لا قانون البغضاء، وقانون التضحية لا قانون التناحر والتنافس البغيض".

فالإسلام يقرر مبدأ التكافل في كل صوره وأشكاله، فهناك التكافل بين الفرد وذاته وبين الفرد وأسرته، وبين الفرد والجماعة، وبين الأمة والأمم وبين الجيل والأجيال المتعاقبة، كما يفرض الإسلام التكافل الاجتماعي في كل صوره وأشكاله تمشياً مع نظرته الأساسية إلى وحدة الأهداف الكلية للفرد والجماعة، وفي تناسق الحياة وتكاملها. (قطب، 1974 : 63، 75)

وقد تجسد التعاون في قصص العديد من الأنبياء عليهم السلام، وجدنا سيدنا إسماعيل يتعاون مع سيدنا إبراهيم في بناء الكعبة، ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة:127].

ومن أكبر صور التعاون في حياته ﷺ هو حفر الخندق حيث يوضح (أبو سخيل، 2007 : 126) بأنه "في هذ المعركة بدت قيمة التعاون لإتمام حفر الخندق، فعن أنس رضي الله عنه قال: **[خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْخَنْدَقِ فَإِذَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ فَلَمَّا رَأَى مَا بِهِمْ مِنْ النَّصَبِ وَالْجُوعِ قَالَ اللَّهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَهْ فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا]**. (البخاري، 1422هـ : كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، 25/4، حديث 2834)

أما عن التعاون والتكافل في حياة سيدنا موسى عليه السلام فمنذ ولادته تجسد ذلك الخلق في أخته التي كانت معيناً على إرجاعه إلى أمه كي تقر عينها حيث يقول تعالى في سورة طه آية40: ﴿**إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...**﴾ [طه:40].

ويبين (الشعراوي، د:ت : 5677): بأنه "كان لأخت موسى دور في قصته، كما قال تعالى في موضع آخر: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [القصص:11] والمراد: تتبعيه بعد أن علمت نجاته من اليم، فتتبعته، وعرفت أنه في بيت فرعون، ثم حرم الله عليه المراضع، فكان يعاف المرضعات. وهنا تدخلت أخته لتقول: ﴿...**هَلْ أَدُلُّكُمْ**

عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ...﴾ [طه:40] "خرجت أختك تمشي على الشاطئ، تسير بسير التابوت، تتابعه بنظراتها لترى في أي مكان يستقر، فوجدت فرعون وامرأته يطلبان له مرضعة، فقالت: هل أدلكم على من يربيه ويحفظه". (الزحيلي، 1418هـ : 209/16)

يبين السعدي حذرها في البحث عنه: "﴿...فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:11] أي: أبصرته على وجه، كأنها مارة لا قصد لها فيه، وهذا من تمام الحزم والحذر فإنها لو أبصرته، وجاءت إليه قاصدة، لظنوا بها أنها هي التي ألقته، فربما عزموا على ذبحه". (السعدي، 2000 : 612/1)

ثم بعد ذلك نجد معاونته عليه السلام للفتاتين في مدين ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۝ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:23-24] بعد أن سمع عليه السلام منهما سبب عدم السقيا سارع إلى معاونتهما شأن ذلك أصحاب النفوس الكبيرة، والفطرة السليمة، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ أي: فسقى لهما مواشيهما سريعاً من أجل أن يريحهما ويكفيهما عناء الانتظار. (الطنطاوي، د:ت : 3257)
ويضيف (السعدي، 2000 : 614/1) بأنه: "رق لهما موسى عليه السلام ورحمهما، ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى.

وبيَّن الشعراوي فائدة اجتماعية مهمة من موقف موسى عليه السلام السابق:-
أنه "يعلم المجتمع المسلم أو حتى الإنساني إذا رأى المرأة قد خرجت للعمل فلابد أنه ليس لها رجل يقوم بهذه المهمة، فعليه أن يعاونها ويساعدها وأن ييسر لها مهمتها. (الشعراوي، د:ت : 6840)

أيضاً طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه أن يعينه بإرسال أخيه هارون معه فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۝ هَارُونَ أَخِي ۝ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾[طه:29-31].

"﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ معيناً وظهيراً، ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك". (البغوي، 1417هـ : 271/5)



ويضيف السعدي: "﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي﴾ أي: معيناً يعاونني ويؤازرني ويساعدني على من أرسلت إليهم". (السعدي، 2000 : 504/1)

أخيراً وجدنا كيف ساعد الرجل المؤمن الذي جاء وحذر سيدنا موسى من الملأ الذين يأتمرون عليه ليقتلوه فخرج عليه السلام من المدينة ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:20]، وكذلك الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه دافع عن سيدنا موسى وهذا يعد من التعاون فقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر:28]، ويوضح (حومد، د:ت : 404) موقف مؤمن آل فرعون حيث إنه: "تولى الدفاع عن موسى، لصرف فرعون عما اعتزمه من قتله، رجل مؤمن من بيت فرعون، كان يكتم إيمانه خوفاً من فرعون وملئه، فقال لفرعون: أينبغي لكم أن تقتلوا رجلاً لم يرتكب ذنباً سوى أنه قال: ربي الله، وقد جاءكم بدلالات وبراهين على صدقه، ومثل هذا القول لا يستدعي قتلاً، فإذا كان موسى كاذباً فيما يدعيه من أنه مرسل من عند الله ليأمركم بعبادته تعالى، وترك دينكم الذي أنتم عليه، فإثم كذبه يعود عليه هو، وليس عليكم من إثمه شيء، وإن كان صادقاً فيما يقول فلا ينبغي لكم أن تقتلوه لأنكم إن قتلتموه أسخطتم ربكم عليكم لكفركم".

وأخيراً نتوصل إلى أهم الثمار التربوية من التعاون والتكافل على النحو التالي:-

1- إن التعاون صفة تبعث الإنسان على مساعدة أبناء مجتمعه ، وإلى الاتحاد معهم قولاً وفعلاً لتقديم المنفعة العامة على المنفعة الخاصة.
2- إظهار القوة والتماسك في المجتمع ، وبالتالي نيل رضا الله تعالى لأن الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.
3- القضاء على الأنانية في المجتمع وحب الذات، حيث يقدم كل إنسان ما عنده ويبذله للآخر عن حب وإيمان، وكما قال النبي ﷺ: **[مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى]**. (مسلم، ب:ت : 1999/4، حديث 2586)

رابعاً: النصح للمجتمع والحرص على مصلحته:

إن كل نبي حرص على غرس المنهج الذي أرسله الله به في قومه واتخاذه سبيلاً في المجتمع، فموسى عليه السلام عندما آتاه الله الكتاب والآيات البينات لتكون مرجعاً لقومه في حياتهم حيث قال تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ وَالفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:53] فكأن إتيان موسى الكتاب والفرقان نعمة يجب أن يذكرها قومه، وأن يستقبلوا منهج الله على أنه نعمة، فلا يأخذ الإنسان التكليف الإلهي من زاوية ما يقيد حركته ولا ما يعطيه له، وكأن منهج الله وكتابه يبين لنا أين الحق وأين الباطل ويفرق بينهما. (الشعراوي، د:ت : 186/1)

ويبين (ابن كثير، 1999 : 261/1) قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ﴾: يعني: التوراة والفرقان) وهو ما يفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وكان ذلك بعد خروجهم من البحر لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:43].

قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:145].

"إن فيها من كل شيء يختص بموضوع الرسالة وغايتها من بيان الله وشريعته والتوجيهات المطلوبة لإصلاح حال هذه الأمة وطبيعتها التي أفسدها الذل وطول الأمد سواء، ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ والأمر الإلهي الجليل لموسى عليه السلام أن يأخذ الألواح بقوة وعزم، وأن يأمر قومه أن يأخذوا بما فيها من التكاليف الشاقة بوصفه الأحسن لهم والأصلح لحالهم، هذا الأمر على هذا النحو فضلاً على أنه يشي بضرورة هذا الأسلوب في أخذ هذه الطبيعة الإسرائيلية، التي أفسدها الذل وطول الأمد، بالعزم والجد، لتحمل تكاليف الرسالة والخلافة، فإنه – كذلك – يوحي بالمنهج الواجب في أخذ كل أمة لكل عقيدة تأتيها". (قطب، 1980 : 1370/3)

ويبين السعدي بأنه لما أتم الله نعمته على بني إسرائيل بالنجاة من عدوهم وتمكينهم في الأرض، أراد تبارك وتعالى أن يتم نعمته عليهم، بإنزال الكتاب الذي فيه الأحكام الشرعية والمنهج والعقائد المرضية، فواعد موسى ثلاثين ليلة ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ

﴿شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه العباد، ﴿مَوْعِظَةً﴾ ترغب النفوس في أفعال الخير، وترهبهم من أفعال الشر، ﴿وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ من الأحكام الشرعية والعقائد والأخلاق والآداب. (السعدي، 2000 : 302/1)

ويوضح (السعدي، 2000 : 303/1) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154] أي: ﴿وَفِي نُسْخَتِهَا﴾ أي مشتملة ومتضمنة ﴿هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ أي: فيها الهدى من الضلالة، وبيان الحق من الباطل، وأعمال الخير وأعمال الشر، والهدى لأحسن الأعمال والأخلاق والآداب، ورحمة وسعادة لمن عمل بها، وعلم أحكامها ومعانيها، ولكن ليس كل أحد يقبل هدى الله ورحمته".

ويعلق قطب على قوله تعالى: ﴿...وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء:153] بقوله: "والسلطان الذي آتاه الله موسى هو – في الغالب – الشريعة التي تضمنتها الألواح ، فشريعة الله سلطان من الله؛ وكل شريعة غير شريعة الله ما أنزل الله بها من سلطان، وما جعل فيها من سطوة على القلوب، لذلك تستهين القلوب بالشرائع والقوانين التي يسنها البشر لأنفسهم، ولا تنفذها إلا تحت عين الرقيب وسيف الجلاد، فأما شريعة الله فالقلوب تخضع لها وتخنع؛ ولها في النفس مهابة وخشية، ولكن اليهود الذين لا تستشعر قلوبهم الإيمان أبوا الاستسلام لما في الألواح، وهنا جاءهم القهر المادي الذي يناسب طبيعتهم الغليظة، إذ نظروا فرأوا الصخرة معلقة فوق رؤوسهم، تهددهم بالوقوع عليهم، إذا هم لم يستسلموا ولم يتعهدوا بأخذ ما أعطاهم الله من العهد، وما كتب عليهم من التكاليف في الألواح، عندئذ فقط استسلموا، وأخذوا العهد، وأعطوا الميثاق ميثاقاً غليظاً مؤكداً وثيقاً". (قطب، 1980 : 277/2)

الفصل السادس

الأبعاد النفسية في قصة موسى عليه السلام

أولا: الإيمان طريق السعادة وانشراح الصدر

ثانياً: الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف

ثالثاً: التخلص من الانفعالات السلبية

رابعاً: استحضار عاقبة المتقين والمفسدين

إن النفس البشرية فقيرة بذاتها قوية وعزيزة بالله تعالى، وهي ذات جوانب متعددة، وإن الجانب النفسي من أهم المكونات التي يستند عليها بناء النفس البشرية لذلك اهتم علماء النفس بدراسة النفس الإنسانية، وكيفية الحفاظ على الصحة النفسية ومعرفة خفايا تلك النفس لإصلاحها وتقويمها، وقد ثبت فشل منهج أصحاب علم النفس الحديث في علاج مرضاهم، فبدل أن تشفيهم، وتساعدهم على سلوك الصراط المستقيم، وتيسر لهم سبل الحياة الهانئة الفاضلة زادتهم مرضاً لكثرة ما أظهروه من عيوب النفس حتى تراكمت العلل، فازداد الإنسان في عصرنا هذا تعقيداً وشقاءً، وكأن النفس مادة خاضعة للتجارب فهم لم يتعمقوا في دراسة النفس البشرية دراسة شاملة جامعة، فدراستهم في هذا المجال دراسة واهية عقيمة مع أن الله ﷻ بيّن في كتابه وصفاً كاملاً ودقيقاً للنفس البشرية.

وقد أشار القرآن إلى تربية القلب كمستقر أساسي للمشاعر والأحاسيس، والتي تمثل حقيقة الإنسان، فجاء قول النبي ﷺ: [**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَى أَجْسَادِكُمْ وَلاَ إِلَى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَشَارَ بِأَصَابِعِهِ إِلَى صَدْرِهِ**]. (مسلم، د.ت، 1986/4، ح 2564)

ويبين (قنصوة، 1984 : 217) أهمية الدين في حياة الإنسان بقوله: " للدين موقف قيمي لا يجتزئ من الإنسان جانباً دون آخر، بل يصون توازن حياته، فكان لابد أن يؤدي ترجيح قيمة على أخرى، وتغليب جانب على آخر في الإنسان أن يعاد توازن حياته عن طريق ما يفعم به الدين وجدان المؤمن من سلوى وعزاء، وما يرتقبه من مثوبة وجزاء، تعوضه جميعاً افتقده في إقباله على بعض القيم والانصراف عنها".

إن النفس البشرية بما تحتويه من الخير وكذلك الشر عليها أن تختار بملء إرادتها الخير وتطهير النفس، وهذا ما علمنا إياه ﷺ حيث جاء في الحديث الشريف: [**أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ ﷺ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ قَالَ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ قَالَ قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ**]. (أبوداود، ب.ت، 316/4، ح 5067)

إن النفس مثل الجسد تماماً تتأثر بالظروف المحيطة، فتؤثر على سلوك الجسد، والمشاكل النفسية لا تقل أهمية عن الأمراض الجسدية، بل قد تكون أشد تأثيراً على أدائه، فالإسلام يتبع منهاجاً تربوياً هادفاً يحقق التوازن بين الجانبين الروحي والمادي عند الإنسان مما يؤدي إلى تحقيق الشخصية السوية التي تتمتع بالصحة النفسية.

ويؤثر الجانب النفسي بشكل كبير في سلوك الإنسان حيث يتكون سلوكه من مجموعة من العمليات يطلق عليها العملية النفسية، وتتكون هذه العملية من ثلاث خطوات تسير بترتيب محدد لا تأتي خطوة قبل الأخرى، وإذا تعطلت العملية عند خطوة من الخطوات تعطلت التي تليها، وتتمثل هذه الخطوات في: الإدراك المسبوق بالإحساس، الوجدان، النزع، فالفرد يحس بالعالم الخارجي عن طريق وسائل الإحساس المختلفة التي زود بها، وهي حاسة البصر والسمع والشم والذوق واللمس، ولا يوجد خلاف بين الأفراد من ناحية الكيف لوجودها عند كل الأفراد، ولكن يأتي الخلاف في الكم، أي في درجة وشدة وقدرة كل حاسة على القيام بوظيفتها، ولا تكتسب الأشياء التي تم إدخالها إلى الجهاز العصبي للإنسان عن طريق وسائل الإحساس أي معنى إلا عن طريق "الإدراك" الذي يمثل الخبرات التي اكتسبها الإنسان عن طريق الخبرة الشخصية، وعملية التنشئة الاجتماعية، والتدريب والتعليم، وإذا غاب هذا العنصر غابت المعاني عن كل الأشياء المحسوسة، وتأتي بعد هذه الخطوة عملية (الوجدان) وهو الانفعال عن طريق (الإدراك)، وهذا الانفعال هو الذي يحرك الإنسان بمثابة الدافع الذي يرتب وينظم ويوجه السلوك ولا تتم أو تكتمل العملية النفسية إلا إذا جاءت المرحلة الثالثة في العملية النفسية وهي ترجمة الانفعالات والدوافع إلى حركة ويطلق على هذه الخطوة (النزوع). (عويضة، 1416هـ : 8)

ويشير (ابن القيم، 2005 : 78) إلى أن صحة النفس تتمثل في "تحقيق التوازن بين مطالب الجسم والنفس والروح في حدود شرع الله، وعرف اللب السليم الصحيح الذي سلم من كل شهوة تخالف ما أمر به الله، أو توافق ما نهى عنه، هذا القلب نمت فيه دوافع الهدى وسيطر عليه بواعث الهوى، فأخلص في العبودية، وضمنت له السعادة في الدنيا والآخرة، لأنه من طبعه الإقبال على الهدى، والنفور من القبائح، أما القلب الميت فهو قلب قاس، واقف عند شهوات الجسد وملذاته، يقبل عليها ولو كان فيها سخط الله، يعبد هواه، ويخضع له غارق في مطالب الدنيا تابع لكل شيطان مريد".

وإن طريقة القرآن الكريم في معالجة النفس البشرية هي معالجة شاملة للجسم والعقل والروح، والحياة المادية والمعنوية وكل النشاطات للإنسان على الأرض إنه يأخذ ذلك الكائن على ما هو عليه، بفطرته ولا يغفل منها شيئاً من هذه الفطرة ولا يزيد عليها شيئاً في تركيبها الأصيل، ويتناولها بدقة بالغة متناهية فيعالج كل ضعف مسها، فيضبطها بضبطها الصحيح، وهذا يعني أن الإنسان كل متكامل يتأثر بعضه ببعض ولا يمكن عزل العقل عن الجسم أو النفس.(أحمد وآخرون، 1999 : 65)

إن المجال النفسي في عصرنا الحديث من أهم المجالات التي تثبت الإنسان المسلم في كل الأمور، ويبيّن قطب حال بني إسرائيل بقوله: " ليس أفسد للنفس البشرية من الذل والخضوع للطغيان طويلاً ومن الحياة في ظل الإرهاب والخوف والتخفي والالتواء لتفادي الأخطار والعذاب، والحركة في الظلام مع الذكر الدائم والتوقع الدائم للبلاء...ولقد عاش بنو إسرائيل في هذا العذاب طويلاً، عاشوا في ظل الإرهاب، وفي ظل الوثنية الفرعونية كذلك، عاشوا يقتل فرعون أبناءهم ويستحيي نسائهم فإذا فتر هذا النوع البشع من الإرهاب الوحشي، عاشوا حياة الذل والسخرة والمطاردة على كل حال، وفسدت نفوسهم، وفسدت طبيعتهم، والتوت فطرتهم، وانحرفت تصوراتهم، وامتلأت نفوسهم بالجبن والذل من جانب، وبالحقد والقسوة من جانب آخر، وهما جانبان متلازمان في النفس البشرية حيثما تعرضت طويلاً للإرهاب والطغيان".

ويضيف "سنرى من خلال متاعب موسى عليه السلام متاعب كل صاحب دعوة، يواجه نفوساً طال عليها الأمد، وهي تستمرئ حياة الذل تحت قهر الطاغوت، وبخاصة إذا كانت هذه النفوس قد عرفت العقيدة التي يدعوها إليها ثم طال عليها الأمد، فبهتت الصورة وعادت شكلاً لا روح فيه". (قطب، 1980 : 1365/3-1366)

وسوف تقوم الباحثة بإبراز أهم الأبعاد التربوية في المجال النفسي في قصة موسى عليه السلام على النحو التالي:-

1- الإيمان طريق السعادة وانشراح الصدر.
2- الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف.
3- التخلص من الانفعالات السلبية.
4- استحضار عاقبة المتقين والمفسدين.

أولا: الإيمان طريق السعادة وانشراح الصدر.

إن السعادة هي مطلب أساسي في الحياة، ولكن تختلف النظرة إليها فمنهم من يرى أنها تتحقق بالتمتع بملذات الدنيا المختلفة ومنهم من يرى أنها الانقطاع عن هذه الدنيا وزينتها أما عن نظرة الإسلام هي نظرة واقعية منسجمة مع فطرة الإنسان وواقعه الذي يحياه.

وترى الباحثة أن السعادة هي شعور داخلي يحسه الإنسان ويكون متمثلاُ في سكينة النفس وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، وراحة الضمير نتيجة لبشرى الله تعالى للمؤمنين، ويبين (القرني، 2002 : 334) أن السعادة: "سلوة خاطر بحق يحمله، وانشراح صدر لمبدأ يعيشه، وراحة قلب لخير يكتنفه".

والبـشرى: "الخـبر الذي يـظهر سـروره فـي بـشرة الوجـه، والبـشارة مـثلهـا". (الطبرسي، 1415هـ : 204/5)

جعل الله تعالى للمؤمنين البشرى إكراماً لهم في الدنيا والآخرة وفي ذلك يقول ﷻ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۞ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[يونس:62-64]

بشَّرهم الله في الدنيا بإكرامهم ورؤيتهم ما يسرهم ويثلج صدورهم، وهذه البشرى تعكس على المؤمنين السعادة القلبية، والخير الكثير "وهي تشتمل على خيرات عظيمة، ينالونها ويظفرون بها في الدنيا قبل الآخرة، منها التأييد بالنصر والتمكين في الأرض، ومنها السعادة التي لا ينالها غير المؤمنين". (الميداني، 1413هـ : 298/2)

وقد تكررت البشارات في قصة سيدنا موسى عليه السلام في كثير من المواقف:

أولا: عندما بشر الله تعالى أم موسى بأنه سيرد إليها ابنها في سورة القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].

ويبين (السعدي، 2000 : 612/1) معنى البشرى الواردة في قوله تعالى: ﴿...إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ بقوله: "فبشرها بأنه سيرده عليها، وأنه سيكبر ويسلم من كيدهم، ويجعله الله رسولاً. وهذا من أعظم البشائر الجليلة، وتقديم هذه البشارة لأم موسى، ليطمئن قلبها، ويسكن روعها".

ويبين (القرطبي، 1423هـ : 76/1) : "أن الآية جمعت بين أمرين ونهْيَيْن وخبرين وبشارتين".

ويصور قطب حال الأم فيقول: "وها هي ذي أمه حائرة به، خائفة عليه ، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين، ها هي ذي بطفلها الصغير في قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة، ها هي ذي وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة، هنا تتدخل يد القدرة، فتتصل بالأم الوجلة القلقة المذعورة، وتلقي في روعها كيف تعمل، وتوحي إليها بالتصرف ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ يا أم موسى أرضعيه، فإذا خفت عليه وهو في

حضنك وهو في رعايتك، إذا خفت عليه وفي فمه ثديك، وهو تحت عينيك، إذا خفت عليه ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ إنه هنا في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها، اليد التي لا خوف معها، اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها، اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً، وتجعل البحر ملجأ ومناماً...مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح، وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور برداً وسلاماً". (قطب، 1980 : 2679/5-2680)

ثانياً: وجدنا بشارة الرجل الصالح لسيدنا موسى عليه السلام عندما قال: ﴿...لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:25] أي طب نفساً وقر عيناً فقد خرجت من مملكتهم فلا حكم لهم في بلادنا". (ابن كثير، 1999 : 228/6)

ليذهب خوفك وروعك فإن الله نجاك منهم حيث وصلت إلى هذا المحل الذي ليس لهم عليه سلطان. (السعدي، 2000 : 614/1)

وقوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [طه:68] بُشر سيدنا موسى عليه السلام من بداية الأمر بالنصر والغلبة، وأوضح ذلك (البغوي، 1417هـ : 284/5) بقوله: "أي الغالب ولك الغلبة والظفر" ستعلو عليهم وتقهرهم ويذلون لك ويخضعون.

وفي مقام الدعوة لابد من انشراح الصدر فالبشارات تعمل على انشراح الصدر والطمأنينة.

عندما علم عليه السلام أنه تحمل حملاً عظيماً، أرسل إلى أطغى قوة، والذي ليس له منازع في مصر من الخلق، وموسى وحده، وقد جرى منه ما جرى من القتل، فامتثل أمر ربه وتلقاه بالانشراح والقبول، وسأله المعونة وتيسير الأسباب التي هي من تمام الدعوة فقال: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه:25] أي وسعه وأفسحه لأتحمل جميع أنواع الأذى سواء كان فعلياً أو قولياً، ولا يتكدر قلبي بذلك ولا يضيق صدري، فإن الصدر إذا ضاق، لم يصلح صاحبه لهداية الخلق ودعوتهم. (السعدي، 2000 : 504/1)

﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه:25] هذا سؤال من موسى عليه السلام لربه عز وجل أن يشرح له صدره فيما بعثه به، فإنه قد أمره بأمر عظيم، وخطب جسيم، بعثه إلى أعظم ملك على وجه الأرض". (ابن كثير، 1999 : 282/5)

وتـــتجلى البشارة في أوضح صورها في الآيات بقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس:87]، ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: بالنصر والتأييد وإظهار دينهم، فإن مع العسر يـــسراً، إن مع العـــسر يـــسراً، وحـــين اشـــتد الكـــرب، وضـــاق الأمـــر، فـــرجه الله ووســـعه". (السعدي، 2000 : 372/1)

وقد أوضح (قطب، 1980 : 178/4): "بأنه لابد من التعبئة الروحية إلى جانب التعبئة النظامية، وفي مقام آخر عندما طلب سيدنا موسى عليه السلام من ربه أن يعينه بمساعدة أخيه هارون له بشره تعالى بقوله: ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾ "[القصص:35]

"لقد استجاب ربه رجاءه، وشد عضده بأخيه، وزاده على ما رجاه البشارة والتطمين ﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ فهما لن يذهبا مجردين إلى فرعون الجبار، إنما يذهبان إليه مزودين بسلطان لا يقف له في الأرض سلطان، ولا تنالهما معه كف طاغية ولا جبار، ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ وحولكما من سلطان الله سياج، ولكما منه حصن وملاذ، ولا تقف البشارة عند هذا الحد، ولكنها الغلبة للحق، الغلبة لآيات الله التي يجبهان بها الطغاة، فإذا هي وحدها السلاح والقوة، وأداة النصر والغلبة ﴿بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الغَالِبُونَ﴾". (قطب، 1980 : 427/5)

وترى الباحثة أن الشعور بالسعادة لا يكون إلا بزوال الهم والحزن اللذين يسببان الضيق والكآبة، ومصدر ذلك غياب معية الله للإنسان وذلك بسبب اجتراحه المعاصي وتعديه حدود الله، فيتوقف المدد منه سبحانه وتعالى فيشعر الإنسان بضيق نفسه، أما من التزم طريق الإيمان فيكتنفه الشعور بالرضا والسعادة وانشراح الصدر التي تبثُّها طمأنينة البشرى من الله، ويطمح المؤمن لنيلها في الآخرة، لأن غايات المسلم وطموحاته ترنو إلى السعادة السرمدية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:47]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصِّلت:30] .

ثانياً: الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف:-

إن قاعدة الإسلام التي يقوم عليها كل بنائه هي حماية الإنسان من الخوف والفزع والاضطراب، وكل ما يحد حريته وإنسانيته، والحرص على حقوقه المشروعة في الأمن والسكينة والطمأنينة.

وإن القلق يشكل عائقاً أمام تقدم الإنسان في حياته، لكن الطمأنينة والسكينة هي التي تدفع الإنسان نحو التقدم ومواجهة الصعاب بثبات وصبر وتوكل على الله، وجاءت الآيات القرآنية وبينت أن حالة السكينة والطمأنينة هي حالة المؤمنين الذين يثقون بالله، فكلما اشتد الألم وزادت المحن على المؤمنين اكتسبوا الطمأنينة والسكينة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:214].

والطمأنــينة "هي سكون القلب إلى الشيء وعدم اضطرابه وقلقه". (ابــن القيم، د:ت : 534/2)

والأمن "هو عدم توقع مكروه. (الجرجاني، 1421هــ : 37)، وقد بيّن (الطبرسي) معنى الأمن بأنه: "هو إزالة أسباب الخوف والهلع والفزع، والخوف والفزع والجزع، نظائر وهو إزعاج القلب لما يتوقع من المكروه، والأمن ضده". (الطبرسي، 1415هــ : 204/5)

إن غاية كل إنسان على وجه الأرض أن يعيش آمناً مطمئناً على نفسه وأهله وأمواله ووطنه "والشعور بالأمن مطلب إنساني ضروري، وهو من شروط الصحة النفسية، كما أن الخوف مصدر كثير من المتاعب والعلل النفسية". (عثمان، 1410هــ : 61)

وقد كثرت الآيات في قصة سيدنا موسى التي تدل على طمأنة سيدنا موسى عليه السلام ومنها:-

في بداية مولد عليه السلام:

أمر أمه أن تضعه في التابوت وتلقيه في اليم، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ۞ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى ۞ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي اليَمِّ فَلْيُلْقِهِ اليَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:37-39] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾ حيث ألهمنا أمك أن تقذفك في التابوت وقت الرضاع، خوفاً من فرعون، لأنه أمر بذبح أبناء بني إسرائيل، فأخفته أمه، وخافت عليه خوفاً شديداً فقذفته في التابوت، ثم قذفته في اليم، أي: شط نيل مصر، فأمر الله اليم، أن يلقيه في الساحل، وقيض أن

يأخذه، أعدى الأعداء لله ولموسى، ويتربى عنده، ويكون قرة عين لمن رآه، ولهذا قال: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي﴾ فكل من رآه أحبه، ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ولتتربى على نظري وفي حفظي وكلاءتي، وأي نظر وكفالة أجلّ وأكمل، من ولاية البر الرحيم، القادر على إيصال مصالح عبده، ودفع المضار عـــنه، فلا ينتقل من حالة إلى حالة، إلا والله تعالى هو الذي دبّر ذلك لمصلحة موسى، ومن حســـن تدبيره، أن موسى لما وقع في يد عدوه، قلقت أمه قلقاً شديداً، وأصبح فؤادها فارغاً، وكـــادت تـــخبر به، لولا أن الله ثـــبتها وربـــط على قلبها، ففي هذه الحالة، حرم الله على موسى المراضـــع، فلا يقبل ثدي امرأة قط، ليـــكون مآله إلى أمه فترضعه، ويكون عندها، مطمئنة ساكنة، قـــريـــرة العين، فجعلوا يعرضون عليه المراضع، فلا يقبل ثدياً. (السعدي، 2000 : 504/1)

لقد سمعت أم موسى الإيحاء وألقت بطفلها الماء ويصورها القرآن ببالها الواله وقلبها الملهوف ﴿...إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ...﴾ [القصص:10] أين هو يا ترى وماذا فعلت به الأمواج ولعلها تسأل نفسها من شدة خوفها كيف أمنت على فلذة كبدي أن أقذفه في اليم كيف طلبت له السلامة في هذه المخافة، يصور لنا القرآن فؤاد الأم المسكينة ﴿فَارِغًا﴾ لا عقل فيه ولا وعي ولا قدرة على نظر أو تصريف، ﴿...لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا...﴾ [القصص:10] طمأناها وثبتناها وأمسكنا بها من الهيام والشرود وأنزلنا عليها السكينة ﴿...إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ...﴾[القصص:7] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:13] عاد الطفل الغائب لأمه تضطرب المخاوف من حوله وهو آمن قرير. (قطب، 1980 : 2680/5)

بدا على موسى عليه السلام الخوف بعد قتله القبطي، وبيّن تعالى ذلك في قوله: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾[القصص:18]، خائفاً من انكشاف أمره، يسيطر القلق عليه ويتوقع الشر في كل لحظة والمدينة عادةً مكان للأمن والطمأنينة، فإذا كان خائفاً فيها، فأعظم الخوف ما كان في مأمن ومستقر.

خرج منها عليه السلام ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[القصص:21] "ومرة أخرى نجد موسى عليه السلام في قلب المخافة، بعد فترة من الأمن، بل

من الرفاهية والطراءة والنعمى، ونجده وحيداً مجرداً من قوى الأرض الظاهرة جميعاً، يطارده فرعون وجنده، ويبحثون عنه في كل مكان، لينالوا منه اليوم ما لم ينالوه منه طفلاً، ولكن اليد التي رعته وحمته هناك ترعاه وتحميه هنا". (قطب، 1980 : 2685/5)

وفي مقام آخر بين تعالى طمأنته لرسوله عندما قال في سورة طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ [طه:17]، وفي سورة النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:10] وفي سورة القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآَهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ﴾ [القصص:31]، وفي سورة طه: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ۝ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآَرِبُ أُخْرَى ۝ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى ۝ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [طه:17-21].

ويبين (السعدي، 2000 : 503/1) فحوى الآيات السابقة بقوله: "انقلبت بإذن الله ثعباناً عظيماً فولى موسى هارباً خائفاً ولم يعقب، وفي وصفها بأنها تسعى إزالة لوهم يمكن وجوده وهو أن يظن أنها تخييل لا حقيقة فكونها تسعى يزيل هذا الوهم، فقال الله لموسى: ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ أي ليس عليك مها بأس ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أي هيئيها وصفتها إذ كانت عصا فامتثل موسى أمر الله إيماناً به وتسليماً فأخذها فعادت عصا".

وقد أراد الله أن يبين لموسى عليه السلام من آياته ما يطمئن به قلبه، وتقر به عينه وتسكن إليه نفسه، ويقوى به إيمانه، بتأييد الله له على عدوه.

إنها المفاجأة التي لم يستعد بها موسى مع الطبيعة الانفعالية، ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ولم يفكر في العودة إليها ليتبين ماذا بها، وليتأمل هذه العجيبة الضخمة، وهذه هي سمة الانفعاليين البارزة تتجلى في موعدها ثم يستمع إلى ربه الأعلى ﴿يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآَمِنِينَ﴾ إن الخوف والأمن يتعاقبان سريعاً على هذه النفس، ويتعاورانها في مراحل حياتها جميعاً، إنه جو هذه الحياة من بدئها إلى نهايتها، وإن هذا الانفعال الدائم المقصود في تلك النفس، مقدر في هذه الحياة، لأنه الصفحة المقابلة لتبلد بني إسرائيل، ومرودهم على الاستكانة ذلك الأمد

الطويل، وهو تدبير القدرة وتقديرها العميق الدقيق ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ وكيف لا يأمن من تنقل يد القدرة خطاه، ومن ترعاه عين الله". (قطب، 1980 : 2692/5)

وبعد ما كلفه الله تعالى بالذهاب إلى فرعون سأل موسى عليه السلام عدة أشياء ومنها ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي﴾ [طه:29] وكذلك في سورة الشعراء قال: ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۞ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه:12-13]، وقوله: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص:34].

ويوضح قطب ذلك بقوله: "هنا كفاية وفضل من الكريم والعطف والإيناس، وقد طال التجلي، وطال النجاء، وأجيب السؤل، وقضيت الحاجة، ولكن فضل الله لا خازن له، ورحمة الله لا ممسك لها، فهو يغمر عبده بمزيد من فضله وفيض من رضاه، فيستبقيه في حضرته، ويمد في نجائه وهو يذكره بسابق نعمته، ليزيده اطمئناناً وأنساً بموصول رحمته وقديم رعايته، وكل لحظة تمر وهو في هذا المقام الوضئ هي متاع ونعمى وزاد ورصيد". (قطب، 1980 : 2334/4)

يقول تعالى على لسان موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾ [طه:45] "يعنيان أن يبدر إليهما بعقوبة أو يعتدي عليهما فيعاقبهما وهما لا يستحقان منه ذلك"، ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ أي لا تخافا منه فإنني معكما أسمع كلامكما وكلامه". (ابن كثير، 1999 : 296/5)

فما يكون فرعون وما يملك وما يصنع حين يفرط أو يطغى، والله معهما يسمع ويرى، وبعد الطمأنينة وتهدئتهم بالسكينة هداهم إلى صورة الدعوة وطريقة الجدال، ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ [طه:47]. (قطب، 1980 : 2337/4)

وعندما وقع الأمر ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ۞ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ [طه:66-67] وأوضح ابن كثير ذلك بأن موسى

عليه السلام خاف أن يفتتن الناس بالسحر ويغتروا به قبل أن يلقي ما في يمينه فقامت المعجزة وبطل ما كانوا يعملون". (ابن كثير، 1999 : 302/5)

أما قطب فقد بين أن: "التعبير يشي بعظمة ذلك السحر وضخامته حتى ليوجس في نفسه خيفة موسى، ومعه ربه يسمع ويرى، وهو لا يوجس في نفسه خيفة إلا لأمر جلل ينسيه لحظة أنه الأقوى، حتى يذكره ربه بأن معه القوة الكبرى ﴿**قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى**﴾[طه:68].(قطب، 1980 : 2342/4)

وفي هذا بث للطمأنينة والأمن من الخوف الذي حصل لموسى عليه السلام.

في نهاية الأمر يتبين أن الأمن والسكينة والاطمئنان حاجة إنسانية وكذلك فطرية، لأنه لا تستقيم الحياة بدونه، وهما من مقومات السعادة والاستقرار وما جاء الإسلام إلا ليزرع الأمن ويشيع السكينة والطمأنينة في نفوس وقلوب المؤمنين خاصة والبشرية كافة وقد أكد النبي ﷺ أن الأمن من مقومات الحياة فقال: [**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ آمِنًا فِي سِرْبِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا**]. (ابن ماجه، 1998 : 577/5، ح 4141)

لا يخاف المؤمن إلا الله وحده، يخافه أن يقصر في حقه، أما الناس فلا يخافهم، لأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً. (القرضاوي، 1410هـ : 149)

إن الخوف من الله ومراقبته سبحانه وتعالى هو من أساس تحقيق الأمن والطمأنينة والسكينة بل مفتاح تحقيق الأمن للمسلم في دنياه وأخراه التضرع إلى الله سبحانه وتعالى ذاكراً فيأمن من قلبه، ويرتاح فؤاده ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:28] فهذا هو الأمن النفسي والأمن القلبي والأمن الروحي الذي ينعكس نتيجة الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: التخلص من الانفعالات السلبية:-

إن الانفعال هو حالة التوتر في الكائن الحي تصحبها تغييرات فسيولوجية ومظاهر جسمانية وتلعب الانفعالات دوراً هاماً في حياة الإنسان ويعدها علماء النفس دافعة للسلوك الإنساني، وإن السيطرة على الانفعالات وضبطها وتربيتها ضرورة ومطلب للحياة السوية والصحة النفسية لأي أحد من بني البشر، فالانفعالات طاقة نفسية تؤثر في جميع أنشطة الإنسان.

وترى الباحثة أن الانفعالات تؤثر في السلوك، فمثلاً يعتبر من أهم الدوافع الشعورية حالات الغضب والحزن والخوف أو الحب وهي في حقيقتها تسبب قدراً من التوتر النفسي الذي يدفع صاحبه إلى سلوك يضمن له إشباع ذلك الدافع لتخفيف شدة ذلك التوتر.

وقد يؤثر كذلك في التفكير لأن الانفعال هو طاقة مخزونة تندفع في توتر نحو الإشباع، وكلما كان الانفعال أكثر هيجاناً كان مستوى التفكير أكثر بدائية وضعفاً.

والانفعال يؤثر على الصحة النفسية حيث إن كثيراً من الأمراض النفسية مصدرها انفعالات سلبية تؤدي إلى تولد الأمراض الجسمية.

إن الانفعالات تتصل بحياة الفرد اتصالاً مباشراً ولها أهمية ودور كبير فيها، فالانفعالات عندما تكون في حالاتها الطبيعية المتزنة تستثير وتدفع الإنسان إلى العمل ومواصلته وتعطي السلوك قوة وزخماً، كما أنها تساعده في تنظيم خبراته، وزيادة خياله وتنشيط فكره، وتساعد كذلك على توجيه السلوك الذي يسهم في استمرارية الإنسان في الحياة.

ويعرف الانفعال بأنه: "حالة جسمية نفسية يصاحبها توتر شديد مع اضطرابات عضوية تغشى أجهزة الإنسان الدموية والتنفسية والعضلية والهضمية مع كيانه العصبي عموماً والانفعال أزمة نفسية طارئة مفاجئة لم يستطع صاحبه التكيف السريع معها. (الهاشمي، 1423هـ: 166)

ويعرفه (نجاتي، 1420هـ : 115): "بأنه اضطراب حاد لأنه يتميز بحالة شديدة من التوتر والتهيج، ولأنه أثناء الانفعال تتعطل جميع أنواع النشاط الأخرى التي يقوم بها الإنسان ويصبح نشاطه كله مركزاً حول موضوع الانفعال.

ومن الانفعالات الشائعة:

1- انفعال الحب والكره.
2- انفعال الفرح والحزن.
3- انفعال الغضب والخوف.
4- انفعال الزهو والعجب والكبر والحياء.
5- انفعال الغيرة والحسد.

ولا شك في أن الانفعالات السابقة في مجملها تؤدي وظائف مطلوبة في حياة الإنسان لكنها إذا تجاوزت الحد المعقول تحولت إلى اضطرابات وقلق يتطلب من الإنسان أن يتخلص منها بوصفها انفعالات سلبية أو ضارة.

أ- **انفعال الحب والكره:**

لانفعال الحب دور بارز في حياة الإنسان ولكن عليه أن يوجهه إلى الطريق الصحيح مثلاً حب الله ورسوله ﷺ، حيث ذروة الحب وأكثره صفاء ونقاء هو حب الله فهو الرباط الوثيق الذي يربط الإنسان بربه، وهو الأساس الذي يبني عليه صرح شخصيته ويسمو بأخلاقه ويقوم ما يصدر عنها من سلوك.

وحينما يخلص الإنسان في حبه لله يصبح هذا الحب القوة الدافعة الموجهة له في حياته وتخضع كل أنواع الحب الأخرى لهذا الحب، ويصبح إنساناً يفيض بالحب على الناس وجميع مخلوقات الله والكون بأسره، إذ يرى في كل الموجودات من حوله آثار حبه الذي تشده إليه أشواقه الروحية وتطلعاته القلبية. (نجاتي، 1409هـ : 85)

أمّا الكره فهو مضاد للحب، وهو عبارة عن شعور بالنفور والاشمئزاز فلابد أن يكون الكره موجه بطريقة صحيحة لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ۞ هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۞ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**﴾[آل عمران:118-120].

2- **انفعال الفرح والحزن:-**

فالفرح من الانفعالات الإنسانية الفطرية حيث قال الله تعالى: ﴿**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى**﴾ [النَّجم:43]، لقد بين القرآن الكريم المنهج السليم الذي يجب أن يقوم عليه الفرح، فهو أمر نسبي يتوقف على أهداف الإنسان في الحياة، مثلاً: من كان هدفه الحصول على متاع الدنيا فقط كحال الكفار كان نجاحه في تحقيق أهدافه باعثاً على فرحه ولكن الله يقول: ﴿**اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ**﴾ [الرعد:26]، إذن الفرح حالة مؤقتة لا تبعث الطمأنينة في الحياة بحيث إن أصابه ضرر أو بلاء أصابه اليأس والاكتئاب والاضطراب، والدليل: ﴿**وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ**

كَفُورٌ ۞ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾[هود:9-10] ووضح القرآن أن الفرح والسعادة هي التي تكون من نتاج العمل الصالح والإيمان والتقوى وهو السبيل للحصول على السعادة في الحياة الآخرة والفرح الدائم فقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:57-58].

أما انفعال الحزن فهو مضادٌ للفرح والسرور حيث يبين ابن القيم: "أن الحزن موقف غير مُسَيِّر، ولا مصلحة فيه للقلب، وأحب شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد ليقطعه عن سيره، ويوقفه عن سلوكه، فالحزن ليس بمطلوب، ولا مقصود ولا فيه فائدة".

ويبين كذلك: أن الهم ناتج عن الحزن. (ابن القيم، د:ت : 542/1)

ومن ذلك حزن يعقوب عند فقد يوسف عليهما السلام في قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف:84].

3- انفعال الغضب والخوف:

عـرَّف ابن مسـكويه الغضب بأنه حـركة النفس، يحـدث لها غـليان دم القـلب شهوة الانتقام. (زريق، 1414هـ : 57، 58)

والغضب انفعال فطري يساعد الإنسان على المواجهة إذا اعتُدي عليه والدفاع عن نفسه وعقيدته ووطنه وقد أمر الله تعالى نبيه بذلك بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة:73].

ويـرى الغـزالي أن الغـضب قوة داخلية في النفس لا تثار إلا بمثيرات تهيِّجُها فيقول: أن فـي هذه القوة إفراط واستيلاء يجذب على المهالك والمعاطب وفيها تفريط وخـمود يقصر عن المحامد من الصبر والحلم والحمية والشجاعة ومن الاعتدال يحصل أكثر مـحامد الأخلاق من الكـرم والنجدة وكبر النفس والاحتمال والحلم والثبات والشهامة والوقار..والأسـباب المهيجة للغـضب هي: الزهو والعجب والمزاح، والهزء والتعيير،

والمماراة والمــضادة والغدر وشدة الحــرص على فضول المال والجاه، وهي بأجمعها أخلاق رديئة مذمومة شرعاً وعــقلاً ولا خلاص من الغــضب مع بقاء هذه الأسباب فلابد من إزالة أسبابها بأضــدادها. (الغزالي، 1996: 243/3)

أما الخوف فقد أوضح (الزعبلاوي، د:ت : 141) أنه: "انفعال يحدث في النفس لتوقع ما يرد من المكروه أو يفوت من المحبوب، وهو نوعان خوف من الله ﷻ ومظهره طاعة الله والخشية له والحذر من مخالفته، والثاني خوف من سواه ومظهره الترقب والانتظار لحلول مكروه".

ومن أمثلة النوع الأول: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:2]، وقوله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة:16].

ومن أمثلة النوع الثاني: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً...﴾ [النساء:77].

لابد أن يوجه إلى الخوف من الله تعالى وبيّن ابن القيم معنى الخوف بأنه: "اضطراب القلب وحركته مع تذكر المخوف، والخوف قوة العلم بمجاري الأحكام وقيل هو هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره". (ابن القيم، د:ت : 549/1)

4- الزهو والعجب والكبر والحياء:

الزهو: هو الإعجاب بالنفس والتعاظم والكبرياء، والعجب ظنٌ كاذبٌ بالنفس باستحقاق مرتبة غير مستحقة لها. (الزعبلاوي، د:ت: 130)

والكبر: انفعال ناتج عن غريزة حب السيطرة. (الرشودي، 1420هـ : 254)

لقد ذم القرآن الكريم الزهو والكبر والتعالي على الناس ومعاملتهم في تحقير واستكبار حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾[الإسراء:37]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان:18].

أما الحياء فهو: "انفعال مركّب فيه عناصر من الخجل والخوف، وهو يعتري الإنسان إذا خاف أن يرى الناس فيه ما يمكن أن يُعاب أو يُذم، وهو من السمات الإنسانية، لأنه يدفع الإنسان إلى تجنب الأفعال القبيحة المعيبة". (نجاتي، 1409هـ : 98)

5- انفعال الغيرة والحسد:

فالغـــيرة غـــالباً ما تكون مصحوبة بالكره والحقد ويبين القـــوصي: "بأن انفعال الغـــيرة انفعال مركب من حب التملك، وشعور بالغضب يكون عائقاً دون تحقيق غاية مهمة، ولا يعترف الفرد عادة بالغيرة، وسبب هذا ما تتضمنه من الشعور النـــاتج مـــن الإخـــفاق بل كثيراً مـــا تكتب الغيرة لأن النفس الشعورية لا تقبل ألم الخيبة ولا شـــعور النقص". (القوصي، 1982م : 401)

وقد وصف القرآن الكريم الغيرة في نفوس إخوة يوسف عليه السلام بسبب حب أبيهم يعقوب له ولأخيه الصغير حيث قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:8].

أما عن الحسد فقد جاء في اللغة:-

حـــسده أي: "تـــمنى أن تـــتحول إليـــه نـــعمته وفـــضيلته، أو يـــسلبـــهـــمـــا". الفيروز آبادي، 1406هـ : 353)

إن الحسد مذموم ومنهي عنه حيث هو انفعال يشعر فيه الإنسان بكراهية رؤية غيره أفضل منه في نعمة ما، ولذلك يتمنى الحصول عليها، مع تمنى زوالها عن الغير، ويقول تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:109].

معالجة الانفعالات في قصة موسى عليه السلام:

فيبين (قطب، 1980 : 1344/3) كيف رافقت الانفعالات المختلفة قصة موسى منذ بدايتها: "فالقصة تقطع إلى مشاهد حية، تموج بالحركة وبالحوار، وتزخر بالانفعالات والسمات، وتتخللها التوجيهات إلى مواضع العبرة في السياق، وتكشف عن طبيعة المعركة بين الدعوة إلى الله (رب العالمين) وبين الطواغيت المتسلطة على عباد الله، المدعية للربوبية من دون الله، كما تتجلى روعة العقيدة حين تستعلن، فلا تخشى سلطان الطواغيت، ولا تحفل بالتهديد والوعيد الشديد. فنجد في بداية الأمر أن الله تعالى ألقى محبة موسى في قلب كل من رآه فقال تعالى:

﴿ ...وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه:39] حيث: "في زحمة هذه المخاوف كلها، وبعد كل تلك الصدمات...يا للقدرة القادرة التي تجعل من المحبة الهينة اللينة درعاً تتكسر عليها الضربات وتتحطم عليه الأمواج، وتعجز قوى الشر والطغيان كلها أن تمس حاملها بسوء، ولو كان طفلاً رضيعاً لا يصول ولا يجول بل لا يملك أن يقول، إنها مقابلة عجيبة في هذا التصوير، مقابلة بين القوى الجبارة الطاغية التي تتربص بالطفل الصغير، والخشونة القاسية فيما يحيط به من ملابسات وظروف، والرحمة اللينة اللطيفة تحرسه من المخاوف، وتقيه من الشدائد وتلفه من الخشونة، ممثلة في المحبة لا في صيال أو نزال". (قطب، 1980 : 2335/4)

﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص:9] "قدَّر اللّه أنه نفع امرأة فرعون، التي قالت تلك المقالة، فإنه لما صار قرة عين لها، وأحبته حباً شديداً، فلم يزل لها بمنزلة الولد الشفيق حتى كبر ونبأه اللّه وأرسله، فبادرت إلى الإسلام والإيمان به، رضي اللّه عنها وأرضاها". (السعدي، 2000 : 612/1)

ويبين (حومد، د:ت : 3143) أن قرة العين تعني (المسرة والفرح).

"لقد اقتحمت به يد القدرة على فرعون قلب امرأته، بعد ما اقتحمت به عليه حصنه، لقد حمته بالمحبة، ذلك الستار الرقيق الشفيف، لا بالسلاح ولا بالجاه ولا بالمال، حمته بالحب الحاني في قلب امرأة، وتحدّت به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره، وهان فرعون على الله أن يحمي منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف". (قطب، 1980 : 2679/5)

وفي مقابل هذه المحبة القوية من امرأة فرعون نجد الصورة الأخرى لكره فرعون لموسى عليه السلام حيث يوضح ذلك (حومد، د:ت : 3143/1): "فلما رآه فرعون هم بقتله خوفاً من أن يكون من بني إسرائيل، فأخذت امرأته تستعطفه، فقالت له: لا تقتله عسى أن يكون قرة عين لي ولك، وقد ينفعنا أو نتخذه ولداً ونتبناه، لأنها لم يكن لها ولد، فقال فرعون إنه قرة عين لك لا لي".

وقد أكد القرآن على ضرورة السيطرة على انفعال الحب والكره وتوجيههما إلى الطريق الصواب، مثل التحكم في حب الأهل والمال حتى يكون حب الله وطاعته هو السامي فوق أي حب آخر، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:24].

أما عن انفعال الفرح والحزن في قصة سدينا موسى عليه السلام فقد وجه الله تعالى أم موسى أن لا تحزن في موقف لا داعي فيه للحزن لأن الله هو المقدر للأمور، ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7]، وكذلك قوله تعالى: ﴿...فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ...﴾ [طه:40]، وقوله تعالى لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿...فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا...﴾ [طه:40] يوضح (قطب، 1980 : 73/5) الانفعالات البشرية في قصة موسى بقوله: "إن طبيعة موسى طبيعة انفعالية اندفاعية، كما يظهر من تصرفاته في كل أدوار حياته، منذ أن وكز الرجل المصري الذي رآه يقتتل مع الإسرائيلي فقتله من اندفاعه، ثم تاب إلى ربه مستغفراً معتذراً حتى إذا كان اليوم الثاني ورأى الإسرائيلي يقتتل مع مصري آخر، هم بالآخر مرة أخرى".

أصابه بعدها عليه السلام الهم والحزن الناتج عن الخوف والندم على القتل غير المتعمد، امتلأت نفسه عليه السلام بالغم على هذه الفعلة وهو المصنوع على عين الله منذ نشأته، وتحرج ضميره وتأثم من اندفاعه، فربُّه يذكره هنا بنعمته عليه، إذ هداه إلى الاستغفار فشرح صدره بهذا ونجاه من الغم. (قطب، 1980 : 2335/4)

وأمر الله تعالى نبيه أن لا يحزن عليهم بسبب فسقهم عندما قال الله تعالى له في سورة المائدة: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾[المائدة:26].

"لما علم الله تعالى أن عبده موسى في غاية الرحمة على الخلق، خصوصاً قومه، وأنه ربما رق لهم، واحتملته الشفقة على الحزن عليهم في هذه العقوبة، أو الدعاء لهم بزوالها مع أن الله قد حتمها، قال: ﴿...فَلَا تَأْسَ عَلَى القَوْمِ الفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:26] أي: لا تأسف عليهم ولا تحزن، فإنهم قد فسقوا، وفسقهم اقتضى وقوع ما نزل بهم لا ظلما منا". (السعدي، 2000 : 228/1)

وكذلك الفرح لابد أن يوجه ويكون للحصول على السعادة في الحياة الآخرة والطمأنينة والسرور في الدنيا كما حدث مع قارون حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى

عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالعُصْبَةِ أُولِي القُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفَرِحِينَ ۞ وَابْتَغِ فِيمَا آَتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآَخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ [القصص:76-77].

لقد تجسد انفعال الغضب والخوف في قصة موسى عليه السلام بصورة كبيرة منها ما كان في موضعه والآخر نهاه عنه ربه فمثلاً انفعال الغضب وتأثيره على السلوك وذلك في غضب سيدنا موسى عليه السلام حينما عاد إلى قومه فوجدهم يعبدون العجل الذي صنعه السامري، وكان عليه السلام شديد الغضب لله تعالى وللعقيدة وهذا هو الاتجاه الصحيح، ويصور ذلك الله في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:150-151].

"يخبر تعالى أن موسى عليه السلام، رجع إلى قومه من مناجاة ربه تعالى وهو غضبان أسف، قال أبو الدرداء: (الأسف): أشد الغضب. ﴿...قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي...﴾ يقول: بئس ما صنعتم في عبادتكم العجل بعد أن ذهبت وتركتكم". (ابن كثير، 1999 : 476/3)

"يغضب موسى عليه السلام غضبة رسول رب العالمين، لرب العالمين، يغضب لربه سبحانه ويغار على ألوهيته أن يشرك بها قومه". (قطب، 1980 : 1366/3)

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ أي: ممتلئا غضباً وغيظاً عليهم، لتمام غـيرته عليه السلام، وكمال نصحه وشفقته، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ أي: بئس الحالة التي خـلفتموني بها من بعد ذهابي عنكم، فإنها حالة تفضي إلى الهلاك الأبدي، والشقاء السرمدي". (السعدي، 2000 : 303/1)

وقد أوضح قطب: "لقد عاد موسى إلى قومه غضبان أشد الغضب، يبدو انفعال الغضب في قوله وفعله..يبدو في قوله لقومه: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ ويبدو

في فعله إذا يأخذ برأس أخيه يجره إليه ويعنفه، ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وحق لموسى عليه السلام أن يغضب فالمفاجأة قاسية". (قطب، 1980 : 1374/3)

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ أَخَذَ الأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف:154]: ولما سكت أي سكن غضبه على قومه أخذ الألواح التي ألقاها من شدة الغضب، غيرةً لله تعالى.. (ابن كثير، 1999 : 478/3)

ويبين (السعدي، 2000 : 303/1) موقف هارون من غضب موسى عليه السلام: ﴿...وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ القَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:150]، وكذلك قوله: ﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ۝ قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ [طه:92-94]، قال هنا: ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ وفي هذا ترقيق لأخيه، بذكر الأم وحدها، وإن قومك احتقروني وكادوا يقتلونني فلا تظن بي تقصيراً، فلا تشمت الأعداء بي بنهرك لي ومسّكَ إياي بسوء، فإن الأعداء حريصون على أن يجدوا عليّ عثرة أو يطلعوا إليّ على زلّة فلا تعاملني معاملتهم.

قال ﴿ابْنَ أُمَّ﴾ لتكون أرأف وأنجع عنده، عند ذلك قال موسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف:151].

وقد بيّن قطب شدة انفعال سيدنا موسى عليه السلام فقال: ﴿...وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ...﴾ وهي حركة تدل على شدة الانفعال، فهذه الألواح هي التي كانت تحمل كلمات ربه، وهو لا يلقيها إلا وقد أفقده الغضب زمام نفسه وكذلك أخْذه برأس أخيه يجره إليه، وأخوه هو هارون العبد الصالح الطيب، فأما هارون فيستجيش في نفس موسى عاطفة الأخوة الرحيمة، ليسكن من غضبه، ويكشف له عن طبيعة موقفه، وأنه لم يقصر في نصح القوم ومحاولة هدايتهم". (قطب، 1980 : 1374/3)

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ...﴾ [الأعراف:154] أي سكن غضبه، وتراجعت نفسه واشتغل بأهم الأشياء عنده فأخذ الألواح التي ألقاها.

لقد أوضح (الزعبلاوي، د.ت : 286) بأنه عند سكون الجسم بعد مدة من الانفعالات أثبتها القرآن الكريم ضمن حقائق ثابتة والتي قد اكتشفها علماء النفس حديثاً حيث ظهر لهم أهمية سكون الجسم بعد الانفعال وعودته إلى حالته الطبيعية وأن الإنسان يمكنه أن يقوم بأنماط سلوك أخرى طبيعية يبدو الغضب شديداً في كلامه عليه السلام فقال لهم: (﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ﴾ ﴿أَفَطَالَ﴾ ﴿مَا مَنَعَكَ﴾ ﴿أَفَعَصَيْتَ﴾ ﴿فَمَا خَطْبُكَ﴾) كل هذه الصيغ الاستفهامية تعلم على انعكاس هذه النفس الثائرة المشحونة بالغضب وذلك بخروجها من معانيها إلى معاني التوبيخ والتأنيب، حين التفت إلى السامري مخاطباً ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا﴾ [طه:97].

ووصلت هذه اللهجة حدتها من الهيجان ﴿وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي اليَمِّ نَسْفًا﴾ وفي هذا بيان لحرقة الغاضب لمحارم الله، أما عن فرعون فيظهر غضبه في نوع العقاب الذي حدده فرعون للسحرة ﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه:71].

أما عن الخوف فقد نهى الله تبارك وتعالى أم موسى عن الخوف في المواقف التي لا داعي له فيها لأنه سيؤيدها وينصرها وسيرجع لها ابنها عندما قال الله تعالى: ﴿...وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [القصص:7].

إن النفس المؤمنة عندما يحدث منها الخطأ أو العصيان ترتعد خوفاً من الله أولاً وهو الرعب يصوره القرآن كيف سيطر على قلب نبي الله موسى بوصفه بشراً يستجيب للمواقف الانفعالية ودليل ذلك قوله تعالى عنه حين قتل القبطي فأصبح في المدينة خائفاً يتوقع المكروه ﴿فَأَصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ...﴾ [القصص:18]، يبيّن الله تعالى سمة الخوف والقلق وهي صفة طبيعية في الإنسان، لما أحس عليه السلام بدنو الخطر قرّر الخروج من المدينة ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ المَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:20-21].

أيضاً عندما نهاه الله تعالى فقال: ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:46]، وقوله: ﴿...يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الآَمِنِينَ﴾ [القصص:31]، وقوله: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى﴾ [طه:68].

كذلك فإن انفعال الزهو والعجب والكبر تمثل في شخصية فرعون حيث كان هو النموذج الأبرز للزهو المتطرف والتكبر والتعالي الإنساني حيث قال تعالى: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى ۞ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النَّازعات:23-24]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا المَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الكَاذِبِينَ﴾ [القصص:38]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾[الزُّخرف:51].

وأما انفعال الحياء فقد ظهر في شخصية موسى عليه السلام عند سقايته للفتاتين، وجاءت إحداهن بعد ذلك تمشي على استحياء ودعته لمقابلة أبيها، قال تعالى: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ القَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص:25].

لابد في النهاية من الاستفادة من أسلوب القرآن الكريم في ضبط الانفعالات والتركيز عليها في عملية التدريس والتعليم وتحليل مواقفها، حيث بالسيطرة على الانفعالات والتخلص من السلبية منها وتربيتها ضرورة، ومطلب للحياة السوية والصحة النفسية لأي أحد من البشر وذلك لن يتأتى إلا من خلال القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:9].

إن القرآن يربي على الحياة المستقيمة، والأخلاق القويمة لما فيه من العبر والحِكم والتشريع العظيم، وكفى به أنه من الله العزيز الحكيم.

رابعاً: استحضار عاقبة المتقين والمفسدين:-

إن صراع سيدنا موسى عليه السلام كان مع أكبر جبارٍ عنيدٍ في الأرض، أنكر الألوهية وادعى لنفسه الربوبية، وبطش في الأرض وعاث فيها فساداً، ولكن كانت نهايته كما قال تعالى:

﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:137]، وهذه النهاية نهاية كل جبار عنيد وكل طاغوت يريد أن يبطش بعباد الله، ويستذل من أعز الله، ولربما تطول لطغاة البشر، ولكن الله ﷻ كما قال عن نفسه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:14].

إن الله تبارك وتعالى أعدّ موسى إعداداً عجيباً كما عرفنا مما سبق، حيث وُلد عليه السلام في ظروف صعبة وتحدى الله فرعون أيّما تحدي ﴿ ...فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾ القصص:7]، ثم يتحداه ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص:8]، ثم تمثّل الصراع الشديد مع ذلك الطاغية بعد أن فر عليه السلام إلى مدين، وبقي بضع سنين ثم رجع إلى ذلك الطاغوت وهو يحمل الرسالة ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ [القصص:29].

وجدنا في قصته عليه السلام كيف أن الإيمان يفعل فعله بالرجال، وإن الإنسان ليعجب كل العجب وهو يسمع أن السحرة الذين جمعهم فرعون من جميع أنحاء البلاد، كلهم جاء بما عنده من السحر وإنهم في اللحظة الأولى يقولون: ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء:44] وبعدها بلحظات يقولون: ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه:72].

إن الله تعالى قد استودع في النفوس البشرية، بل في كل نفوس مخلوقاته هذا الإيمان حيث قال ﷻ عن نفسه: ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:50].

إننا لنعجب كل العجب عند رؤية السحرة الذين ما عرفوا الله إلا لحظات وما عبدوه إلا في سجدة واحدة فقط، ثم يوجه إليهم هذا الإرهاب الشديد من طاغٍ قادر على تنفيذ كل ما يقوله: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:124]، وقوله تعالى:

﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:49]، استحضر السحرة هذا العقاب والمصير وقاسوه بما ينفعهم عند الله فكان تفضيل الأجر الأخروي والنعيم عن الدنيا بما فيها.

ويوضح قطب هذا المشهد بقوله: "ثم يجيء مشهد السحرة بحضرة فرعون قبل المباراة، يطمئنون على الأجر والمكافأة! إن كانوا هم الغالبين، ويتلقون من فرعون الوعد بالأجر الجزيل والقربى من عرشه الكريم، ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء:41-42]، وهكذا ينكشف الموقف عن جماعة مأجورة يستعين بها فرعون الطاغية، تبذل مهارتها في مقابل الأجر الذي تنتظره، ولا علاقة لها بعقيدة ولا صلة لها بقضية، ولا شيء سوى الأجر والمصلحة، وهؤلاء هم الذين يستخدمهم الطغاة دائماً في كل مكان وفي كل زمان، وها هم أولاء يستوثقون من الجزاء على تعبهم ولعبهم وبراعتهم في الخداع، وها هو ذا فرعون يعدهم بما هو أكثر من الأجر، يعدهم أن يكونوا من المقربين، وهو بزعمه الملك والإله". (قطب، 1980 : 2595/5)

ويستطرد قائلاً: إن لنا أن نقدر ذعر فرعون لهذه المفاجأة، وذعر الملأ من حوله، إذا نحن تصورنا هذه الحقيقة، وهي إيمان السحرة الكهنة، هذا الإيمان الصريح الواضح القاهر الذي لا يملكون معه إلا أن يلقوا سجداً معترفين منيبين، عندئذ جن جنون فرعون، فلجأ إلى التهديد البغيض بالعذاب والنكال، بعد أن حاول أن يتهم السحرة بالتآمر عليه وعلى الشعب مع موسى، ﴿قَالَ آَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء:49]، ثم جعل يهدد بالعذاب الغليظ بعد التهويل، إنها الحماقة التي يرتكبها كل طاغية، حينما يحس بالخطر على عرشه أو شخصه، يرتكبها في عنف وغلظة وبشاعة، بلا تحرج من قلب أو ضمير، وإنها لكلمة فرعون الطاغية المتجبر الذي يملك تنفيذ ما يقول، فما تكون كلمة الفئة المؤمنة التي رأت النور". (قطب، 1980 : 2597/5)

إن المؤمن إذا استحضر العواقب في ذهنه وقلبه، بعد وصوله إلى قمة الإيمان بخالقه تكون غايته الوحيدة نيل رضا الله ليس إلا، فلذلك يجعله يستهين في سبيل بلوغ هذه الغاية بكل صعب، ويستعذب كل عذاب، ويسترخص كل تضحية، بل يقدمها راضياً مستبشراً، فهذا خُبيب بن زيد قد صلبه المشركون، وأحاطوا به وهم شامتون يحسبون أنه ستنهار أعصابه، أو

تضطرب نفسه، ولكنه نظر إليهم بسخرية بقلب ثابت لا يلين، وها هم المسلمون في معركة الأحزاب، ابتلوا وزلزلوا زلزالاً شديداً إذ احتشدت لهم جميع قوى الشر، فما الذي وهبهم الطمأنينة والثبات". (القرضاوي، 1990 : 108)

إنه استحضارهم للعاقبة بأن مردهم لله تعالى سيجزيهم بما صبروا خير الجزاء والثواب وسيدخلهم جنات عرضها عرض السموات والأرض ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدُّنْيَا ۞ إِنَّا آَمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۞ إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا ۞ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ العُلَا ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ [طه:72-76].

أما عن استحضار عاقبة أطغى طاغية على وجه الأرض فيوضحها القرآن الكريم، حيث بعد أن أوشك فرعون وجيشه أن يدركوا موسى وقومه جاء نصر الله وانشق البحر، وتحول إلى طريق يابس ودخل موسى وقومه فأوحى الله إلى موسى ﴿وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ﴾ [الدُخان:24] فقرب فرعون وقومه إلى ساحل البحر لكي يتحقق وعد الله ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآَخَرِينَ﴾ [الشعراء:64] أي قرّبناهم من البحر ليروا العذاب.

إن الطاغية لم يأخذ العبرة والعظة من شكل البحر، إذ يعلم أن هذا البحر لا يوجد فيه مثل هذا الطريق، فأخذته العزة بالإثم، واقتحم بجنوده ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ اليَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۞ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾ [طه:78-79].

ويبين الرازي سبب اقتحام فرعون بجنوده الطريق فيقول: إنه أمَر مقدمة عسكره بالدخول فدخلوا وما غرقوا فغلب على ظنه السلامة فلما دخل الكل أغرقهم الله تعالى". (الرازي، د:ت : 94/22)

قال الله تعالى: ﴿آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۞ فَاليَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ [يونس:91-92]، وقوله: ﴿إِنَّ فِي

ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء:67]، وقوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[الزُّخرف:56] ، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ [النَّازعات:26].

كل ما سبق يدل على أنه لابد من استحضار عاقبة الطغاة فقد جعلهم الله آية وعبرة وعظة لكل من بعدهم وهذا دليله قول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿...لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً...﴾ [يونس:92] "لمن بعدك من الناس عبرة يعتبرون بك، فينزجرون عن معصية الله، والكفر به والسعي في أرضه بالفساد".

إن الأسباب التي أدت بهم على هذه العاقبة تصورها الآيات كما يلي:-

1- تكذيبهم بآيات الله وكفرهم بها:-

﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي اليَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾[الأعراف:136] "أي: كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها". (الزمخشري، 1385هـ : 109/2)، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللهُ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [آل عمران:11]، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللهِ فَأَخَذَهُمُ اللهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ العِقَابِ﴾ [الأنفال:52]، وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ آَلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آَلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [الأنفال:54].

2- عدم إيمانهم بالله تعالى وجحودهم:-

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الآَخَرِينَ ۞ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:66-67]، وقوله تعالى: ﴿...فَآَمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ...﴾ [الصَّف:14] حيث أصّر فرعون وقومه على الكفر والجحود والشرك فاستحقوا عاقبة العذاب.

3- استكبارهم وكفرهم بالبعث:-

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي اليَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۞ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ القِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً

وَيَوْمَ القِيَامَةِ هُمْ مِنَ المَقْبُوحِينَ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا القُرُونَ الأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:39-42]، وما سبق عاقبتهم في الدنيا أما في الآخرة فيقول تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾[غافر:45-46].

إن مصير آل فرعون إلى عذاب الخلود في جهنم وذلك قوله تعالى: ﴿...فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۞ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ﴾[هود:97-98].

ثم إن فرعون إذا ما تقدم بقومه وقرب من جهنم فإنه يأتي أمر الله بإدخالهم إياها وذلك قوله: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ﴾[غافر:46].

وفي مقابل الصورة السابقة كانت الصورة الأخرى وهي عاقبة المتقين الذين صبروا، حيث إن الله تعالى مكنهم في الأرض بعد إغراقه فرعون وجنده، بعد صبرهم على أذى فرعون وبعد إيمانهم بموسى عليه السلام، وبعد أن نجاهم الله منهم جاءهم وعد الله بالتمكين في الأرض حيث قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ۞ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾[القصص:6].

﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾: "بأن نزيل عنهم مواد الاستضعاف ونهلك من قاومهم، ونخذل من ناوأهم، ﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾، في الدين، وذلك لا يحصل مع استضعاف بل لابد من التمكين في الأرض، وقدرة تامة، ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ﴾ للأرض، الذين لهم العاقبة في الدنيا والآخرة". (السعدي، 2000 : 611/1)

إن الله تــعالى مكّن بني إسرائيل في أرض مصر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:57-59]، وقال: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ۝ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدُخان:25-28].

أيضاً مكنهم الله تعالى في أرض الشام، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:137]، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص:5]، فقد ورد في سورة الإسراء ذكر تمكين الله لبني إسرائيل في أرض الشام ومصر عقب هلاك فرعون وجيشه ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء:104].

ولقد وقع هذا التمكين حقيقة لبني إسرائيل كما أراد الله حيث أشار القرآن: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس:93].

"والمبوأ: مكان الإقامة الأمين، وإضافته إلى الصدق تزيده أماناً وثباتاً واستقراراً كثبات الصدق الذي لا يضطرب، ولا يتزعزع، اضطراب الكذب وتزعزع الافتراء، ولقد طاب المقام فترة لبني إسرائيل بعد تجارب طويلة". (قطب، 1980 : 1819/3)

أنزلهم الله منزلاً صالحاً مباركاً، ورزقهم من حلال الرزق وهكذا تحقق وعد الله لبني إسرائيل بالتمكين في الأرض، وكذلك تحقق أمل موسى ورجاؤه إذ قال لقومه كما ذكر القرآن: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128].

وقال أيضاً: ﴿قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:129].



﴿إِنَّ الأَرْضَ للهِ﴾ ليست لفرعون ولا لقومه حتى يتحكموا فيها، ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي يداولها بين الناس على حسب مشيئته وحكمه، ولكن العاقبة للمتقين، فإنهم وإن امتحنوا مدة ابتلاء من الله وحكمة، فإن النصر لهم، ﴿وَالعَاقِبَةُ﴾ الحميدة لهم على قومهم".(السعدي، 2000 : 300/1)

ويتضح مما سبق ما لثمار التربوية التالية :-

1- إن الإيمان وإن ضعُفَ في القلوب في بعض الأحيان، فإنه لا يلبث أن يقوى في قلوب المؤمنين إذا جاء موعده وكيف أن المؤمنين حين يستحضرون العاقبة في الدنيا والآخرة.

إن العبرة في حسن الخاتمة، حيث قال رسول الله ﷺ: [...**فَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ**...]. (البخاري، 1422هـ : 133/4، ح 3332)، ولذلك لابد من سؤال الله حسن الخاتمة والثبات، وقد كان النبي ﷺ دائماً يدعو بهذا الدعاء، حيث جاء في الحديث: [**عَنْ أَنَسٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا، قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**].(الترمذي، ب:ت 448/4، ح 2140)

2- أن الفرج قريب من المصلحين والصابرين والمحسنين حيث يقول تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:137]، حيث أن صبر المؤمنين على مصارعة أعداء الله مقدمة لتمكينهم ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء:105] وهذا القسم ممكن أن يتأخر زيادة في الابتلاء وفي النهاية لابد أن يتحقق بأن يورث المستضعفين ويؤخذ بالمتجبرين ﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، فالصبر طريق الخير ﴿...وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾، انتهت دولة الكافر الذي

كان يقول: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص:38].

انتهت هذه المرحلة وأورث الله الأرض بني إسرائيل ولكن بعدما دفعوا الثمن، لأن التغيير لا يأتي بالدعاء والتضرع فحسب ولو كان بصدق لأن الله تعالى قال: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ۝ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ۝ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ۝ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ﴾ [الأنبياء:11-15].

إذن لابد من العمل والإصلاح، فالأمة ليست مطالبة بالتحسر وإنما هي مطالبة بالإصلاح لذلك أخبر الله عن قصة موسى أن بني إسرائيل كانوا يتضرعون لله ﷻ ﴿فَقَالُوا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[يونس:85-86] لكن هذا ليس فيه تضحية في سبيل الله، فما نفعهم ذلك لأنهم لم يغيروا فسلّط الله عليهم الذلة، وبقوا فيها مدة طويلة إلى أن أرشدهم الله أن الدعاء لن يقبل إلا بالتغيير والعمل ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:87] حيث جعلوا بيوتهم مساجدَ وغيّروا وأصلحوا ثم بدأوا بعدها بالدعاء ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾[يونس:88] فالنتيجة ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:89] أجيبت بعد الإصلاح والتغيير في الواقع.

الفصـل السـابـع

التـطبيقات التـربـوية

أولاً: الصفات الإيمانية

ثانياً: الصفات الأخلاقية

ثالثاً: الصفات الاجتماعية

رابعاً: الصــفات النــفسية

انتهت الباحثة من خلال الفصول السابقة إلى مجموعة من الأبعاد التربوية في قصة موسى عليه السلام وهذه الأبعاد في المجالات الآتية:

1- الأبعاد الإيمانية.
2- الأبعاد الأخلاقية.
3- الأبعاد الاجتماعية.
4- الأبعاد النفسية.

وإن هذه الأبعاد يمكن أن نشتق منها مجموعة من الصفات والخصائص التي يمكن أن تسهم في الإعداد الأمثل للمعلم المعاصر، لأن المعلم يلعب دوراً مهمًّا وبارزاً في بناء الحضارات، إذ يتفاعل معه المتعلم، ويكتسب عن طريق هذا التفاعل الخبرات والمعارف والاتجاهات والقيم.

فالمعلم مرب في المقام الأول، والتعليم جزء من عملية التربية، وقد أشار القرآن الكريم إلى دور المعلمين من الأنبياء وأتباعهم في كثير من الآيات القرآنية، مبيناً أن من أهم وظائف سيدنا محمد ﷺ تعليم الناس وتزكيتهم وتطهير نفوسهم فقال: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [البقرة:129] وقد بلغ من شرف مهنة التعليم أن جعلها الله من جملة الأعمال التي كلف بها رسوله ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آَيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران:164] إن من أسباب نجاح المعلم في عمله وفي تأدية أدواره في المجتمع الإسلامي شخصيته الإسلامية المتميزة، فالمعلم ليس مجرد ملقن للمعلومات، لكن المعلم هو من يساعد طلابه على اكتساب المعارف والمهارات، كما يهتم بصحتهم وبتوافقهم الشخصي والاجتماعي وبتحقيق آمالهم وطموحاتهم.

لذلك كان للعالم المسلم (بدر الدين بن جماعة) رأيه السديد في أن المعلم هو العامل الأساسي في نجاح العملية التعليمية، وأنه من أهم عناصر التعليم، حيث يرى أن التعليم لا يتحقق بغير المعلم، وأن عناصر التعليم تفقد أهميتها بدون المعلم الفاعل حيث: قيل لأبي حنيفة رحمه الله: في المسجد حلقة ينظرون في الفقه، فقال: ألهم رأس؟ قالوا: لا، قال: لا يفقه هؤلاء أبداً.

لذلك كان لابد من الاهتمام في إعداد المعلم وعلاقته بالتغيرات ومدى تأثير ذلك على تنمية عقول المتعلمين وخلقهم ومهاراتهم، وإكسابهم الآداب المختلفة.

إن التربية الإسلامية ترتكز على قيم أخلاقية، وأسس عقائدية نفسية اجتماعية علمية صحيحة، كلها تتحد مع بعضها، وتشترك جميعاً لتقديم تربية مثمرة في تنشئة الجيل الذي يحقق التطلعات المنشودة.

وإن المجتمع الإسلامي اليوم في أشد الحاجة إلى التربية، كأساس لعملية التغيير الاجتماعي باعتبار أن الإنسان الفاقد للروح المغيرة، والقيم الفعالة، ولإرادة التغيير، تتبع مشكلته من داخل نفسه التي تحتاج إلى إعادة في التشكيل، وتقوية للإرادة، وتوظيف للقيم وبث لروح التغيير، وما مشكلة المجتمع الإسلامي اليوم إلا مشكلة تربوية بالدرجة الأولى، تتعلق بالفرد الذي يحتاج إلى إعادة الروح والدفع السلوكي الفعال الذي يهيئه للإصلاح وإحداث التغيير.(القريشي، 1989 : 12)

وإن من أهم العناصر القادرة على التأثير تكمن في شخصية المعلم ودوره القيادي والتوجيهي في العملية التربوية، لذلك لابد من الاهتمام بحسن أسس اختيار المعلم، وحسن إعداده على أساس عدة خصائص وصفات يمكن استنباطها من قصة موسى عليه السلام وهي:

1- الصفات الإيمانية.
2- الصفات الأخلاقية.
3- الصفات الاجتماعية.
4- الصفات النفسية.

أولاً: الصفات الإيمانية:

إن المعلم المسلم لابد أن تكون علاقته في بداية الأمر مع ربه فيكون أساس التعامل عنده الإيمان الصادق والامتثال لأوامر الله تعالى، وهذا لا يكون إلا من منبع التقوى وحبه لله وخشيته والخوف من عذابه والرجاء بنعيمه والتوكل عليه.

وإن ربط التعلم بالدين أمر يجب امتثاله ابتغاء مرضاة الله بغض النظر عما يترتب على ذلك من فوائد دنيوية.

ومن الصفات الإيمانية كما مر معنا في قصة سيدنا موسى عليه السلام:

سلامة التوحيد والتوكل على الله وشكره سبحانه والصبر على ابتلائه، حيث إن من واجبات المعلم وكل فرد نحو ربه وخالقه أن يؤمن به حق الإيمان وأصدقه، وأن يؤمن برسله وأنبيائه وكتبه وملائكته، وقضائه وقدره وباليوم الآخر خيره وشره، وأن يدعم هذا الإيمان بالعمل الصالح، مع مراقبه الله في السر والعلن.

وإذا ما كانت صفة الإيمان ضرورية لكل مسلم فإنها أشد ضرورة للمعلم المسلم.

وإن المعلم إن تـوكل علـى الله حق توكله، وتـوجه إليه سـبحانه بالدعاء والـرجـاء، يطمئن إلـيه ويوقن بنصره له، ويصبر على ما نزل به من بلاء وهذا كله لا يأتي إلا بإخلاص النية في كـل أعماله، وأن يـتواضع ويشكره في السراء والضراء ويعمل بمقتضى ما علمه. (الشيباني، 1399هـ: 216)

والدليل على ما سبق قوله تعالى: ﴿ ...فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:110].

ولقد أكد المسلمون الأوائل على أهمية أخذ العلم من العلماء وليس عن الكتب وحدها حيث يوضح (الزرنوجي، 1367هـ : 12) بأنه عند اختيار الطالب لأستاذه أن يختاره الأعلم والأورع والأسنّ، كما ينصح بالمشاورة في هذه الأمر والتدقيق فيه والتفكير به وعدم التسرع حتى لا يحتاج إلى تركه والإعراض عنه مما قد يعرقل عملية تعلمه.

وللأهـمية الكبرى التي يعطيها الإسلام ومفكروه للمعلم، حظى المعلم وصفاته وآدابه وشـروطه باهـتمام مـن المـفكرين المسـلمين، لا يـقل عـن اهـتمامهم بـغيره من الأمراء والخلفاء وذلك لأنـه فـي نظرهم: "صـنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء". (الآجري: 1349هـ : 9) لذلك لابد أن يحفظ آدابه ووظائفه. (الغزالي، 1403هـ:158)

ومن أهم الصفات الإيمانية اللازمة للمعلم المسلم:

1. الإيمان وتقوى الله وخشيته:

لـم يـهمل الإسلام اشتراط الإيمان وخشية الله تعالى للمعلم، بل جعلهما شرطاً أساسياً، فالعالم عند ابـن تيمية هـو من يـخش الله ويـوقره ويـتبع أوامـره ويـجتنب نـواهيه ويـقف عند حـدوده ويـصدع مـا يـؤمر، فـكل من خشي الله وأطاعه وترك معصيته فهو عالم. (ابن تيمية، ب:ت : 63)

إن تقوى الله وخشيته والإيمان به لها آثار عظيمة في وقاية المسلم من الوقوع في المعاصي والانجرار وراء أهوائه وشهواته، فهي بمثابة حصن له ووقاية من الانكباب على المحرمات والشهوات.

"ولولا خشية الله تعالى لاسترسل الإنسان في شروره وانكب على شهواته غير مقيم لمصلحة الغير أي اعتبار". (طبارة، د:ت : 183)

وإذا ما تم الإعداد الإيماني على تلك الصفات من سلامة توحيد المعلم وسلامة عقيدته وبالتالي تقوى الله وخشيته في كل الأمور فإن المعلم سيصبح ذا نفسية ومعنوية عالية يتخطى من خلالها كل الصعاب، ذا روح لا تكل ولا تمل ولا تلين حتى يحقق الغاية وينشر الدين والعلم.

والله ﷻ يقول: ﴿...وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى...﴾ [البقرة:197] وكذلك قوله تعالى في سورة الطلاق آية 2: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطَّلاق:2] وآية 4: ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطَّلاق:4].

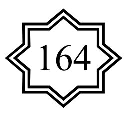
إن المجتمع ليتوقع من المعلم أن يساعد على غرس عقيدة التوحيد في نفوس التلاميذ وعلى إرساء قواعد الإيمان الصحيح بين أفراد المجتمع وتعزيز تقوى الله وخشيته في نفوس طلابه وهذا ما كان يحرص عليه سيدنا موسى عليه السلام وقد تحدثنا به سابقاً بأنه عليه السلام حرص في بداية الأمر على غرس عقيدة التوحيد والإيمان والتقوى في نفوس أبناء قومه فكانت أول كلمة نطق بها: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:104] نافياً بذلك ربوبية فرعون حيث عندما سأله فرعون عن ربه أجاب: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ [الشعراء:24]، وأيضاً قوله: ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آَبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:26].

وقد أشرنا فيما سبق أن كل خلل في معرفة الله وتقواه وخشيته تبعه خلل عند الأفراد والجماعة في سلوكها وهدايتها، حيث إن صلاح البشر في شتى الأمور مرده إلى صلاح الإيمان والتقوى في النفوس.

1. التوكل على الله في كل الأمور:

حيث إن التوكل على الله يولد في النفس الراحة والطمأنينة حيث "إن الانهزامية النفسية واليأس داء عضال لا يتسلط على إنسان إلا وأودى به، ولا على الأمة إلا ساقها إلى الفناء".(يوسف، 1997 : 200)

وتوكل المعلم على الله يعني التفويض والاستسلام لأمر الله، والله تبارك وتعالى لا يضيع من يفوض أمره إليه.



وللتوكل أثر كبير في تقوية العزيمة وشحذ الهمة لتقديم أفضل ما يتوقع من المعلم في عملية التعليم، ولذلك لابد أن يقوم المعلم على غرس هذه الصفة في طلابه كما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام عندما أمر قومه بالتوكل على الله فقال: ﴿....وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[المائدة:23]، وقوله: ﴿...يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾[يونس:84].

1- الصدق والإخلاص لله عز وجل:

إن المعلم عندما يقوم بالعملية التعليمية لابد أن يكون عمله لوجه الله تعالى، طاعة وتقرباً لله، كما يستلزم الإخلاص أن يبذل المعلم قصارى جهده في الإحاطة بمختلف الجوانب التربوية والتعليمية التي تجعل منه معلماً ناجحاً، متصفاً بالإخلاص في السر والعلن إن أول ما على المعلم أن يحرص عليه "بأقواله وأحواله المتكررات على الإخلاص والصدق وحسن الثبات ومراقبة الله تعالى في جميع اللحظات وأن يكون دائماً على ذلك حتى الممات". (النووي، د:ت:28/1)

وقد بين (الماوردي، د:ت : 92): أن على المعلم "أن يكون صادق النية في العلم حيث إن العلم عوض من كل لذة ومغنٍ عن كل شهوة". حيث يقول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ...﴾ [البيِّنة:5] فلا يقبل عمل إلا بإخلاص، وإذا فقد ذلك وقع الإنسان في الشرك، ولأن التعليم من أهم الأعمال الصالحة لذلك ينبغي مجاهدة النفس على الإخلاص والصدق.

وقد قسم الغزالي العلماء من حيث الصدق والإخلاص في العلم إلى ثلاثة أقسام:

1- مهلك نفسه وغيره: وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها.
2- مسعد نفسه وغيره: وهم الداعون الخلق إلى الله سبحانه ظاهراً وباطناً.
3- مهلك نفسه ومسعد غيره: وهو الذي يدعو إلى الآخرة وقد رفض الدنيا في ظاهره ومقصده في الباطن قبول الخلق وإمامة الجاه". (الغزالي، 1403هـ : 137)

إن سيدنا موسى عليه السلام كان مخلصاً فهو قدوة لكل معلم في ذلك حيث قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ [مريم:51] واجه عليه السلام أعتى قوة في العالم وبرغم ذلك التزم الصدق، ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ ۝

حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[الأعراف:104-105] لذلك على المعلم أن يحرص على هاتين الصفتين لأنهما من أهم الصفات التي لابد من التحلي فيها وهناك من الأدلة الكثيرة ومنها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:119].

ثانياً: الصفات الأخلاقية:

إن الصفات الأخلاقية هي التي تميز المعلم عن غيره، وهي التي تمكنه من التأثير الفاعل على الآخرين وذلك بالاندماج الكامل معهم سواء كان ذلك بوجوده الفعلي أو الوجداني أو العقلاني، وإنه من الضروري جداً في المعلم أن يضع أثره وبصماته على شخصية متعلمه.

إن الفهم الحقيقي للصفات المطلوبة لهذا المعلم تجعل منه بلا شك شخصاً تنفيذياً رائعاً قادراً على القيادة، ومن هنا لابد من الوقوف على الصفات الأخلاقية، مع العلم أنها لا تولد مع المرء، بل إنه يصنعها بنفسه ثم يتحلى بها بشكل دائم ومستمر ثم يقوم بغرسها في تلاميذه.

والمتعلم كما يراه الغزالي أشبه ما يكون بالأرض الصالحة لنمو النباتات النافعة والضارة على حد سواء، وبدون تعهد النباتات النافعة واستخراج النباتات الضارة منها لا يمكن أن تعطي النباتات النافعة ثماراً طيبة، ولذلك فهي بحاجة إلى فلاح ماهر يتعهدها ويلقي فيها البذور النافعة، ويوفر لها جميع شروط الاستنبات الصحيحة ثم يعمل باستمرار على تنقيتها من كل نبات ضار، وكذلك الطفل فإن قابليته للانحراف والشذوذ تعادل قابليته للاعتدال والاستقامة، وذلك بحسب التوجيه الذي يتلقاه في بيئته ولذلك فهو بحاجة إلى مرب ماهر ليأخذ بيده ويرشده للسير في الطريق السوي عن طريق تعويده الخلق الحسن منذ بداية حياته.

ويقول الغزالي: "ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الأجنبية من بين الزرع ليحسن نباته، ويكمل ريعه، ولابد للسالك من شيخ يؤدبه، ويرشده إلى سبيل الله". (الغزالي، د:ت : 134)

ومن الصفات الأخلاقية التي وردت في قصة موسى عليه السلام ويحسن بالمعلم تمثلها:

1- التواضع:

إن التواضع صفة مهمة تنبع من الإيمان لذلك لابد أن يكون المعلم متذللاً متواضعاً لله تعالى، فلا يصيبه الكبر، ولا يستبد به العجب لما أوتي من العلم، فإن من تواضع لله رفعه، ومتى تواضع المعلم وقف عند حده وأنصف غيره، ولم يتطاول على الناس بالباطل.

وترى الباحثة بأن الإيمان وسلامة التوحيد والتوكل على الله وتواضع المعلم لابد وأن ينعكس هذه الإيمان العميق بقصد أو بغير قصد على سلوكيات المعلم التي يقتدي بها طلابه ويعملون على تقليدها، فعقيدة المسلم توجهه ليقوم بمهامه في ضوء تلك العقيدة من جهة ويعمل على غرسها في نفوس الطلاب من جهة أخرى.

أيضاً الرغبة في الدعوة إلى ما يؤمن به ونشره بين الناس، وهذه الرغبة الصادقة والجارفة تدفع المعلم إلى صبغ أدائه التربوي والتعليمي، وسلوكه العام بصبغة العقيدة التي يؤمن بها، كما أن هذه الرغبة الصادقة تسهل على المعلم تحمل المشاق والمتاعب المهنية المختلفة مما يدل على إيمانه بسمو هدفه وتعالي عقيدته.

2- الأمانة:

إن المعلم لابد أن يتحلى بهذه الصفة في معاملته مع الناس، وفيما يوجه إليه، وفيما يوكل إليه من أمر أو مسؤولية، وفي كل ما يكلف بحفظه والقيام به، والأمانة ترمز إلى معان عدة مناطها جميعاً المحافظة على حقوق الله وحقوق العباد، ووضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق به، وفوق ذلك شعور المرء في كل أمر يوكل إليه وإدراكه الجازم بأنه مسئول عنه أمام ربه، فنجد أن الأمانة بمعناها الواسع الشامل فضيلة عظيمة لا يستطيع حملها إلا أقوياء النفوس العامرة قلوبهم بالإيمان، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[الأحزاب:72]". (الشيباني، 1399هـ : 134)

وقد كان من صفات سيدنا موسى عليه السلام الأمانة وقد أشرنا في الفصول السابقة إلى ذلك عندما قالت عنه بنت الشيخ: ﴿**قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ القَوِيُّ الأَمِينُ**﴾ [القصص:26] وكذلك: (﴿**أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ**﴾ [الدُخان:18].

3- الصبر والحلم:

إن الصبر يعني "حبس النفس عن الجزع والتسخط وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"، وتجرع المرارة من غير تعبس، والوقوف مع البلاء بحسن الأدب، وإن تحلَّى المعلم بالصبر ليعطيه قدرة على تحمل المشاق البدنية والنفسية والعقلية والاجتماعية التي يجرها عادة عمل التعليم، ويمنحه جلداً على معايشة المشاكل والثقة بالنفس وقوة الإرادة، واطمئنان القلب، وراحة البال، فنجده قوياً بإيمانه بربه وبصبره. (الشيباني، 1399هـ : 139)

ويؤكد (الآجري، 1349هـ : 35) على المعلم أن يكون: "صبوراً على من كان ذهنه بطيئاً عن الفهم حتى يفهم عنه، صبوراً على جفاء من جهل عليه حتى يرده بحلم، يؤدب جلساءه بأحسن ما يكون من الأدب ولا يدعهم يخوضون فيما لا يعنيهم ويأمرهم بالإنصات مع الاستماع إلى ما ينطق به من العلم...ولا يعنف السائل بالتوبيخ القبيح فيخجله ولا يزجره فيضع من قدره".

ويبين الغزالي أن المعلم من صفاته (التأني بالمتعجرف وإصلاح المسألة للبليد".(الغزالي، 1400هـ : 16)

وقد بينا فيما سبق أن سيدنا موسى عليه السلام كان دائماً يدعو قومه إلى هذه الصفة ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ للهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:128].

وكذلك وجدنا صبر السحرة وتحملهم للعذاب ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:126].

أما عن الحلم فقد كانت بداية الدعوة إلى فرعون بالقول اللين عندما أمر الله تعالى رسوله بالذهاب إلى فرعون فقال: ﴿اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ۞ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:43-44] ومواجهته عليه السلام من بداية الأمر لتعنت وفسق قومه برغم ذلك تجسد حلمه في كل خطوة خطاها عليه السلام.

إن خلاصة الصفات الأخلاقية والسلوكية يمكن أن تجتمع في ضرورة أن يكون المعلم قدوة حسنة في قوله وعمله، وسره وعلنه، وأمره ونهيه، وجميع شأنه لأن القدوة الحسنة هي جميع الصفات الأخلاقية والسلوكية اللازمة للمعلم، وخير ما ينبغي أن يتجلى به من سمات وصفات، ولأن طلابه يعدونه المثل الأعلى لهم فهم يقلدونه ويتأثرون به في كل صغيرة وكبيرة من حيث لا يشعرون، فكان واجباً أن يكون قدوة حسنة في إخلاصه وصدقه وأمانته وصبره وحلمه، وإن الأخلاق تشكل محوراً أساسياً من ديننا، فليست الأخلاق أمراً كمالياً يجمل به الإنسان شخصيته، بل هي مكون من مكونات الإيمان الذي هو شرط لرضا الله وبالتالي دخول الجنة، فالأخلاق تصلح نفس المعلم، وتقوّم اعوجاجه وتخلقه بأخلاق الإخلاص والصدق والأمانة والصبر، والتي بدورها تنعكس على المتعلم بصورة أكيدة ومباشرة.

ثالثاً: الصفات الاجتماعية:-

إن من أهم الأسباب التي تجعل بيئة التعلم بيئة ثرية تشجع على إقبال التلاميذ على التعلم هو ذلك الجو الاجتماعي الصالح بإقامة أفضل علاقات طيبة ما بين المعلم والتلاميذ، فالمعلم العصري يتميز بأنه اجتماعي بطبعه، ينشر روح الود والعطف والحنان والتسامح والتعاون مع تلاميذه، ويجد منه هؤلاء التلاميذ كل دفء وتشجيع واحترام، حيث يبيح لهم حرية التعبير وتبادل الآراء والتعزيز الإيجابي اللازم، لأخذ زمام المبادرة وطرح كل ما له صلة بتعلمهم للمناقشة والحوار يقنعون ويقتنعون فلا حدود تحاصر أذهانهم ولا قيود على أفكارهم لذلك من أهم الصفات الاجتماعية التي لابد أن يحرص المعلم المسلم على الالتزام بها:-

1- التعاون وتحقيق العدالة بين الطلاب ومساعدة الطلبة ومراعاة ظروفهم:-

على المعلم أن يعامل طلابه بمحبة وعطف وحنان، يحترم شخصية الطلبة ويحترم قرارات الجماعة، ولديه علاقة إيجابية مع العاملين في المدرسة وأعضاء المجتمع المحلي، ويسعى لتوطيد العلاقة بين المدرسة والبيئة المحلية، ويساهم في إحداث التغيير الاجتماعي وتطوير المجتمع. (شتات، 1999 : 43)

ويرى ابن جماعة أنه لابد أن يتميز المعلم الجيد بالبعد عن الهوى في معاملة التلاميذ، ودعا إلى أن يحكم العدل سلوك المعلم في تعامله مع تلاميذه، وكره له صفة التحيز ومحاباة البعض على حساب الآخرين لما يسببه ذلك في قلوب التلاميذ من نفور ووحشة وكراهية للمعلم وللتعليم في جملته.

ولقد تجسد التعاون والعدل في حياة سيدنا موسى عليه السلام فبداية من تعاون أخته مع أمها ﴿ **إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ...** ﴾ [طه:40]، وكذلك معاونته للفتاتين ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ [القصص:23]، أيضاً طلبه عليه السلام من ربه أن يعينه بأخيه ﴿ **وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ۞ هَارُونَ أَخِي** ﴾[طه:29-30].

إن التلاميذ عادة يحبون ويتأثرون بمن يعطف عليهم ويتجلى بصفة الرحمة وما يرتبط بها من صفات اجتماعية أخرى، كالشفقة والمحبة والإيثار، لأن المعلم على قدر اتصافه بهذه الصفات تكون إنسانيته وأهليته، لن يكون قدوة صالحة بين تلاميذه وغيرهم. والمعلم في رحمته

وتعاونه ينفذ أوامر ووصايا ربه التي تحثه على الرحمة والتعاون ويرتبط بصفة الرحمة والتعاون، كذلك الإيثار حيث يرتبط بالسخاء والجود وهما أعلى مراتبه لأن المراتب كما يقول ابن القيم ثلاثٌ هي:-

1- أن لا ينقص البذل ولا يصعب عليه، فهو منزلة السخاء.

2- أن يعطي الأكثر ويبقي له شيئاً، أو يبقي مثل ما أعطى، فهو الجود.

3- أن يؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه، وهو مرتبة الإيثار، وعكسها الأثرة. (ابن القيم، ب:ت : 310/2)

إذن لابد أن يحقق المعلم التعاون والعدل مع كل فرد في المدرسة لتحقيق الأهداف التربوية المنشودة في تربية الأجيال الصاعدة.

رابعاً: الصفات النفسية:-

كما أكدت التربية الإسلامية على تحلي المعلم بتلك الصفات الإيمانية والخلقية والاجتماعية فإنها أكدت أيضاً على ضرورة تحليه بالعديد من الصفات النفسية أو الانفعالية المرغوبة التي من شأنها أن تجعل منه الشخصية المستقرة الثابتة المتفائلة المطمئنة، الواثقة من نفسها، اللطيفة في معشرها، المتكيفة مع نفسها. (الشيباني، 1399 : 180)

ومن هذه الصفات كما وردت في قصة سيدنا موسى عليه السلام:-

1- الطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف:

إن المعلم يحتاج إلى الاستقرار النفسي والثبات والخلو من التوترات النفسية والتحلي بروح التفاؤل والطمأنينة بذكر الله، وكل ذلك يأتي بعد تحليه بالصفات الإيمانية ونجد ذلك في كتاب الله تعالى: ﴿...**وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾[يوسف:87]، وقوله: ﴿**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾[يونس:62].

وقد بيّن (الشيباني، 1399هـ : 182): "بالنسبة للمعلم بالذات فإنه لابد له أن يُحسَّ بكرامته ويحترم نفسه ويثق بها، لا يجزع أو يضطرب إذا فشل في أمر من الأمور، بل يعمل عمله بهدوء وحزم ويقابل الفشل بالابتسام ويعيد الكرة وهو صابر مطمئن، تملؤه الثقة بربه وبنفسه وبعمله وبقدرته على التغلب على العقبات من غير غرور".

2- الاتزان الانفعالي والتخلص من الانفعالات السلبية:-

إن الإنسان السوي العاقل هو الذي يحتفظ بتحكم انفعالي متميز، فهو لا يدع فرصة للغضب أن يتملكه، ولا يعطي أحكاماً سريعة للمواقف المختلفة بل هو أمام هذه المواقف هادئ في الحكم عليها ولا يصدر حكمه إلا بعد أن يتفحص جيداً متغيرات كل المواقف، فالاتزان الانفعالي صفة هامة في الإنسان الواعي الناضج، وقد حدد (الماوردي، ب:ت : 93) آداب المعلمين في تعاملهم بقوله: "ومن آدابهم نصح من علموهم والرفق بهم وتسهيل السبيل عليهم، وبذل المجهود في رفدهم ومعونتهم، ومن آدابهم ألا يمنعوا طالباً ولا ينفروا راغباً ولا يؤيسوا متعلماً لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم والزهد فيما لديهم واستمرار ذلك مفضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم، ومن آدابهم أن لا يعنفوا متعلماً ولا يحقروا ناشئاً ولا يستصغروا مبتدئاً فإن ذلك أدعى إليهم وأعطف عليهم وأحدث على الرغبة فيما لديهم.

وقد وضَّح (الشيباني، 1399هــ : 103) أنه لابد من النضج الانفعالي على أكمل وجه في الشخصية القيادية وبين أن من علامات النضج الانفعالي والقدرة على ضبط النفس في المواقف التي تثير الانفعال، والبعد عن التهور والاندفاع والتعبير عن الانفعالات بصورة متزنة هادئة، والاستجابة المناسبة في الموقف المناسب بالكم والكيف اللازمين، بحيث يتمشى انفعاله مع الظروف الاجتماعية المحيطة ويتناسب مع الموقف، كما أن من علامات النضج الانفعالي الثقة بالنفس والتفاؤل في الحياة".

وكذلك بين أنه لابد أيضاً للمعلم المسلم بالذات الذي يهمنا أمر شخصيته وصفاته والمفروض فيه أن يكون مؤهلاً أكثر من غيره للقيادة الفكرية والاجتماعية في مجتمعه وللتأثير المرغوب فيمن حوله، لأنه يمتلك بجانب المقومات البدنية والنفسية والمزاجية والعقلية التي يشارك فيها بقية البشر قوة الإيمان والتمسك بتعاليم الدين وحسن الخلق وما يتبع هذه الصفات الرئيسية من صفات كثيرة أخرى تضفي على شخصية المعلم المسلم قوة وتكاملاً وجاذبية وقدرة على التأثير. (الشيباني، 1399هــ : 105)

وقد بيّنا فيما سبق في الفصول الأولى كيف أنه ﷺ كان يتخلص من الانفعالات السلبية.

ولقد بيّن (الترتوري وآخرون، 1426هــ : 52) أن من صفات المعلم التي لا بد أن يتحلى فيها ما يلي:-

1- تكامل الصفات الشخصية المستقيمة من حضور الذهن والدقة في الأداء وحسن التصرف، ليكون قادراً على الاعتماد على حواسه وصحته وحيويته.

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج:

يمكن للباحثة أن تجمل أهم نتائج الدراسة في النقاط الآتية:-

1- شغلت قصة موسى عليه السلام مساحة كبيرة من القرآن الكريم، وذلك لأن موسى عليه السلام من أولي العزم من الرسل، أرسله الله تعالى إلى فرعون الطاغية المتجبر الذي بلغ درجة عظيمة في العتو والتأله على بني إسرائيل. كما أن قوم موسى عليه السلام كانوا نافرين معاندين مجادلين إلا قلة منهم. ولذلك كانت قصة موسى في القرآن الكريم غنية بالتوجيهات والخبرات التربوية والاجتماعية.

2- تضمنت قصة موسى عليه السلام العديد من الأبعاد التربوية التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

أ- الأبعاد الإيمانية التي شملت: سلامة التوحيد، والتوكل على الله، والدعاء، والشكر والابتلاء وتكفير الذنوب، والهداية، والاستقامة وولاية الله للمؤمنين ترفع منزلة العبد، واستخدام الخوارق.

ب- الأبعاد الأخلاقية وتضمنت: سرعة الإنابة إلي الله، والتطهر من الذنوب، والإخلاص لله، والثقة بنصره، والأمانة والقوة في الحق، والتحلي بالصبر والصدق، والعفو والحلم واللين في الدعوة.

ج- الأبعاد الاجتماعية التي تحتوي على: نصرة المظلوم، ومواجهة الفساد والظلم وتحقيق الحرية، وتحقيق التكافل والتعاون، والنصح للمجتمع والحرص على مصلحته.

د- الأبعاد النفسية، ومكوناتها: راحة القلب الإيمان طريق السعادة وانشراح الصدر، والطمأنينة والسكينة والأمن من الخوف، والتخلص من الانفعالات السلبية، واستحضار عاقبة المتقين والمفسدين.

3- يمكن اشتقاق العديد من التطبيقات التربوية من قصة موسى عليه السلام، التي يُستفاد منها في إعداد المعلم وتحديد أهم الصفات التي ينبغي أن يتمثلها المعلم، وهي: صفات إيمانية، وصفات أخلاقية، وصفات اجتماعية، وصفات نفسية. وبذلك يمكن للمعلم أن يؤدي دوره على خير وجه باعتباره مقوماً للسلوك، ومزوداً للطلبة بالخبرات اللازمة، ومصححاً للأفكار والمفاهيم ومعدلاً للعقائد والاتجاهات.

ثانياً: التوصيات:

في ضوء ما خلصت إليه الدراسة من نتائج يمكن للباحثة أن تسجل التوصيات الآتية:-

- أنه لا بد من الاهتمام بدراسة حياة الأنبياء عليهم السلام،وبيان مدى الأبعاد العقائدية والخلقية والاجتماعية والنفسية ومدى تطبيقاتها التربوية عن طريق جمع الآيات القرآنية ،وإفرادها

بدراسات علمية خاصة،وذلك لما فيها من عظيم الأثر علي كل المجالات في حياة الإنسان المسلم.

- طرح قصة سيدنا موسى عليه السلام وصفاته ودعوته في المناهج التعليمية حتى يتم ترسيخ العقيدة علي أصولها.
- اتباع نهج كليم الله عليه السلام في دعوته ،فحرى بكل داعية أن يطلع علي كيفية دعوته لقومه خصوصا واقتفاء الأساليب التي اتبعها والسير عليها،فهو وغيره من الأنبياء قدوة للمسلمين.
- أن يجعل الإنسان تقوى الله وتوكله علي ربه سبحانه نصب عينيه،وأن يجعل نيته خالصة لله في كل عمل يقوم به من أجل تحقيق وحدة الصف الإسلامي وتخليصه من التبعية للغير.
- إن الأمة الإسلامية خاصة في ظل التغيرات الحاصلة لها اليوم والظروف التي تمر بها محتاجة لتجديد ثقتها بربها وتمسكها بكتابه وحفظ حروفه والعمل بحدوده، والتمسك بهديه وبسنة رسوله إن أرادوا الرجوع لريادة هذا العالم.

ضرورة التركيز عند اختيار المعلمين على مجموعة من الصفات الإيمانية والأخلاقية والاجتماعية والنفسية الضرورية للمعلم المسلم المعاصر.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

المراجع:

ثانياً: الكتب:

1- إبراهيم، مفيدة محمد (1417هـ - 1997م): **القيادة التربوية في الإسلام**، ط1، دار المجدلاوي، عمَّان.

2- ابن الأثير، الإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري (ب:ت): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، دار الفكر، بيروت.

3- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (1423هـ - 2002م): **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (الداء والدواء)**، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

4- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (1418هـ - 1997م): **الفوائد**، ط2، دار اليقين، المنصورة، مصر.

5- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (1418هـ - 1997م): **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، تحقيق: السيد، سعيد محمود، ط2، دار الحديث، القاهرة.

6- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (1423هـ - 2002م): **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، القاهرة.

7- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (1425هـ - 2005م): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مكتبة الصفا، القاهرة.

8- ابن القيم، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (د:ت): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

9- ابن تيمية تقي الدين (1392هـ)، **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ط1، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، مجلد 2.

10- ابن تيمية تقي الدين (2002): **مكارم الأخلاق**، تحقيق: عبد الله بدران، ومحمد عمر الجاجي، المكتبة العصرية، بيروت.

11- ابن تيمية تقي الدين (د:ت): **الحسنة والسيئة**، دار الكتب العلمية، بيروت.

12- ابن جماعة، بدر الدين (1994): **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، رمادي للنشر، الدمام.

13- ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس الشيباني (1999): **المسند للإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الارنؤوط، وإبراهيم الزيبق، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت.
14- ابن قدامة، أحمد بن عبد الرحمن (1420هـ - 1999م): **مختصر منهاج القاصدين**، دار الفجر للتراث، القاهرة.
15- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (1420هـ - 1999م): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء 8.
16- ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (1992): **قصص الأنبياء**، ط3، مؤسسة أبي الطيب الثقافية، بيروت.
17- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (1998): **سنن ابن ماجه**، تحقيق: بشار عواد معروف، ط1، دار الجيل.
18- ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم الأنصاري الإفريقي المصري (1424هـ - 2003م): **لسان العرب**، حققه: عامر أحمد حيدر، راجعه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، مجلد: 3، 7، 10، 11، 14.
19- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (1347هـ - 1928م): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ط1، التزام محمد محمد عبد اللطيف، صاحب مكتبة الحسينية المصرية بالأزهر، مصر.
20- أبو فارس، محمد عبد القادر (د:ت): **تزكية النفس**، دار الفرقان للنشر والتوزيع.
21- الآجُرِّي، أبو بكر الحسين بن عبد الله (ت360هـ) (1349هـ - 1983م): **أخلاق العلماء**، المطبعة الأميرية بالأزهر، القاهرة.
22- أحمد، محمود عبده، ومصطفى، عبد الله إبراهيم (1429هـ - 1999م): **التربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة**، عالم الكتب، القاهرة.
23- أسعد، يوسف (1399هـ - 1979م): **القوى الروحية في المجتمع**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
24- الأشقر، عمر (2005): **القضاء والقدر**، دار النفائس، الأردن.
25- الأصفهاني، الراغب (د:ت): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: محمد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
26- الآغا، إحسان (1990): **تصميم البحث العلمي**، غزة.

27- الألباني، محمد ناصر الدين الألباني (1988): **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت.

28- الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (د:ت): **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، بدون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

29- البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (1422هـ): **صحيح الإمام البخاري المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان.

30- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء الشافعي (1417هـ - 1997م): **معالم التنزيل**، حققه وخرّج أحاديثه: محمد بن عبد الله النمر، عثمان ضميرية، سليمان مسلم الحرثي، ط4، دار طيبة.

31- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر (1414هـ - 1994م): **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة.

32- الترتوري، محمد وآخرون (1426هـ ـ 2006هـ) (المعلم الجديد دليل المعلم في الإدارة الصفية الفعالة ـ عان ـ دار الحامد.

33- الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي (د:ت): **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دون طبعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

34- التميمي، عز الدين الخطيب (1982): **الدفاع الاجتماعي في مرآة الإسلام**، جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية، عمان، الأردن.

35- الجرجاني، الشريف علي (1421هـ - 2000م): **كتاب التعريفات**، دار الكتب العلمية، بيروت.

36- حاجي، عبد العزيز (1424هـ - 2003م): **تفسير آيات العقيدة**، ط1، دار الصابوني، القاهرة، ج1.

37- حق (د : ت): " روح البيان في تفسير القرآن "

38- حو مد، أسعد (د : ت) (أيسر التفاسير) المكتبة الشاملة

39- خضر، محمد زكي (1999): **الاستقامة في مئة حديث نبوي**، القاهرة.

40- الرازي، فخر الدين (د : ت) (التفسير الكبير) دار الفكر

41- الرشودي، عبد العزيز عبد الله (1420هـ): **الفكر التربوي عند الشيخ عبد الرحمن السعدي**، دار ابن الجوزي، الرياض.

42- رضا، محمد رشيد بن علي (1990): **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، ط2، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
43- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (1418هـ): **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر، بيروت، عدد الأجزاء 30.
44- الزحيلي، وهبة بن مصطفى (1422هـ): **التفسير الوسيط**، ط1، دار الفكر، دمشق، 3أجزاء.
45- الزرنوجي، برهان الدين (1367هـ - 1948م): **تعليم المتعلم طريق التعلم**، القاهرة، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.
46- زريق، معروف (1414هـ): **علم النفس الإسلامي**، دار المعرفة، دمشق.
47- الزعبلاوي، محمد السيد (د:ت): **تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس**، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.
48- الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي (1385هـ - 1966م): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ط. الأخيرة، مطبعة مصطفى وعباس الحلبي، مصر.
49- زيدان، عبد الكريم (1413هـ - 1993م): **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت.
50- السباعي، مصطفى (1420هـ - 1999م): **أخلاقنا الاجتماعية**، دار الوراق للنشر والتوزيع، الرياض.
51- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (1420هـ - 2000م): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة
52- السفاريني، محمد، (1402هـ - 1982م): **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية**،، ط2، مؤسسة الخافقين، دمشق، ج1.
53- الشعراوي، محمد (د : ت) زبدة التفاسير، دار العلوم، القاهرة
54- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (1383هـ - 1964م): **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير**، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، محمود نصار الحلبي وشركاه – حلفاء.
55- الشيباني، عمر محمد التومي (1399هـ - 1979م): **من أسس التربية الإسلامية**، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلام، كلية التربية، جامعة الفاتح.
56- طبارة، عفيف (ب:ت): **روح الدين الإسلامي**، رسالة ماجستير منشورة، دار العلم.

57- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم (1404هـ - 1983م): **المعجم الكبير**، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل.
58- الطبرسي، الفضل (1415هـ - 1995م): **مجمع البيان في تفسير القرآن**، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
59- الطبري، محمد بن جرير (1420هـ - 2000م): **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، دار الكتب العلمية، بيروت.
60- العبادلة، عثمان (2005): **آداب الدعاء المستجاب من السنة والكتاب**، ط1، غزة.
61- عبد الفتاح، إسماعيل (1421هـ - 2001م): **القيم السياسية في الإسلام**، الدار الثقافية للنشر، القاهرة.
62- العك، خالد (1408هـ - 1988م): **عقيدة المسلم في ضوء القرآن والسنة النبوية**، دار الإيمان، دمشق.
63- عويضة، محمد (1416هـ - 1996م): **الصحة من منظور علم النفس**، دار الكتب العلمية، بيروت.
64- الغزالي، (1400هـ - 1980م): **الأدب في الدين**، حققه وعلق عليه: عبد الله أحمد ابن زبتة، دار الشروق، بيروت.
65- الغزالي، (1403هـ - 1983م): **كتاب العلم**، تقديم: رضوان السيد، دار إقرأ، بيروت.
66- الغزالي، (د:ت): **القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي (أيها الولد)**، مكتبة الجندي، القاهرة.
67- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (1417هـ - 1996م): **إحياء علوم الدين**، تحقيق: الشحات الطحان، وعبد الله المنشاوي، ط1، مكتبة الإيمان، المنصورة، أمام جامعة الأزهر، مجلد3.
68- الغزالي، محمد (1416هـ - 1996م): **خلق المسلم**، الدار الشامية، بيروت، ودار القلم، دمشق.
69- فريد، محمد (2005): **تزكية النفوس**، الدار العالمية للنشر والتوزيع، الإسكندرية.
70- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (1406هـ - 1986م): **القاموس المحيط**، ط1، مؤسسة الرسالة.
71- القرضاوي، يوسف (1410هـ - 1990م): **الإيمان والحياة**، ط9، مكتبة وهبة، القاهرة.
72- القرطبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (1423هـ - 2003م): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، السعودية.

73- القرطبي، محمد (1416هـ - 1995م): **الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى**، ضبط نصّه: أ.د. محمد حبل، خرّج أحاديثه: طارق أحمد، ط1، دار الصحابة، طنطا.
74- قرعوش، كايد، وآخرون (1422هـ - 2001م): **الأخلاق في الإسلام**، دار المناهج، عمان، الأردن.
75- القرني، عائض (1423هـ - 2002م): **لا تحزن**، مكتبة العبيكان، الرياض.
76- القريشي، علي حسن (1989): **التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي: منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر**، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة.
77- قطب، سيد (1394هـ - 1974م): **العدالة الاجتماعية في الإسلام**، دار الشروق، بيروت، القاهرة.
78- قطب، سيد (1980): **في ظلال القرآن**، ط10، دار الشروق، القاهرة، بيروت.
79- قطب، محمد (1982): **منهج التربية الإسلامية**، دار الشروق، القاهرة، ج1.
80- قنصوة، صلاح (1404هـ - 1984م): **نظرية القيم في الفكر المعاصر**، ط2، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت.
81- القوصي، عبد العزيز (1982م): **أسس الصحة النفسية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
82- الكيلاني، ماجد عرسان (1991): **فلسفة التربية الإسلامية**، مكتبة هادي، مكة المكرمة، السعودية.
83- الماوردي، (د:ت): **أدب الدنيا والدين**، حققه: مصطفى السقا، دار الفكر، بيروت.
84- محمد، يوسف كمال (1422هـ - 2001م): **منهج التربية الاجتماعية للأمة المسلمة كما بيّنه الثلث الثاني من القرآن**، دار القلم، القاهرة.
85- مصطفى، إبراهيم، وآخرون (1985): **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة للنشر، ج1، 2.
86- ملحم، سامي (2002): **مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة، عمان، الأردن.
87- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (1410هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق.
88- المناوي، محمد بن عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين الدين الحدادي (1994): **فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير**، ضبطه وصححه: أحمد عبد السلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.\

89- المنتخب (د : ت): تفسير القرآن الكريم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية المكتبة الشاملة

90- **المنجد في اللغة والأعلام** (2002): المطبعة الكاثوليكية، دار المشرق، بيروت، لبنان.

91- الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة (1413هـ - 1992م): **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، ط3، دار القلم، دمشق.

92- نبيه، ياسين (1979): **أبعاد متطورة للفكر التربوي**، مكتبة الخانجي، القاهرة.

93- نجاتي، محمد بن عثمان (1409هـ): **القرآن وعلم النفس**، ط4، دار الشروق، القاهرة.

94- نجاتي، محمد عثمان (1420هـ) علم النفس والحياة، مدخل إلى علم النفس وتطبيقاته في الحياة، الكويت: دار القلم "ط 19"

95- النحلاوي، عبد الرحمن (1979): **أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع**، دار الفكر، دمشق.

96- النحوي، عدنان (1411هـ - 1991م): **الصحوة الإسلامية المعاصرة: إلى أين؟**، دار النحوي للنشر والتوزيع، بيروت.

97- النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (1991): **السنن الكبرى**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

98- النووي، أبي زكريا محيي الدين شرف النووي (د:ت): **المجموع**، المدينة المنورة، المكتبة السلفية.

99- النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن حجاج القشيري (د:ت): **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

100- النيسابوري، أبوعبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (د:ت)، **المستدرك على الصحيحين وبذيله التلخيص**، بدون طبعة، دار المعرفة، بيروت.

101- الهاشمي، عبد الحميد بن محمد (1423هـ): **أصول علم النفس العام**، دار الشروق، جدة.

102- الوكيل، محمد السيد (1415هـ): **نظرات في أحسن القصص**، ط1، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق.

103- يالجن، مقداد (1977): **التربية الأخلاقية الإسلامية.**

104- يوسف، أحمد (1997): **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**، رسالة ماجستير منشورة، دار السلام للطباعة والنشر.

ثالثاً: الرسائل العلمية غير المنشورة:

1. أبو سخيل، محمد إسماعيل سيد (1428هـ – 2007م): الأبعاد التربوية لسنة الابتلاء في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، **رسالة ماجستير غير منشورة**، إشراف: د. حمدان عبد الله الصوفي، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
2. شتات، نهى (1999): الدور المهني للمعلم من وجهة نظر المعلمين والمديرين والموجهين في المدارس الإعدادية الحكومية بمحافظة غزة والشمال، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
3. مسعود، زياد محمد (2003): الأبعاد التربوية لمفهوم الولاء والبراء في الإسلام، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة
4. منصور، مصطفى يوسف (2002): التوجيه التربوي من خلال خطاب الرسل لأقوامهم كما جاء في القرآن الكريم، **رسالة ماجستير غير منشورة**، كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة.
5. الهوبي، جمال محمود (1987): معالم الصراع الإيماني في قصة موسى عليه السلام، **رسالة ماجستير غير منشورة**، جامعة أم درمان، السودان.
6. طهطاوي، سيد (1996) : (القيم التربوية في القصص القرآني) في القاهرة مصر دار الفكر العربي.
7. جعفر، نجوات (2009): (انتصار القلة المؤمنة على الكثرة الكافرة في ضوء القرآن الكريم... دراسة موضوعية) غزة ــ فلسطين
8. بدح، مجدي (2001): "الأبعاد التربوية لأحكام الزواج والطلاق في ضوء الكتاب والسنة" غزة ــ فلسطين
9. خلف، اطلال (2001): "قسم العهود في القصص القرآني ودورها في توجيه فكرهم التربوي المعاصر غزة ــ فلسطين
10. الشنطي، جميلة (1998): (المضامين التربوية في سورتي الإسراء والكهف)

رابعاً: الدوريات:

11. أمين، عثمان (1410هـ – 1990م): الشعور بالأمن أم حاجة إنسانية، **مجلة الوعي الإسلامي، عدد 306**، الكويت.